

الشهيد

مسلّم بن عَقِيل

العلامة المرحوم عبد الرزاق الموسوي المقدّم

مؤسسة البعثة الإسلامية
بمكة المكرمة

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا

محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم

أجمعين إلى قيام يوم الدين

١ - المؤلف:

مؤلف هذا الكتاب هو: « العلوي النسيب، الفاطمي الحسيب، المخلص في ولائه لآل الرسول، المتفاني في حبهم، والمتهاك في مسيرهم، العلامة المعاصر حجة الاسلام والمسلمين، السيد عبد الرزاق المقرّم الموسوي النجفي »^(١) الذي يصل نسبه الكريم بثلاثة وعشرين ظهرا إلى الامام موسى بن جعفر عليه السلام.

ولد المؤلف في سنة ١٣١٦ هـ في النجف الأشرف في بيت علم وتقوى وسيادة^(٢). جده لأّمه هو السيد حسين المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ، وخاله هو السيد أحمد المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ، وكانا من علماء زمانهما. وأبوه، السيد محمد المتوفى ١٣٥١ هـ، كان كثير الاعتكاف في مسجد الكوفة.

وكانت أمه من نساء زمانها الصالحات، وقد توفيت سنة ١٣٧٠ هـ.

درس المغفور له على جده السيد حسين وعلى علماء عظام مثل: الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء (ت: ١٣٦٦ هـ)، والسيد محسن الحكيم (ت: ١٣٩٠ هـ)، وأقا ضياء الدين العراقي (ت: ١٣٦١ هـ)، والسيد أبو الحسن الاصفهاني (ت: ١٣٦٥ هـ)، والشيخ محمد حسين النائيني (ت: ١٣٥٥ هـ)، والشيخ محمد جواد البلاغي (ت: ١٣٥٢ هـ)، والشيخ محمد حسين الاصفهاني (ت: ١٣٦١ هـ)، والشيخ عبد الرسول الجواهري (ت: ١٣٨٩ هـ)، والشيخ حسين الحلبي والسيد أبو القاسم الخوئي - دام ظلّه -. ولقد كان لثلاثة من اساتذته، وهم الشيخ محمد جواد

(١) كما وصفه بذلك سماحة العلامة السيد شهاب الدين المرعشي النجفي - دام ظلّه - في تقديمه على كتاب « علي الاكبر عليه السلام » للمؤلف عليه السلام طبعة قم ١٤٠١ هـ.

(٢) أرنج المرحوم شيخ آقا بزرگ الطهراني في كتابه « الذريعة » سنة ولادته ب ١٤١٢ هـ كما جاء في كتاب « معجم مؤلفي الشيعة » تأليف الشيخ على الفاضل النجفي، ص ٤٠٠، غير أن التاريخ الذي ورد المتن منقول من المقدمة التي كتبها نجل المؤلف لكتاب « مقتل الحسين عليه السلام » طبع بيروت سنة ١٣٩٩ هـ، وهو أصح.

البلاغي، والشيخ محمد حسين الاصفهاني، والشيخ عبدالرسول الجواهري، تأثير بالغ في نفس مؤلفنا الجليل.

كان المرحوم العلامة السيد عبدالرزاق المقرم يكن حبا عميقا لآل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، ولقد انعكس هذا الحب الشديد في آثاره العلمية التي خلفها الفقيه. وإليكم بعض تلك الآثار:

- ١ - « زيد الشهيد عليه السلام ».
- ٢ - « مقتل الحسين عليه السلام ».^(٣)
- ٣ - « المختار بن أبي عبيد الثقفي ».
- ٤ - « السيدة سكينه عليها السلام ».
- ٥ - « الصديقة الزهراء عليها السلام ».
- ٦ - « علي الاكبر عليه السلام ».
- ٧ - « الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام ».^(٤)
- ٨ - « الامام زين العابدين عليه السلام ».
- ٩ - « الامام الرضا عليه السلام ».
- ١٠ - « الامام الجواد عليه السلام ».
- ١١ - « قمر بني هاشم، العباس عليه السلام ».
- ١٢ - « يوم الاربعين عند الحسين عليه السلام ».
- ١٣ - « سر الايمان في الشهادة الثالثة » (وهو بحث في الشهادة بولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام في الأذان ».

١٤ - « محاضرات في الفقه الجعفري ».

وجميع هذه الكتب قد طبعت. أما كتبه التي لم تطبع بعد فهي:

- ١ - « المنقذ الأكبر محمد صلى الله عليه وآله ».
- ٢ - « الحسن بن علي عليهما السلام ».
- ٣ - « عاشوراء في الاسلام ».
- ٤ - « الأعياد في الاسلام ».
- ٥ - « زينب العقيلة عليها السلام ».
- ٦ - « ميثم التمار ».
- ٧ - « أبو ذر الغفاري ».

(٣) ترجم هذين الكتابين إلى الفارسية الشيخ عزيز الله عطاردي وطبعتهما « انتشارات جهان ».

(٤) الكتب الاربعة الأخيرة ترجمها إلى الفارسية حسن طارمي ونشرتها « انتشارات ميقات ».

- ٨ - « عمار بن ياسر » .
- ٩ - « نقل الأموات في الفقه الاسلامي » .
- ١٠ - « نقد التاريخ في المسائل الست » .
- ١١ - « حلق اللحية » .
- ١٢ - « رثائب الرسول ﷺ » .
- ١٣ - « لكني والألقاب » .
- ١٤ - « حاشية على كفاية الاصول » .
- ١٥ - « حاشية على المكاسب للشيخ الانصاري » .
- ١٦ - « نوادر الآثار » .
- ١٧ - « يوم الغدير » .

وقد كان المرحوم المقرم، علاوة على تأليفاته المذكورة، يتعاون مع الكثيرين ممن كانوا يتصدون لطبع كتب الشيعة القديمة، ويكتب لها المقدمات والتعليقات القيمة. من ذلك:

- ١ - « دلائل الامامة » للطبري الامامي .
- ٢ - « الامالي » للشيخ المفيد .
- ٣ - « الخصائص » للسيد الرضي .
- ٤ - « الملاحم » لابن طاووس .
- ٥ - « فرحة الغري » للسيد عبد الكريم بن طاووس .
- ٦ - « إثبات الوصية » للمسعودي .
- ٧ - « الكشكول » للسيد حيدر الآملي .
- ٨ - « بشارة المصطفى » لعقاد الدين الطبري .
- ٩ - « الجمل » للشيخ المفيد .
- ١٠ - « طرف من الانباء والمناقب » لابن طاووس .

وكان العلامة السيد عبدالرزاق المقرم يقيم كل سنة عددا من المجالس في مواليد المعصومين ووفياتهم - صلوات الله عليهم أجمعين - وقد ضم كتابه « نوادر الآثار » طائفة من القصائد التي ألقيت في تلك المجالس، كما نشرت طائفة أخرى منها في عدد من كتبه المطبوعة. وله أبيات في التوسل بأهل بيت الرسول الأكرم ﷺ والتمسك بأذيالهم، منها هذان البيتان يخاطب بهما أبا الفضل العباس عليه السلام:

أبا الفضل يا نور عين الحسين ويا كافل الظعن يوم المسير
أعرض عني وأنت الجواد وكهف لمن بالحمي يستجير

وفي ١٧ محرم الحرام من سنة ١٣٩١ هـ وافى الأجل العلامة السيد عبدالرزاق المقرم فانتقل

إلى دار البقاء عن عمر قضاها في خدمة آل البيت عليهم السلام وإحياء ذكرهم الكريم.

وقد أرخ لوفاته الشيخ أحمد الوائلي في قصيدة رثاه بها فقال:

« رحلت عبدالرزاق للرزاق » (١٣٩١ هـ)^(٥)

٢ - هذا الكتاب:

هذا الكتاب واحد من آثار مؤلفنا الفقيه الخالدة عن أول شهيد من قافلة شهداء كربلاء العظام، وسفير سيد الشهداء عليه السلام ونائبه، مسلم بن عقيل عليه السلام.

مقدمة الكتاب تتناول حياة أبي طالب (جد مسلم) وحياة عقيل. ويتناول الكتاب نفسه سيرة حياة نائب الامام الحسين عليه السلام فيورد نقاطا لم تذكر من قبل عن حياة مسلم عليه السلام ويبحثها بكل دقة وتمحيص ويسير مع مسيرته خطوة خطوة. وفي غضون ذلك يحقق في مواضيع أخرى، مثل « الطيرة في المنظور الاسلامي »، وغير ذلك من الدروس الأخلاقية والاجتماعية، يتطرق إليها ضمن كلامه على حركة مسلم بن عقيل (ع) التاريخية.

لقد طبع هذا الكتاب قبل سنوات عديدة في النجف الأشرف. واليوم أعيد طبعه بحلة قشبية، بعد تصحيح الأغلط المطبعية السابقة بقدر الإمكان.

نسأل الله تعالى أن يحشر روح المؤلف الرفيعة مع مواليه المعصومين الأربعة عشر - صلوات الله عليهم أجمعين - وأن يزيد من توفيقنا في نشر المعارف القرآنية العظيمة وسير العترة الطاهرة. إنه سميع مجيب.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله والأئمة المعصومين، ولا سيما مولانا وصاحبنا بقية الله في الأرضين.

قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة

محرم الحرام ١٤٠٧ هـ

(٥) لمعرفة المزيد عن حياة العلامة السيد عبدالرزاق المرقم وآثاره يمكن الرجوع إلى المصادر التالية:

١ - مقالة للشيخ محمد هادي الأميني نشرت في مجلة « العدل » طبع النجف، العدد ١٧ بتاريخ ١٤ شعبان ١٣٩١.

٢ - مقدمة آية الله المرعشي النجفي لكتاب « علي الأكبر » طبع قم ١٤٠١ هـ

٣ - « معجم مؤلفي الشيعة » ص ٤٠٠.

٤ - « الذريعة » ٧ / ١١٩ و ١٢١ و ١٢٣ و ١٧ / ١٦٧ و ٢٢ / ٣٢ و ٢٤ / ٤٣٠ و ٢٥ / ١٣٥.

٥ - مقدمة السيد محمد حسين المرقم، نجل الفقيه لكتاب « مقتل الحسين عليه السلام »، طبع بيروت ١٣٩٩ هـ.

وقد اعتمدنا هذه المقدمة كأهم مصدر استقيناه ما جاء في هذا المختصر.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله ﷺ لأمرير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: « اني أحب عقيلا حبين
حبا له وحبا لحب أبي طالب له وان ولده لمقتول في محبة ولدك تدمع عليه عيون المؤمنين
وتصلي عليه الملائكة المقربون » ثم بكى رسول الله ﷺ وقال « إلى الله تعالى أشكو ما تلقى
عترتي من بعدي ».

الأماي للشيخ الصدوق

المقدمة

بيت أبي طالب: (١)

لقد كان بيت أبي طالب موطن الأساس بالنبوات، مرفوعة معلمه بخلافة الكبرى، وكانت آصرة النبوة ضاربة فيه من آدم إلى شيث إلى نوح إلى إبراهيم إلى إسماعيل الذبيح إلى ما تناسل منه ممن دان بالتوحيد وكانت له الوصاية في المحافظة على نواميس الأنبياء، وإنك لا تجد أحدا من عمود النسب الوضاح الذي يقف عنده الحديث النبوي (٢) إلا أخذنا بأعضاء الشرف والسودد، حاملا للحنيفيّة البيضاء دين السلام، والوثام، وشرعة الخليل إبراهيم عليه السلام.

وان الوقوف على بعض ما ذكره التأريخ في حق هؤلاء الرجال يشهد لهذه الدعوى المدعومة بالوجدان، فكان «عدنان» يصارح في خطبته بأن فيمن يتناسل منه النبي الكريم خاتم الرسل أجمعين، الداعي الى كلمة الحق ورسالة الصدق ثم أوصى باتباعه. ولكن ولده «معد» على نُهجه أمر الله تعالى «أرميا» أن يحمله على البراق كيلا تصيبه نقمة بختنصر، وعزّفه بأنه سيخرج من صلبه نبيا يكون خاتم الأنبياء فحمله

(١) طبعت هذه المقدمة في كتاب العباس عليه السلام ولنفاذ النسخ رغب جماعة في إعادة حراصا على الفائدة.

(٢) في مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ١٠٦ وكشف الغمّة للارنلي ص ٦: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا بلغ نسي الى عدنان فأمسكوا. وكان السر فيه أن ما فوق عدنان من الأسماء مما يتعاضى نطق العامة بما نظرا الى غرابتها فلا يؤمن معه من التصحيف فيسبب الوهن في ساحة جلالتهم والخفة في مقدارهم وقد ولد الرسول الأعظم ووصيه أمير المؤمنين المقدم - صلى الله عليهما وعلى آلهما أجمعين -.

إلى أرض الشام إلى أن هدأت الفتنة (٣).

وكان نور النبوة يشع في جبهة « نزار » (٤)، وورد النهي عن سب ربيعة ومضر والياس لكونهم مؤمنين، والياس أول من أهدى البدن الى البيت الحرام، وأول من ظفر بمقام إبراهيم، وقد أدرك « مدركة بن الياس » كل عز لآبائه وفي جبهته نور النبي محمد ﷺ ساطع، وكان « كنانة » بن خزيمه بن مدركة يجاهر بالدعوة الى دين « الخليل » ورفض عبادة الاصنام، وأن من صلبه نبيا يدعو إلى البر والإحسان ومكارم الأخلاق.

و « فهر بن مضر » كانت العرب تحابه لجمعه خصال الخير والنور اللائح على أسارير جبهته، ولانتصاره على حسان بن عبد كلال حين جاء من اليمن لأخذ أحجار الكعبة ليبنى بها بيتا باليمن يزوره الناس فأسر حسان وانهمت حمير وبقي حسان في الأسر ثلاث سنين، ثم فدى نفسه بمال كثير وخرج فمات بين مكة والمدينة. (٥)

ولم يزل كعب بن لؤي يذكر النبي ﷺ ويعلم قريشا بأنه من ولده، ويأمر باتباعه، وفي المأثور من كلامه: زينوا حرمكم وعظموه وتمسكوا به ولا تفارقوه فسيأتي له نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم، ثم قال:

نهارٌ وليلاً واختلاف حوادث
سواءٌ علينا حلوهما وميرهما
يؤبان بالأحداث حتى تأوبا
وبالنعم الضائي علينا ستورها
على غفلة بأي النبي محمد
فيخبر أخباراً صدوقاً خبيرها

ثم قال:

يا ليتني شاهد فخواء دعوته
حين العشيبة تبغي الحق خذلاناً (٦)

إن هذه السلسلة هي التي أنتجت قصيا فعبد مناف (٧) فهاشما فعبد المطلب ثم

(٣) السيرة الحلبية ج ١ - ص ٢٠.

(٤) الروض الأنف للسهبلي ج ١ - ص ٨.

(٥) السيرة الحلبية ج ١ - ص ٩ و ص ١٩.

(٦) صبح الأعشى ج ١ - ص ٢١١.

(٧) كان اسمه عبدا ثم أضيف إليه مناف لأنه أناف على الناس وعلا أمره حتى ضربت إليه الركبان من أطراف الأرض فقبيل عبد مناف، وهو الصحيح كما في اثبات الوصية للمسعودي ص ٧٥، فما في السيرة النبوية لابن دحلان من أن أمه أخدمته صنما اسمه مناف لا يعبا به لأنه لم يكن من الأصنام اسمه مناف وإنما الموجود « مناة بالناء المثناة من فوق، ومن هنا كان ابن الكلبي يقول في كتاب الاصنام ص ٣٢: لا أدري أين

عبدالله وأبا طالب ومنهما أشرق الكون بخاتم الأنبياء وسيد الأوصياء - صلوات الله عليهم أجمعين - .

والذي يجب الهتاف به أن كل واحد من عمود النسب غير مدنس بشيء من رجس الجاهلية، ولا موصوم بعبادة وثن، وهو الذي يرتضيه علماء الحق لكونهم صديقين بين أنبياء وأوصياء، وقد نزههم الله سبحانه في خطابه لنبيه الأقدس: « **وتقبلك في الساجدين** » فإنه أثبت لهم بلفظ الجمع المحلى باللام السجود الحق الذي يرتضيه لهم. وأن ما يؤثر عنهم من الأشياء المستغربة عندنا لا بد وأن تكون من الشريعة المشروعة لهم أو يكون له معنى تظهره الدراية والتنقيب.

وليس آزر الذي كان ينحت الأصنام، وكاهنة نمرود أبا إبراهيم عليه السلام الذي نزل من ظهره لأن أباه اسمه تاريخ، وآزر إما أن يكون عمه كما يرتئيه جماعة المؤرخين، وإطلاق الأب على العم شائع على المجاز وبه جاء الكتاب المجيد: « **إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق** » فأطلق على إسماعيل لفظ الأب ولم يكن أبا يعقوب وإنما هو عمه كما أطلق على إبراهيم لفظ الأب وهو جده.

وإما أن يكون آزر جد إبراهيم لأمه كما يرتئيه المنقبون والجد للأُم أب في الحقيقة ومما يؤيد أنه غير أبيه قوله تعالى: « **وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر** » فميّزه باسمه ولو أراد أباه الذي نزل من ظهره لاستغنى بإضافة الابوة عن التسمية بآزر.

كل ذلك مضافا الى مصارحة الرسول الكريم بطهارة آبائه عن رجس الجاهلية وسفاح الكفر فإنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

« **لما أراد الله تعالى أن يخلقنا، صورنا عمود نور في صلب آدم فكان ذلك النور في جبينه ثم انتقل الى وصية شيث، وفيما أوصاه ألا يضع هذا النور الإلهي إلا في أرحام المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولا بها يتناقلها كابر عن كابر فولدنا الأخيار من الرجال والخيرات المطهرات المهذبات من النساء حتى انتهينا إلى صُلب**

كان هذا الصنم ولمن كان ومن نصبه، ومنه نعرف الغلط في قول البرقي والزيبر كما في الروض الأنف ج ١ - ص٦: أن أمه أخدمته « مناة » بالتاء المثناة فسمي عد مناة ولكن رآه قصي يوافق عبد مناة بن كنانة فحوله عبد مناف فإنه لا شاهد عليه، والصحيح ما عليه المسعودي.

عبد المطلب فجعله نصفين نصف في عبدالله فصار الى آمنة ونصف في

أبي طالب فصار إلى فاطمة بنت أسد^(٨).

ولم يزل هذا الحال كما وصفناه حتى أقبل دور شيخ الأبطح أبي طالب وورده أمير المؤمنين والإمامين السطين سيدي شباب أهل الجنة والأئمة من ولد سيد الشهداء حتى يقف العدد على ناموس الدهر وولي الأمر في كل عصر عجل الله فرجه.

ههنا يقف اليراع عن تصوير عظمة هذا البيت المنيع، ويرتج على الكاتب ويعي الشاعر، فإن حقيقة القداسة بين طرفي النبوة والإمامة التي جمعها هذا البيت لم تدع مسرحا لقتال أو متسعا لواصف لتقاعس القدرة البشرية عن نعت ما هو فوق مستواها، ولا يمكنها الخبرة بمقتائق أنوار عالم الملكوت.

نعم لها الاضافة في مقدار ما يمكنها من التوصل اليه ولو في الجملة من أنه بيت نبوة

وإمامة، بيت علم ودين، بيت عز وسؤدد.

بيت علا سمك الضراح رفعة فكنان أعلا شرفا وأمنعا

أعزّه الله فما تمسبط في كعبته الأملاك إلا خضعا

بيت من القدس وناهيك به محط أسرار الهدى وموضعا

فكان مأوى المرتجي والمتجني فما أعز شأنه وأمنعا^(٩)

وهذه الصفات الكريمة هي التي أهلت أبا طالب عليه السلام لحمل أعباء الوصاية عن

الأنبياء عليهم السلام بعد أن تلقاها عن أبيه عبد المطلب الذي كان وصيا من الأوصياء، وقارئنا

للكتب السماوية، كما أخبر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك إذ قال له: كان أبي يقرأ

الكتب جميعا، وقال: إن من صلي نبيا لوددت أني أدركت ذلك الزمان فأمنت به فمن أدركه

من ولدي فليؤمن به^(١٠).

وكان أبو طالب كأبيه « شبيهة الحمد » عالما بما جاء به الأنبياء وأخبروا به أمهم من

حوادث وملاحم لأنه وصي من الأوصياء، وأمين على وصايا الأنبياء حتى سلمها إلى النبي

صلى الله عليه وآله وسلم^(١١)

٨) هذا حاصل أحاديث ذكرها المجلسي في البحار ج ٦ - ص ٦ وج ٩ - ص ٨.

٩) من قصيدة للعلامة الحجة السيد محمد حسين الكيشوان رحمته الله.

١٠) البحار ج ٩ - ص ٣١.

١١) مرآة العقول ج ١ - ص ٣٦٢.

وفي ذلك يقول درست بن منصور لأبي الحسن موسى عليه السلام :
أكان رسول الله محجوجاً بأبي طالب؟ قال عليه السلام : « لا ولكن كان
مستودع الوصايا فدفعها إلي النبي صلى الله عليه وآله : قلت: دفعها على أنه محجوج
به؟ قال عليه السلام : « لو كان محجوجاً به ما دفعها إليه » قلت: فما كان
حال أبي طالب؟ قال: عليه السلام : « أقر بالنبي وبما جاء به حتى مات ». (١٢)
وقال شيخنا المجلسي - أعلا الله مقامه - :

أجمعت الشيعة على أن أبا طالب لم يعبد صنماً قط، وأنه كان من
أوصياء إبراهيم عليه السلام ، وحكى الطبرسي إجماع أهل العلم على ذلك،
ووافق ابن بطريق في كتاب الاستدراك (١٣)

وقال الصدوق:

كان عبد المطلب، وأبوطالب من أعرف العلماء، وأعلمهم بشأن النبي،
وكانا يكتمان ذلك عن الجهال والكفرة (١٤).

ومما يشهد على ذلك، الحديث الصحيح عن أمير المؤمنين عليه السلام :

« والله ما عبد أبي، ولا جدي عبد المطلب، ولا عبد مناف، ولا هاشم
صنماً، وإنما كانوا يعبدون الله، ويصلون إلى البيت على دين إبراهيم
متمسكين به ». (١٥)

ويقول أبو الحسن الرضا عليه السلام :

« كان نقش خاتم أبي طالب: رضيت بالله ربا وبابن أخي محمد نبياً
وبابني علي وصياً له » (١٦).

مضافاً إلى أن قريشاً لما أبصرت العجائب ليلة ولادة أمير المؤمنين عليه السلام خصوصاً لما
أتوا بالآلهة إلى جبل أبي قبيس ليسكن ما حل بهم ارتج الجبل، وتساقطت

(١٢) البحار ج ٩ - ص ٢٩.

(١٣) المصدر.

(١٤) إكمال الدين ص ١٠٢.

(١٥) المصدر ص ١٠٤.

(١٦) الدرجات الرفيعة للسيد علي خان بترجمة أبي طالب.

الأصنام، ففزعوا إلى أبي طالب لأنه مفرغ اللاجي وعصمة المستجير، وسألوه عن ذلك فرفع يديه مبتهلاً إلى المولى - جل شأنه - قائلاً: إلهي أسألك بالحمدية المحمودة، والعلوية العالية، والفاطمية البيضاء إلا تفضلت على تهامة بالرأفة والرحمة فسكن ما حل بهم. وعرفت قريش فضل هذه الأسماء قبل ظهورها، فكانت العرب تكتب هذه الأسماء وتدعو بها عند المهمات وهي لا تعرف حقيقتها^(١٧).

ومن هنا اعتمد عليه عبد المطلب في كفالة الرسول ﷺ فخصه به دون سائر بنيته

وقال:

وصَّيْتُ مَنْ كَنَيْتَهُ بِطَالِبٍ عَبْدَ مَنْفٍ^(١٨) وَهُوَ ذُو تَجَارِبِ
بِابْنِ الْحَبِيبِ أَكْرَمِ الْأَقْرَابِ بِابْنِ الَّذِي قَدْ غَابَ غَيْرَ آبِ

فقال أبو طالب:

لَا تَوْصِيَنِي بِسُلَازِمٍ وَوَأَحْسِبُ إِنِّي سَمِعْتُ أَعْجَبَ الْعَجَائِبِ
مَنْ كُلِّ حَبِيرٍ عَالِمٍ وَكَاتِبِ بِأَنْ بِمُحَمَّدِ اللَّهِ قَوْلَ الرَّاهِبِ

فقال عبد المطلب: أنظر يا أبا طالب أن تكون حافظاً لهذا الوحيد الذي لم يشم رائحة أبيه، ولم يذق شفقة أمه، أنظر أن يكون من جسدي بمنزلة كبديك فإني قد تركت بني كلهم، وخصصتك به، فانصره بلسانك ويدك ومالك، فإنه والله سيسودكم ويملك ما لا يملك أحد من آبائي، هل قبلت وصيتي؟ قال: نعم قد قبلت، والله على ذلك شاهد.

فقال عبد المطلب: مد يدك، فمد يده وضرب عبد المطلب بيده على يد أبي -

(١٧) روضة الواعظين للقتال ص ٦٩.

(١٨) اختلف في إسم أبي طالب على أقوال أربعة: الأول: اسمه شيبه حكاه السيوطي في شرح شواهد المغني ص ١٣٥ مصر، الثاني: اسمه عمران حكاه ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ١١٥ بترجمته، الثالث: كنيته حكاه الحاكم النيسابوري في المستدرک ج ٣ ص ١٠٨، عن محمد بن إسحاق، الرابع اسمه عبد مناف نص عليه ابن حبيب في الخبر ص ١٦ والطبري في التاريخ ج ٦ ص ٨٩، وابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٥٨، وأبو الفدا في المختصر ج ١ ص ١٧٠، وحكاه الحاكم في معرفة علوم الحديث ص ٨٤ عن ابن معين، والنويري في نهاية الأرب ج ٢ ص ٣٤١، والسيوطي في شرح الشواهد المغني ج ١ ص ١٣٥، وابن قتيبة في المعارف ص ٨٨، وعند ابن حجر في الإصابة: أنه المشهور، وفي عمدة الطالب ص ٥ نجف هو الصحيح وبذلك نطق وصية أبيه عبد المطلب فإنه قال:

أَوْصِيْتُكَ يَا عَبْدَ مَنْفٍ بَعْدِي بِوَأَحْسِبُ بَعْدَ أَبِيهِ فَفَرْدِ

وقال أيضاً:

وصَّيْتُ مَنْ كَنَيْتَهُ بِطَالِبٍ عَبْدَ مَنْفٍ وَهُوَ ذُو تَجَارِبِ

طالب ثم قال عبد المطلب: الآن خفف عليّ الموت، ولم يزل يقبله ويقول: أشهد أي لم أر أحدا أطيب ربحا منك ولا أحسن وجها (١٩).

لم ينص عبدالمطلب عليه بالوصية لمحض أنه شقيق أبيه عبدالله فلقد كان الزبير يشارك أبا طالب في ذلك وإنما هو لكفايته لتلك المرتبة القدسية فقد صاغه المهيمن سبحانه متأهلا لحمل النواميس الإلهية « شديد بأعباء الخلافة كاهله ».

فاجتمعت فيه القابلية الذاتية والمعدات المفاضة عليه من سلفه الطاهر ومن الأوصياء الماضين وتأكدت بمصاحبة النبي الأعظم ﷺ آناء الليل وأطراف النهار فلا يكاد يفارقه أنا ما وبمشهد منه الإرهاصات النبوية والإفاضات الإلهية المكهربة للمواد اللائقة.

فرح أبو طالب بهذه الخطوة من أبيه العطوف، وراح يدخر لنفسه السعادة الخالدة بكفالة نبي الرحمة، فقام بأمره، وحماه في صغره بماله وجاهه من اليهود، والعرب، وقريش، وكان يؤثره على أهله ونفسه وكيف لا يفعل هذا وهو يشاهد من ابن أخيه ولما يبلغ التاسعة من عمره هيكل القدس يملأ الدست هيبة، ورجاحة أكثر ضحكه الابتسام، ويأنس بالوحدة أكثر من الاجتماع، وإذا وضع له الطعام والشراب لم يتناول منه شيئا إلا قال: باسم الله الأحد، وإذا فرغ من الطعام حمد الله وأثنى عليه، وإن رصده في نومه شاهد النور يسطع من رأسه إلى عنان السماء (٢٠).

وكان يوما معه بزدي الجواز فعطش أبوطالب، ولم يجد الماء فجاء النبي ﷺ إلى صخرة هناك، فركله برجله فنبع من تحتها الماء العذب (٢١)، وزاد على ذلك توفر الطعام في بيته حتى أنه يكفي الجمع الكثير إذا تناول النبي منه شيئا (٢٢).

وهذا وحده كاف في الإذعان بأن أبا طالب كان على يقين من نبوة ابن أخيه ﷺ أضف الى ذلك قوله في خطبته لما أراد أن يزوجه من خديجة:

« وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل » (٢٣).

وكان يقول في وصيته لقريش عند الوفاة:

١٩) مرآة العقول ج ١ ص ٣٦٨.

٢٠) مناقب ابن شهر آشوب.

٢١) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٣٩.

٢٢) المصدر.

٢٣) المصدر.

« يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا إلا أحرزتموه، ولا شرفا إلا أدرتكموه، فلكم به على الناس الفضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة، والناس لكم حرب وإلى حربكم إلب، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البينة فإن فيها مرضاة للرب، وقواما للجأش، وثباتا للوطأة، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها؛ فان صلة الرحم منسأة للأجل وزيادة في العدد، واتركوا البغي والعقوق ففيهما شرف الحياة والممات، وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة؛ فإن فيهما محبة للخاص ومكرمة للعام.

واني أوصيكم بمحمد خيرا فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب كأني أنظر الى صعاليك العرب وأهل البور الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظموه، فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنانا، ودورها خرابا، وأعظمهم عليه أحوجهم اليه، وأبعدهم أقربهم عنده، قد محضته العرب وداها، وأصغت له فؤادها وأعطته قيادها.

دونكم يا معشر قريش المحافظة على ابن أخيكم وكونوا له ولاة ولحزبه حماة؛ والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلا سعد، ولا يأخذ بهديه إلا رشد، ولو كان للنفس مدة، وللأجل تأخير لكفيت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي.

وأنشد:

أوصي بنصر النبي الخيرُ مشهدةٌ عليا ابني وشيخ القوم عباسا
وحمزة الأسد الحامي حقيقته وجعفرأ أن يذودا دونه الناسا
كونوا فداء لكم أمي وما ولدت في نصر أحمد دون الناس أتراسا (٢٤)

ولما جاء العباس إلى أبي طالب يخبره بتألب قريش على معاداته قال له:

(٢٤) الدرجات الرفيعة للسيد علي خان بترجمة أبي طالب، واختصر هذه الوصية في تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٩، وطراز المجالس للخفاجي ص ٢١٧، وثمرات الأوراق للحموي بمامش المستطرف ج ٢ ص ١٠، وبلوغ الأرب ج ١ ص ٣٢٧ ط أول، وأسنى المطالب لزيبي دحلان ص ٥.

« إن أبي أخبرني أن الرسول على حق ولا يضره ما عليه قريش من المعادات له، وإن أبي طان يقرأ الكتب جميعا وقال: إن من صليبي نبيا لوددت أني أدركته فأمنت به فمن أدركه فليؤمن به (٢٥) ».

واستشهاده بكلمة أبيه القارئ للكتب الإلهية مع أنه كان يقرؤها مثله، يدلنا على تفننه في تنسيق القياس، وإقامة البرهان على صحة النبوة وأن الواجب اعتناق شريعته الحققة. أما هو نفسه فعلى يقين من أن رسالة ابن أخيه خاتمة الرسالات، وهو افضل من تقدمه قبل أن يشرق نور النبوة على وجه البسيطة، ولم تجهل لديه صفات النبي المبعوث، وعلى هذا الأساس أخبر بعض أهل العلم من الأخبار حينما أسر إليه بأن ابن أخيه الروح الطيبة والنبي المطهر على لسان التوراة والإنجيل فاستكتمه أبو طالب الحديث كي لا يفشو الخبر، ثم قال له: إن أبي أخبرني أنه النبي المبعوث وأمر أن أستر ذلك لئلا يغرى به الأعداء ولو لم يكن معتقدا صدق الدعوة لما قال لأخيه حمة لما أظهر الإسلام (٢٦):

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد وكان مظهرا للدين وفققت صابرا
وحط من أتى بالدين من عنده بصدق وحق لا تكن حمز كافرا
فقد سريري إذ قلت أنك مؤمن فكمن لرسول الله في الله ناصرا
وناد قريشا بالذي قد أتته جهارا وقال: ما كان أحمد ساحرا

وقال رادا على قريش (٢٧):

ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً نبيا كموسى خط في أول الكتب

وقال (٢٨):

وأمسى ابن عبد الله فيننا مصدقا على سخط من قومنا غير معتب

وقال (٢٩):

(٢٥) الحجة على الذاهب ص ٦٥.

(٢٦) المصدر ص ٧١.

(٢٧) خزنة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٢٦١.

(٢٨) الحجة على الذاهب ص ٤٥.

(٢٩) شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ٣١٣.

أَمِينٌ مُحِبٌّ فِي الْعِبَادِ مَسْوُومٌ
يَرَى النَّاسَ بِرَهَاناً عَلَيْهِ وَهَيْبَةً
نَبِيٌّ أَنَاءُ السُّوحِيِّ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ
بِحَاثِمِ رَبِّ قَاهِرٍ لِلخَوَاتِمِ
وَمَا جَاهِلٌ فِي فِعْلِهِ مِثْلُ عَالِمٍ
فَمَنْ قَالاً لَأَ، يَقْرَعُ بِهَا سِنَّ نَادِمٍ

ومما خاطب بها النجاشي:

تعلّم خييار الناس أن محمدا
أتى بالهدى مثل الذي أتيا به
وإنكم تتلونونه في كتابكم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا
وزير لموسى والمسيح ابن مريم
فكل بأمر الله يهدي ويعصم
بصدق حديث لا حديث المترجم
فإن طريق الحق ليس بمظلم

وقال (٣٠):

أذهب بني فما عليك غضاضة
والله لن يصلوا اليك بجمعهم
ودعوتي وعلمت أنك ناصحي
وذكرت ديننا لا محالة أنه
أذهب وقر بذاك منك عيوننا
حتى أوسدني التراب دفيننا
وصدقت ثم وكنت قبل أميننا
من خير أديان البرية ديننا

وبعد هذه المصارحة هل يخالج أحدا الريب في إيمان أبي طالب؟ وهل يجوز على من
يقول إنا وجدنا محمدا كموسى نبيا إلا الإعتراف بنبوته والإقرار برسالته كالأنبياء المتقدمين؟
وهل يكون إقرار بالنبوّة أبلغ من قوله « فأمسى ابن عبد الله فينا مصدقا »؟، وهل فرق بين
أن يقول المسلم: أشهد أن محمدا رسول الله وبين أن يقول (٣١):

وإن كان أحمد قد جاءهم بصصدق ولم يثبتهم بالكذب

أو يعترف الرجل بأن محمدا كموسى وعيسى جاء بالهدى، والرشاد مثل ما أتيا به، ثم
يحكم عليه بالكفر؟، وهل هناك جملة يعبر بها عن الاسلام اصرح من قول المسلم:

وذكرت ديننا لا محالة أنه من خير أديان البرية ديننا

٣٠) أورد الأبيات الزمخشري في الكشف ج ١ ص ٤٤٨ طع سنة ١٣٠٨، وابن دحلان في السيرة النبوية بهامش
السيرة الحلبية ج ١ ص ٩٧ طبع سنة ١٣٢٩، وأوردها ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٣ ص ٣٠٦ باختلاف
يسير، وفي خزنة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٢٦١، والإصابة ج ٤ ص ١١٦، وبلوغ الأرب ج ٢ ص ٣٢٥ طب سنة
١٣٤٢ ذكر البيت الثالث والرابع، وفي السيرة الحلبية ج ١ ص ٣١٣ البيت الثاني، وفي تاريخ أبي الفدا ج
ص ١٢٠ ثلاثة ابيات باختلاف يسير.

٣١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣٠٩.

كلاً، ولو لم يعرف أبوطالب من ابن أخيه الصدق فيما أخبر به لما قال له بمحضر قريش ليريه من فضله، وهو به خبير، وجنانه طامن: يا ابن أخي الله أرسلك؟ قال؟ « نعم »، قال أبو طالب: إن للأنبياء معجزة وخرق عادة فأرنا آية، قال النبي ﷺ: « يا عم ادع تلك الشجرة وقل لها: يقول لك محمد بن عبد الله: اقبلي بإذن الله » فدعاها أبو طالب فأقبلت حتى سجدت بين يديه ثم أمرها بالإنصراف فانصرفت.

فقال أبوطالب: أشهد أنك صادق، ثم قال لابنه: « يا علي الزمه. »^(٣٢) وفي بعض الأيام رأى علياً يصلي مع النبي فقال له: يا بني ما هذا الذي أنت عليه؟ قال: يا أبة أمنت بالله وبرسوله وصدقت بما جاء به ودخلت معه واتبعته، فقال أبوطالب: أما أنه لا يدعوك إلا إلى خير فالزمه^(٣٣).

وهل يجد الباحث بعد هذا ملتحداً عن الجزم بأن شيخ الأبطح كان معتقاً للدين الحنيف، ويكافح طواغيت قريش حتى بالصلاة مع النبي ﷺ، وإن أهمله فريق من المؤرخين رعاية لما هم عليه من حب الوقعة في أبي طالب ورميه بالقذائف حنقا على ولده أمير المؤمنين علياً، الذي لم يتسن لهم أي غميمة فيه، فتحاملوا على أمه وأبيه إيذاء له وإكثاراً لنظائر من يرمون إكباره، وإجلاله ممن سبق منهم الكفر، وحيث لم يسعهم الحط من كرامة النبي والوصي، عمدوا إلى أبويهما الكريمين فعزوا إليهما الطامات، وستروا ما يؤثر عنهما من الفضائل إثارة لما يروقهم إثباته.

يشهد لذلك ما ذكره بعض الكتاب عند ذكره أسرى بدر فانه قال: وكان من الأسرى عم النبي وعقيل ابن عمه (أخو علي)^(٣٤).

فلو كان غرضه تعريف المأسور لكان في تعريف عقيل بأنه ابن عم النبي كفاية كما اكتفى في تعريف العباس به، ولم يحتج أن يكتب بين قوسين (أخو علي) وأنت تعرف المراد من ذكر هذه الكلمة بين القوسين، والى أي شيء يرمز بها الكاتب، ولكن فاته الغرض، وهيهات الذي أراد ففشل.

ثم جاء فريق آخر من المؤرخين يحسبون حصر المصادر في ذوي الأغراض

(٣٢) الحجّة على الذهاب ص ٢٥.

(٣٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٤.

(٣٤) تاريخ الأمة العربية للمقدادي ص ٨٤ مطبعة الحكومة بغداد سنة ١٩٣٩ م.

المستهدفة، وأن ما جاؤا به حقائق راهنة فاقتصروا على مروياتهم مما دب ودرج، وفيها الخرافات وما أوحته إليهم الأهواء والنوايا السيئة ومن هنا أهملت حقائق ورويت أباطيل. فعزوا إلى أبي طالب قوله: إني لا أحب أن تعلوني أستي^(٣٥)، ثم رووا عنه أنه قال لرسول الله: ما هذا الدين؟ قال رسول الله:

« دين الله ودين ملائكته ورسله ودين أبينا إبراهيم بعثني الله به الى العباد، وأنت أحق من دعوته الى الهدى وأحق من أجابني »

فقال أبو طالب: إني لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي، والله لا يخلص اليك من قريش شيء تكرهه ما حييت^(٣٦).

فحسبوا من هذا الكلام أن أبا طالب ممن يعبد الأوثان، كيف وهو على التوحيد أدل، وجوابه هذا من أنفس التورية، وأبلغ المحاورة، فإن مراده من قوله لرسول الله عقيب قوله أنت أحق من دعوته: « إني لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي ». الاعتراف بإيمانه وأنه باق على حنيفية إبراهيم الخليل التي هي دين الحق ودينه ودين آبائه. ثم زاد أبو طالب في تطمين النبي بالمدافعة عنه مهما كان باقيا في الدنيا.

نعم من لا خبرة له بأساليب الكلام وخواص التورية يحسب أن أبا طالب أراد بقوله: إني لا أفارق ديني - الخ، الخضوع للأصنام فصفق طربا واختال مرحا. وجاء آخر يعتذر عنه بأن شيخ الأبطح كان يراعي بقوله هذا الموافقة لقريش ليمكن من كرامة النبي ﷺ وتمشية دعوته.

نحن لا ننكر أن أبا طالب كان يلاحظ شيئا من ذلك ويروقه مداراة القوم للحصول على غايته الثمينة كي لا يمس كرامة الرسول سوء لكننا لا نصافقهم في كل ما يقولونه من انسلاله عن الدين الحنيف انسلالا باتا، فإنه خلاف الثابت من سيرته حتى عند رواة تلکم المخزيات ومهملي الحقائق الناصعة حذرا عما لا يلائم خطتهم فلقد كان يراغم الطواغيت بما هو أعظم من التظاهر بالإيمان والإلتزام بالصلاة مع النبي ﷺ.

(٣٥) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٠٦.

(٣٦) الطبري ج ١ ص ٢١٣ وابن الأثير ج ٢ ص ٢١.

وانّ شعره الطافح بذكر النبوة والتصديق بما سرت به الركبان وكذلك أعماله الناجعة
حول دعوى الرسالة.

ولولا أبو طالب وابنه لما مثل السدين شخصا فقاما
فذاك بمكة آوى وحامها وهذا بيثرب جس الحماما
تكفل عبد مناف بأمر وأودى فكان علي تمامها
فلله ذا فاتح للهدي ولله ذا للمعالي ختامها
وما ضرر محمد أبي طالب عدو لغى وجهه ول تعامى

وخلاصة البحث أن أبا طالب حلقة الوصل بين سلسلة الوصاية عن الرسل الماضين
حتى أوصلها إلى النبي الأعظم ﷺ وكما تنتهي به الحلقات الغابرة فإن بولده أمير المؤمنين
تبتدى سلسلة الخلافة المحمدية ثم تتواصل في بينه الأطهرين حتى تنتهي الى حجة العصر
وناموس الدهر الحجة المهدي المنتظر عجل الله فرجه.

فبيت أبي طالب بيت ضرب على النبوة سرادقه، وبني على الوصاية أطرافه، ونيطت
بالدين أطنابه، وأسدل على العلم سحافه ووطدت على التقوى أوتاده.

إذا فما ظنك بمن ضمه هذا البيت وترى فيه فهل يعدوه أن يكون إما داعية إلى
الهدى أو مهذبا للبشر أو معلما للنواميس الإلهية أو هاديا إلى سبل السلام أو قائدا إلى
الصالح العام.

نعم لا يجوز أن يكون من حواه هذا البيت إلا كما وصفناه بعد أن كان نصب عينه
الأعلام الالهية وملء اذنه الوحي والإلهام، وحشو فؤاده نكت من عالم الغيوب ومعه التمارين
المسعدة والتعاليم المصلحة.

وقد لى هتاف الدعوة الالهية زوج شيخ الأبطح التي شهد لها الرسول الأمين بأنها من
الظاهرات الطيبات المؤمنات في جميع أدوار حياتها، والعجب ممن اغترّ بتمويه المبطلين فدوّن
تلك الفرية زعما منه أنها من فضائل سيد الأوصياء وهي: أن فاطمة بنت أسد (ؑ) دخلت
بيت الحرام حاملة بعلي بن أبي طالب فأرادت أن تسجد لهبل

(٣٧) في نهاية الارب للنويري ج ٢ ص ٣٤١ هي بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وهي أول هاشمية
تزوجت هاشميا، وعند ابن جرير الطبري في التاريخ ج ٦ ص ٨٩، وابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٥٨، وأبو الفداء
في المختصر ج ١ ص ١٧٠، وابن كثير في البداية ج ٧ ص ٣٣٢ كما في النهاية.

فمنعها علي عليه السلام وهو في بطنها.

وقد فات المسكين أن في هذه الكرامة التي حسبها طعنا بتلك الذات المبرأة من رجس الجاهلية وذنس الشرك، وكيف يكون أشرف المخلوقات بعد خاتم الأنبياء المتكون من النور الألهي مودعا في وعاء الكفر والجحود.

كما أنهم أبعدوها كثيرا عن مستوى التعاليم الآلهية ودروس خاتم الأنبياء الملقاة عليها كل صباح ومساء وفيها ما فرضه المهيمن سبحانه على الأمة جمعاء من الإيمان بما حبا ولدها الوصي بالولاية على المؤمنين حتى اختص بها دون الأئمة من أبناءه وإن كانوا نورا واحدة ولقد غضب الإمام الصادق عليه السلام على من سماه أمير المؤمنين وقال: « مه لا يصلح هذا الإسم إلا لجدي أمير المؤمنين ».

فرووا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقف على قبرها وصاح: « ابنك علي لا جعفر ولا عقيل » ولما سئل عنه أجاب: « ان الملك سأها عمّن تدين بولايته بعد الرسول فحجّلت أن تقول ولدي » (٣٨).

أمن المعقول أن تكون تلك الذات الطاهرة الحاملة لأشرف الخلق بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعيدة عن تلك التعاليم المقدسة؟، وهل في الدين حياة، نعم أرادوا أن يزحزحوها عن الصراط السوي ولكن فاتهم الغرض وأخطأوا الرمية.

فإن الصحيح من الآثار ينص على أن النبي لما أنزلها في لحدّها ناداها برفع صوت: « يا فاطمة أنا محمد سيد ولد آدم ولا فخر فإذا أتاك منكر ونكير فسألك من ربك، فقولي: الله ربي، ومحمد نبيي، والإسلام ديني، والقرآن كتابي، وإبني إمامي ووليي، ثم خرج من القبر وأهال عليها التراب ». (٣٩)

ولعلّ هذا خاص بها ومن جرى مجراها من الزاكين الطيبين كفاطمة الزهراء عليها السلام فإن الحديث ينص على أنّها لما سأها الملكان عن ربها قالت: الله ربي، قالوا: ومن نبيك؟ قال: أبي، قالوا: ومن وليك؟ قالت: هذا القائم على شفيع قبري

(٣٨) خصائص أمير المؤمنين للسيد الرضي وفي طريق الحديث محمد بن جمهور العمى الضعيف بنص النجاشي والكشي وابن الغضائري والعلامة الحلبي.
(٣٩) مجالس الصدوق ص ١٨٩ مجلس ٥١.

علي أبي طالب (٤٠).

وإلا فلم يعهد في زمان الرسالة تلقين الأموات بمعرفة الولي بعد النبي فإن غاية ما جاء عنه ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنها تخدم الخطايا».

والخدشة في هذا الحديث واضحة فإن الاعتراف بالرسالة كالإعتراف بالتوحيد متلازمان، وتلقين الأموات إنما هو لأجل أن يكون العبد الراحل عن هذه الدنيا باقيا على ما هو عليه فيها حتى في آخر المنازل، فالإقرار بأحدى الشاهداتين لا ينفك عن الأخرى، فهذا الحديث الناص على الإقرار بكلمة التوحيد مع السكوت عن الشهادة بالرسالة لني الإسلام لا نعرف سنده ليكون شاهدا ودليلا.

وعلى كل فتخصيص زوج أبي طالب بذلك التلقين كالتكبير عليها أربعين خصائصها لأن التكبير على الأموات خمس.

وبالرغم من هاتيك السفاسف التي أرادوا بها الحط من مقام والدة أمير المؤمنين ﷺ أظهر النبي ﷺ أمام الأمة ما أعرب عن مكانتها من الدين وأنها بعين فاطر السماء سبحانه حين كنفها بقميصه الذي لا يبلى لتكون مستورة يوم يعرى الخلق، وكان الاضطجاع في قبرها إجابة لرغبتها فيه عندما حدثها عن أحوال القبر وما يكون فيه من ضغط ابن آدم. ولولا التنازل لرغبتها لما كان لا اضطجاعه ﷺ معنى فإن المؤمن المعترف بولاية أمير المؤمنين لا تصيبه الضغطة كما في صحيح الأثر فكيف بالوعاء الحامل لمن تكون من النور الأقدس.

فتحصل أن هذا البيت الطاهر بيت أبي طالب بيت توحيد وإيمان ولهدى ورشاد، وأ، من حواه البيت رجالا ونساء كلهم على دين واحد منذ هتف داعية الهدى، وصدع بأمر الرسالة غير أنهم بين من جاهر باتباع الدعوة وبين من كتم الإيمان لضرب من المصلحة. وقد لبث هذا الهتاف أم هاني بنت أبي طالب فكانت من السابقات إلى الإيمان كما عليه صحيح الأثر وفي بيتها نزل النبي ﷺ من المعراج وهو في السنة الثالثة من البعثة وحدثها بأمره قبل أن يخرج إلى الناس، وكانت مصدقة له غير أنها خشيت تكذيب قريش إياه، وعليه فلا يعبر بما زعم من تخر إسلامها إلى عام

(٤٠) الإصابة لاب حجر ج ٢ ص ٤٧٨ بترجمة عروة بن مسعود.

الفتح سنة ثمان من الهجرة.

وكانت وفاتها أما في أيام النبي ﷺ كما في مناقب شهر آشوب ج ١ ص ١١٠،
وأما في خلافة معاوية كما في تقريب التهذيب لابن حجر ص ٦٢٠، وحينئذ فليست هي
المعينة بما في كامل الزيارة لابن قولويه ص ٩٦: وأقبلت إليه بعض عماته تقول: إشهد يا
حسين لقد سمعت قائلاً يقول:

وإن قـتـيـل الطـف من آل هاشم أذل رقابـا من قـريش فـذلت

عقيل

لقد كان عقيل بن أبي طالب أحد أغصان الشجرة الطيبة وممن رضي عنهم الرسول ﷺ فإن النظرة الصحيحة في التاريخ تفيدنا اعتناقه الإسلام أول الدعوة وكان هذا مجلبة للحب النبوي حيث اجتمعت فيه شرائط الولاء، من رسوخ الإيمان في جوانحه، وعمل الخيرات بجوارحه، ولزوم الطاعة في أعماله، واقتفاء الصدق في أقواله، فقول النبي: « إني أحب عقيلًا حبين، حبا له وحبا لحب أبي طالب له ^(١) » إنما هو لأجل هاتيك المآثر وليس من المعقول كون حبه لغاية شهوية أو لشيء من عرض الدنيا.

إذا فحسب عقيل من العظمة هذه المكانة الشامخة وقد حدثه قوة الإيمان إلى أن يسلق أعداء أخيه أمير المؤمنين عليه السلام بلسان حديد خلده عارا عليهم مدى الحقب والأعوام. على أن حب أبي طالب له لم يكن محض النبوة فإنه لم يكن ولده البكر ولا كان أشجع ولده ولا أوفاهم ذمة ولا ولده الوحيد، وقد كان في ولده مثل أمير المؤمنين وأبي المساكين جعفر الطيار وطالب وهو أكبرهم سنا، وإنما كان شيخ الأبطح يظهر مرتبة من الحب له مع وجود ولده « الامام » وأخيه الطيار لجمعه الفضائل والفواضل موروثا ومكتسبة.

(١) نص على هذه الجملة فقط في مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٥٧٦، وتذكرة الخواص ص ٧، والسير الحلبية ج ١ ص ٣٠٤، ونكت الهميان ص ٢٠٠، ولها زيادة في حق ولده مسلم نص عليها الصدوق في الأمالي ص ٧٨ مجلس ٢٧ سندكرها في فضل البكاء عليه.

وبعد أن فرضنا أبا طالب حجة وقته، وأنه وصي من الاوصياء لم يكن يجابي أحدا بالمحبة وان كان أعز ولده، إلا أن يجده ذلك الانسان الكامل الذي يجب في شريعة الحق ولاءه.

ولا شك أن عقيلاً لم يكن حائداً عن الطريقة التي عليها أهل بيته أجمع من الايمان والوحدانية لله تعالى وكيف يشد عن خاصته وأهله وهو وإياهم في بيت واحد وأبو طالب هو المتكفل تربيته وإعاشته، فلا هو بطارده عن حوزته ولا بمبيده عن حومته ولا بمتضجر منه على الاقل وكيف يتظاهر بحبه ويدينه منه كما يعلمنا النص النبوي السابق لو لم يتوثق من إيمانه وتيقن من إسلامه غير أنه كان مبطناً له كما كان أبوه وأخوه طالب وإن كنا لا نشك في تفاوت الإيمان فيه وفي أخويه الطيار وأمير المؤمنين، وحيث لم يكن عقيل بدعا من هذا البيت الطاهر الذي بني الاسلام على علاله فهو مؤمن بما صدق به الرسول منذ هتف داعية الهدى - صلوات الله عليه وعلى آله -

إلى الشام:

لقد كانت الرواية في سفر عقيل الى الشام في أنه على عهد أخيه الإمام أو بعده متضاربة واستظهر ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٣ ص ٨٢ أنه بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام وحزم به العلامة الجليل السيد علي خان في الدرجات الرفيعة، وهو الذي يقوى في النظر بعد ملاحظة مجموع ما يؤثر عنه في هذا الباب، وعليه تكون وفادته كوفود غيره من الرجال المرضيين عند أهل البيت الى معاوية في تلك الظروف القاسية بعد أن اضطرتهم إليه الحاجة وساقهم وجه الخيلة في الإبقاء على النفس والكف من بوادر الرجل فلاهم بملومين بشيء من ذلك ولا يحط من كرامتهم عند الملاء الديني؛ فإن للتقية أحكاماً لا تنقض ولا يلايم المضطر على أمر اضطر إليه.

على أن عقيلاً لم يؤثر عنه يوم وفادته على معاوية إقرار له بإمامة ولا خضوع له عند كرامة، وإنما المأثور منه الوقعة فيه والظعن في حسبه ونسبه والحط من كرامته والإحصار بمطاعنه مشفوعة بالإشارة بفضل أخيه سيد الوصيين.

فمن ذلك أن معاوية قال له: يا أبا يزيد أخبرني عن عسكري وعسكر أخيك، فقال

عقيل:

« لقد مررت بعسكر أخي فاذا ليل كليل رسول الله ونهار كنهاره إلا أنّ

رسول الله ليس فيهم، وما رأيت فيهم إلا مصلياً ولا سمعت إلا

قارئاً، ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين ممن نفر برسول الله ليلة العقبة» (٢).

وقال له معاوية: إن علياً قطع قرابتك ولم يصلك، فقال عقيل:
« والله لقد أجزل أخي العظيمة وأعظمها، ووصل القرابة وحفظها، وحسن
ظنه بالله إذ ساء به مثلك وحفظ أمانته وأصلح رعيته إذ خنتم وأفسدتم
فاكفف لا أباك فإنه عما تقول بمعزل» (٣).

ثم صاح:

يا أهل الشام لقد وجدت أخي قد جعل دينه دون دنياه، وخشي الله
على نفسه، ولم تأخذه في الله لومة لائم، ووجدت معاوية قد جعل دنياه
دون دينه، وركب الضلالة واتبع الهوى، فأعطاني ما لم يعرق فيه جبينه، ولم
تكدر فيه يمينه، رزقا أجراه الله على يديه، وهو المحاسب عليه دوني لا
محموداً ولا مشكوراً.

ثم التفت إلى معاوية وقال:

أما والله يا ابن هند ما تزال منك سوائف يمرها منك قول وفعل فكأني بك
وقد أحاط بك ما الذي منه تحاذر.

فأطرق معاوية ثم قال: ما الذي يعذرني من بني هاشم، وأنشأ:

أزِيدهم الإكرام كي يشعبوا العصا	فيأبوا لى الإكرام أن يكرموا
وذا عطفتمني رقتان عليهم	نأوا حسدا عني فكانوا هم هم
وأعطيتهم صفو الأخوا فكأنني	معا وعطاياي المباحة علقم
وأغضبي عن الذنب الذي يقيله	من القوم إلا الهز بري المعم
حبا واصطبارا وانعطافا ورقة	وأكظم غيض القلب إذ ليس يكظم

أما والله يا ابن أبي طالب لولا أن يقال عجل معاوية لخرق ونكل عن جوابك لتركت
هامتك أخف على أيدي الرجال من حوي الحنظل.

فأجابه عقيل:

(٢) الدرجات الرفيعة بترجمته.

(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ١٣٤ في باب الأجوبة المسكتة.

غدريك منهم من يلوم عليهم ومن هو منهم في المقالة أظلم
لعمرك ما أعطيتهم منك رافعة ولكن لأسباب وحولك علقم
أبي لهم أن ينزل النذل عنوة إذا ما طغيا الجبار كانوا هم
فدونك ما أسديت فاشدد يدا به وحيروكم الميسوط والشر فالزموا

ثم رمى عقيل عليه بالمائة ألف درهم وقام من مجلسه فكتب اليه معاوية: أما بعد يا بني عبدالمطلب أنتم والله فرع قصي ولباب عبد مناف وصفوة هاشم، ولكم الصفح الجميل فإن أحلامكم لراسخة، وعقولكم لكاسية، وحفظكم الأوامر، وحبكم العشائر، ولكم الصفح الجميل والعفو الجزيل مقرونان بشرف النبوة وعز الرسالة وقد والله ساءني ما كان جرى ولن أعود لمثله إلى أن اغتیب الثرى، فكتب اليه عقيل:

صدقت وقلت حقا غير أنني أرى ألا أراك ولا تـــــــراني
ولست أقول سوء في صديقي ولكـــــــني أصد إذا جفاني

فكتب اليه معاوية يستعطفه ويناشده الصفح وألح عليه في ذلك فرجع اليه ^(٤). فقال معاوية: لم جفوتنا يا أبا يزيد؟ فأنشأ يقول:

وإني امرؤ مـــــــني التكرم شـــــــيمة إذا صاحبي يوما على الهون أضمر
ثم قال:

يا معاوية لئن كانت الدنيا أفرشتك مهادها، وأظلتك بسراداتها، مدت عليك أطناب سلطانها ماذا بالذي يزيدك مني رغبة وتخشعا لرهبتة.
فقال معاوية: لقد نعتها أبو يزيد نعتا هش له قلبي، ثم قال له: لقد أصبحت يا أبا يزيد علينا كريما وإلينا حبيبا وما أصبحت أضمر لك إساءة ^(٥).

هذا حال عقيل مع معاوية وحينئذ فأبي نقص يلّم به والحالة هذه وعلى الوصف الذي أتينا به تعرف أنه لاصحة لما رواه المتساهلون في النقل من كونه مع معاوية بصفين فإنه مما لم يتأكد اسناده ولا عرف متنه ويضاده جميع ما ذكرناه.

كما يبعده كتابه من مكة إلى أمير المؤمنين حين أغار الضحاك على الحيرة وما

(٤) ربيع الأبرار للزمخشري في باب المعاتبات.

(٥) العقد الفريد ج ١ ص ١٣٥.

والاها وذلك بعد حادثة صفين.

كتاب عقيل

فإنه كتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله أمير المؤمنين من عقيل بن أبي طالب: سلام الله عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن الله حارسك من كل سوء وعاصمك من كل مكروه وعلى كل حال فإني خرجت من مكة معتمرا فلقيت عبد الله بن أبي سرح مقبلا من « قديد » في نحو من أربعين شابا من أبناء الطلقاء فعرفت في وجوههم المنكر فقلت: إلى أين يا أبناء الشائنين، أجمعوا للاحقون عداوة لله منكم غير مستنكرة تريدون إطفاء نور الله وتبديل أمره؟ فأسمعي القوم واسمعتهم.

فلما قدمت مكة سمعت أهلها يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة فاحتمل من أموالها ما شاء ثم انكفأ راجعا سالما، وإن الحياة في دهر جزأ عليك الضحاك لذميمة وما الضحاك الأفقع بقرقر وقد توهمت حيث بلغني ذلك أن شيعتك وأنصارك خذلك فكتب إلي يا ابن أبي برأيك، فإن كنت الموت تريد تحملت إليك ببني أخيك وولد أبيك فعشنا معك ما عشت، ومنتنا معك إذا مت فوالله ما أحب أن أبقى في الدنيا بعدك فواق ناقة وأقسم بالأعز الأجل أن عيشا نعيشه بعدك لاهنيء ولا مريء ولا نجيع، والسلام.

كتاب أمير المؤمنين:

وكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أمير المؤمنين إلى عقيل بن أبي طالب: سلام الله عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد كالأنا الله وإياك كلاءة من يغشاه، وقد وصل إلي كتابك مع عبد الرحمن بن عبيد الأزدي، تذكر فيه أنك لقيت عبد الله بن أبي سرح مقبلا من « قديد » في نحو أربعين فارسا من أبناء الطلقاء متوجهين إلى جهة المغرب، وأن ابن أبي سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه، وصد عن سبيله وبغاه عوجا، فدع عنك ابن أبي -

سرح ودع عنك قريشا وتركاضهم في الضلال ونحوالمهم في الشقاق.

ألا وإن العرب أجمعت على حرب أخيك اليوم إجماعها على حرب النبي قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقه، وجحدوا فضله، وبادروه بالعداوة، ونصبوا له الحرب، وجهدوا عليه الجهد، وجروا إليه جيش الأحزاب، اللهم فأجز قريشا عني الجوازي؛ فقد قطعت رحمي، وتظاهرت علي، ودفعتني عن حقي، وسلبتني سلطان ابن أمي وسلمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابة من الرسول، وسابقتني في الإسلام، إلا أن يدعي مدع ما لا أعرفه، ولا أظن الله يعرفه، والحمد لله على كل حال.

وأما ما ذكرت من غارة الضحاك على أهل الحيرة فهو أقل وأقل أن يسلب بها وأن يدنو منها، ولكنه قد أقبل في جردة خيل فأخذ على السماوة حتى قربوا من واقصة وشراف، والقطقطانة وما إلى ذلك الصقع، فوجهت إليه جندا كثيفا من المسلمين، فلما بلغه ذلك فرها ربا، فاتبعوه ولحقوه ببعض الطريق وقد أمعن، وكان ذلك حين طفلت الشمس للإياب فتناوشوا القتال قليلا فلم يبصر غلا بوقع المشرفية وولى هاربا، وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلا، ونجا جريضا بعد ما أخذ منه بالمخنق فلأيا بلأي ما نجا.

وأما ما سألتني أن أكتب اليك برأي فيما أنا فيه، فإن رأيتي جهاد المحلين حتى ألقى الله، لا يزيدني كثرة الناس عزة، ولا تفرقهم عني وحشة لأني محق، والله مع الحق، ووالله ما أكره الموت على الحق، وما الخير كله إلا بعد الموت لمن كان محقا.

وأما ما عرضت به من مسيرك إلي بينيك وبني أيبك، فلا حاجة لي في ذلك فأقم راشدا محمودا فوالله ما أحب أن تهلكوا معي أن هلكت، ولا تحسبن ابن أيبك لو أسلمه الناس متخشعا متضرعا « ولا مقرا للضميم واهنا، ولا سلس الزمام للقائد، ولا وطىء الظهر للراكب المقتعد »^(٦) ولكنه كما قال أخو بني سليم:

فان تسأليني كيف أنت فإنني صبور على ريب الزمان صليب
يعز علي أن ترى بي كتابه فيشمت باغ أو يساه حبيب

وهذا الكتاب من عقيل المروي بطرق متعددة^(٧) يدلنا على أنه كان مع أخيه

(٦) الجملة بين قوسين في النهج ج ٢ ص ٦٤.

(٧) روى الكتابين أبو الفرج في الأغاني ج ١٥ ص ٤٤، وابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ١٥٥، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج ١ ص ٤٥، والسيد علي خان في الدرجات الرفيعة بترجمة عقيل، وفي جمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٥٩٦.

أمير المؤمنين عليه السلام في حياته غير مفارق له، فإن الكتاب الذي كتبه إليه بعد غارة الضحاك على أطراف الحيرة، وذلك قرب شهادة أمير المؤمنين عليه السلام.
إذا فالقول بأن وفادة عقيل على معاوية بعد أخيه متعين كما اختاره السيد المحقق السيد علي خان في الدرجات الرفيعة، وجعله ابن أبي الحديد الأظهر عنده، وقد ظهر من ذلك أنه لم يكن مع معاوية بصفين.

حديث الحديدية:

أما حديث الحديدية المحمّاة التي أدناها منه أمير المؤمنين عليه السلام فليس فيه ما يدل على اقترافه إنما أو خروجاً عن طاعة، وإنما أراد أمير المؤمنين بذلك تهديبه بأكثر مما تنهذب به العامة، كما هو المطلوب من مثل عقيل والمناسب لمقامه، فعرفة سيد الأوصياء أن إنساناً بلغ من الضعف إلى أن يئن من قرب الحديدية المحمّاة بنار الدنيا من دون تمسه كيف يتحمل نار الآخرة في لظى، نزاعة للشوى، وهو مضطرم بين أوارها.

فمن واجب الإنسان الكامل التبعد عنها بكبح النهمّة وكسر سورة الجشع والمكابدة للملمات القاسية، فهي مجلبة لمرضات الرب ومكسبة لغفرانه وان كان غيره من أفراد الرعية يتبعد عنها بترك المحرمات فحقيق بمثل عقيل - وهو ابن بيت الوحي ورجالات عصابة الخلافة - التجنب حتى عن المكروهات وما لا يلائم مقامه من المباحات ويروض نفسه بترك ذلك كله حتى تقتدي به الطبقات الواطئة بما يسعهم أو يسلون أنفسهم بمقاسات مثل عقيل الشدائد في دنياه فلا يعضهم الفقر الملمّ والكرب المدلهم، فرب مباح ينقم عليه من مثله ولا يلام من هو دونه بارتكابه فإن « حسنات الأبرار سيئات المقربين » وأمير المؤمنين أراد أن يوقف أخاه عقيلاً على هذا الخطر الممنع الذي حواه وقد ذهل عنه في ساعته وإلا فعقيل لم يقترب مآثماً حتى يكون ذلك عقوبة له.

افتراء على عقيل:

قال الصفدي: لقد بغض عقيلاً إلى الناس ذكره مثالب قريش، وما أوتي من فضل وعلم بالنسب والسرعة في الجواب، وكانت تبسط له طنفسة في مسجد رسول الله

يصلّي عليها، ويجتمع إليه الناس لمعرفة أنساب العرب وأبائهم وأخبارهم فقال أعداؤه فيه ونسبوه الى الحق (٨).

واختلفوا عليه أحاديث كان بعيدا عنها حتى وضعوا على لسان أمير المؤمنين ما ينقص من قدره ويحط من كرامته زعما منهم أن في ذلك تشويها لسمعة هذا البيت الطاهر بيت أبي طالب باخراج أهله عن مستوى الإنسانية فضلا عن الدين، بعد ان أعوزتهم الوقعة في سيد الأوصياء عليه السلام بشيء من تلك المفتريات. فطفقوا يشوهون مقام أبيه وحامته، ولكن لا تنطلي تلکم الزخارف على الجليل المنقب حتى كشف عن نواياهم السيئة وعرف المألأ افتعال الحديث وبعده عن الصواب.

قالوا في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: مازلت مظلوما منذ كنت صغيرا، أن عقيلاً ليرمد فيقول: لا تدريني حتى تدرؤا عليا، فأضطجع وأذرى وما بي رمد.

لم أقرأ هذا الحديث إلا وأأخذني العجب. كيف رضى المفتعل بهذه القرية البينة، فإن أمير المؤمنين ولد ولعقيل عشرون سنة، وهل يعتقد أحد أو يظن إنسانا له من العمر ذلك المقدار إذا اقتضى صلاحه شرب الدواء يمتنع منه إلا إذا شرب مثله أخوه البالغ سنة واحدة أو سنتين، كلا لا يفعله أي أحد وإن بلغ الغاية في الخسة والضعف، فكيف بمثل عقيل المترى بحجر أبي طالب والمرتضع در المعرفة خصوصا مع ما يشاهده من الآيات الباهرة من أخيه الإمام منذ ولادته.

إن الضغائن والأحقاد تحبذ لمن تخلق بها التردد في العمى والخبط في الضلال من دون روية وتفكير؛ « استَحَوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ».

نعم كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول غير مرة: « ما زلت مظلوما (٩) » من دون تلك الزيادة، يعني بذلك دفعه عن حقه الواجب على الأمة القيام به والميل عنه وتعطيل أحكام الله بالأخذ من غيره وتقديم من ليس له قدم ثابت في كل مكرمة، ولا نص من صاحب الشريعة، ولا فقه ناجع، ولا إقدام في الحروب، وحيث أن في هذه الكلمة حظا بمن ناوأه زحزحوها عنهم، وألصقوها بالسيد الكريم، وما أسرع أن عاد

(٨) نكت الهميان ص ٢٠٠.

(٩) الشافي للسيد المرتضى ص ٢٠٣.

السَّهْم فكان كالباحث عن حتفه بظلفه.

الخلف عن عقيل:

الخلف الصالح يخلد ذكر سلفه فلا يزال ذكره حيا بعمره الثاني من ذكره جميل وثناء جزيل وترحم متواصل واستغفار له منه وممن تعرّف به وفي الحديث: « ان ابن آدم اذا مات انقطع عمله من الدنيا إلا من ثلاث » وعد منها الولد الصالح، ومن أجلى الواضحات أن هذا التذكير يختلف حسب تدرج الأولاد في المآثر، فمهما كان قسطهم منها أكثر فهم لمجد آبائهم أخلد، وكذلك الأسلاف فكلما كانوا في الشرف والسودد أقرب فانتشار فضلهم بصالحي خلفهم أسرع.

إذا فما ظنك بمثل عقيل بن أبي طالب ذلك الشريف المبجل، وقد خلفه في المآثر « شهيد الكوفة » وولده الأطائب شهداء الطف الذين لم يسبقهم سابق ولا يلحقهم لاحق. ومن هنا كان السجاد عليه السلام يعطف على ولد آل عقيل أكثر من ولد آل جعفر، فقيل له في ذلك، قال:

« إني أذكر يومهم مع أبي عبدالله الحسين عليه السلام فأرق لهم ^(١٠) ».

فلولم يكن لعقيل شيء من الخطر والعظمة لتسئم بمؤلاء الأكارم أوج العلى والرفعة. وكم أب قد علا بابن ذرى شرف كما علا برسول الله عندنان فكيف به وهو من أشرف عنصر في العالم كله.

ولم يزل له ذكر خالد في أحفاده المتعاقبين فإنهم بين علماء أعظم وفقهاء مبرزين وشعراء ومحدثين وأمراء صالحين ونسّابين، وقد انتشروا في مصر واليمن وحلب وبيروت ونصيبين والمدينة والكوفة والحلة وطبرستان وخراسان وجرجان وكرمان وقم واصفهان. وكان القاسم بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عقيل بن ابي طالب فاضلا تقيا وأخوه عقيل جليل ثقة، صاحب حديث وعمهما عقيل بن عبدالله نسابة مشجرا، وحفيد

(١٠) كامل الزيارة لابن قولويه ص ١٠٧.

عقيل هذا جعفر بن عبدالله الاصفهاني عالم نسابة شيخ شبل ابن تكين مات سنة ٣٣٤ هـ. ومحمد بن مسلم بن عقيل بن عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب يعرف بابن المزينة كان أمير المدينة قتله ابن أبي الساج.

وابنه أبو القاسم أحمد بن محمد المذكور، له أدب وفضل مات سنة ٣٣٠، والعباس بن عيسى الأوقص ولي القضاء للداعي الكبير الحسن بن زيد على جرجان وقد أولد بكرمان (١١).

وعبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي الفتح بن محمد بن عقيل العقيلي الطالبي ولد سنة ٦٩٨، وتوفي سنة ٧٦٩، ولي القضاء وقرأ القرءات السبع على الصائغ، وله تفسير القرآن في مجلدين والجامع النفيس (١٢).

ومن أحفاد عقيل بن أبي طالب السيد إسماعيل بن السيد أحمد المازندراني الطبرسي النوري، فقيه من فقهاء الامامية، متبحر في العلم، واسع الاطلاع، قيق النظر، وكان من اساتذة سيد الأمة ومجدد المذهب السيد ميرزا محمد حسن الشيرازي، وميرزا حبيب الله الرشدي، سكن النجف، وكانت له الإمامة في الجماعة دخل المشهد المطهر، وله تأليف رائقة في العقائد والأخلاق، منها كفاية الموحدين في أصول الدين، طبعت بالفارسية في ثلاث مجلدات، وله في شرح نجات العباد لشيخ الطائفة صاحب الجواهر رحمته الله، طبع منه مجلدان في الطهارة والصلاة، وله كتاب في أصول الفقه رآه شيخنا الجليل المدقق الشيخ آغا بزرك صاحب الذريعة عند صهره الشيخ علي المدرس الطهراني توفي غرة شعبان سنة ١٣٢١ هـ في الكاظمية ودفن في الصحن الشريف (١٣).

وفي كربلاء من أحفاد عقيل بن أبي طالب بيت كبير وطائفة جليلة يعرفون بالعقبليين لهم أوقاف كثيرة

(١١) عمدة الطالب.

(١٢) طبقات القراء ج ١ ص ٤٢٨.

(١٣) أعيان الشيعة ج ١١ ص ٢٥٣.

حياة مسلم بن عقيل ؑ

ولادة مسلم ؑ:

لقد أشرق الكون بهذا الميلاد المبارك، وتأرجح فيه بنجره الشذيّ يوم برز الى عالم الشهود بعد تقلب متناول، بين أصلاب طاهرة، وأرحام زاكية، غير مدنسة بدران الكفر، ولا موصومة بأدناس الجاهلية الأولى في نسب متصل بنسب صاحب الرسالة ﷺ وحسب موروث من « شيخ الأبطح » الآنف ذكر شرفه وشرف بيته الرفيع وبينهما حلقة الوصل مثل عقيل الذي تقدم وصفه وذكر منزلته من العظمة والإيمان والشرف.

ولقد تلقى عقيل دروسا ضافية من صاحب الدعوة الالهية وأخيه الخليفة على الأمة عند انقضاء أمد الوحي المبين، وفيها ما يجب على الرجال من اختيار المحل الصالح لحمل تلكم النطف الزاكية وفي جملتها التحذير من منابت السوء المفسر على لسان المشرع الأعظم ﷺ بالمرأة الدينئة الأصل^(١) لكون الوراثة حاكمة بطبعها الأولي على الفضائل المطلوبة من الولد اللهم إلا مع مزاحمة الكسبيات لها وظهورها عليها كما هو المشاهد من الرجال الذي اتصلوا بالذوات المقدسة فحصل لهم بواسطتها اسمى الخصال الطيبة وفاضوا بالرضوان الأكبر.

ومن المقطوع به أن عقيلاً مع حيظته بأنساب العرب ومواقع المآثر والحازي وإيمانه بتلكم الدروس الراقية لم يختار لنطفته إلا محلاً لائقاً تتعداه كل غميمة وتقترب منه الفضيلة ولم يستهسل أن يبرز عقبه بما لا يلائم نسبه الوضاح وبيتهم المنيع كما كان

(١) المقنعة للشيخ المفيد ص ٧٩، والجزازات النبوية للشريف الرضي ص ٦١ طبع مصر.

يقال في كثيرين من أهل عصره وذرياتهم.

ويشهد له وقفة أولاده بمشهد الطف يوم التطمت أمواج الضلال وتحرّبت عصب
الشرك على سيد شباب أهل الجنة وقطعوا عنه خطوط المدد وحالوا دون الوسائل الحيوية
حتى الماء المباح لعامة الحيوانات، يريدون بذلك استئصال شأفة النبوة فكتبوا بدمائهم الزاكية
اسطرا نورية على جبهة الدهر تقرؤها الأجيال المتعاقبة، ويتعرفون منها مناهج مودة العز وأن
الحياة مع الظالمين ذميمة.

فظهر مسلم عليه السلام بين هذه وتلك ألقا وضاء للحق وشخصية بارزة للدين والهدى
متأهلا لحمل أعباء النيابة الخاصة عن حجة الوقت ولذلك اختاره لها سيد الشهداء عليه السلام
من بين ذويه وحشده الأتاب.

ومن هذا الإستنباط يعلم طهارة « أمه » عن كل ما تغمز به النساء وأنها متحلية
بالمفاخر وإن لم يعطها التأريخ حقها كما لم يعط حق ولدها المعظم الثابت له.

نعم للتأريخ والمؤرخين شغل شاغل بذكر أخبار القيان والمغنين وسرد روايات أهل
الخلاعة والمعازف عن إثبات أحاديث سروات المجد وقادة الإصلاح من بني هاشم.

وهل النعمة ههنا على الكتاب أو ظروف التدوين أو السياسات القاسية أنا لا أدري،
ولهذا كله خفى علينا يوم ولادتها وشهرها وسنتها، وكان من الصعب جدا تحديدها وكلما
يقال فهو تقريب واستحسان ولا يغني من الحق شيئا.

وستقف في البحث المتعلق بأم مسلم على شيء ربما يستكشف المتأمل منه مبدأ
الولادة.

أمه عليها السلام:

إن غموض التعريف عن أم مسلم بأجلى المظاهر، أوقع الباحث في حيرة السؤال عن
اقتران عقيل منها، هل كان بالعقد أم بملك اليمين، وأنها حرة أم جارية؟، والعتب في ذلك
على المؤرخين الذين أهملوا الحقائق مع تحفظهم على أمور تافهة لا يقيم لها وزن، وإن من
الجدارة التعريف بنواحي هذا الرجل العظيم الذي دخل الكوفة وحده بلا عدة ولا عدد،
فدوى أرجاءها بصرخته الحسينية في وجه المنكر، وأقلق فكر الممثل للزعامة الأموية في الشام
ولعل من هذا الإغفال يستطيع الباعث الجزم بأن ما يلم « بابن عقيل » كان على أبعد حد
من الفضائل والفواضل سواء من ناحية أمه وأبيه أو من بيته

الزُفيع فانه لو كان هناك طريق للغمز فيه ولو من جهة تأريخ امه لتذرع به المنحرفون عنه وعن سلفه الطاهر كما هو ديدنهم فيمن ضمهم هذا البيت أو انضوى إلى رأيتهم ومشى على ضوء تعاليمهم.

وليس للمؤرخين إلا نصان أحدهما بعيد عن الواقع كما ستعرف، والآخر على ما فيه من غموض وإجمال يمكن للمتأمل فيه، وفيما كتب عن أصل النبط الإذعان بأن « أم مسلم « عربية حرة، ولعل ترك ابن زياد التعرض لها في ما جرى بينه وبين مسلم من المحاورات يشهد له، فإنه كان بصدد اسقاط مسلم عن أعين الناس فنسب له أشياء يقطع بأنه لم يأت بها أصلا فلو كانت أمه جارية لنزه بها كما فعل هشام بن عبد الملك مع زيد الشهيد - رضوان الله عليه - إذ قال له: زعمت أنك تطلب الخلافة ولست هناك وأنت ابن أمة، فقال له زيد: إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات، وقد كانت أم إسماعيل أمة فلم يمنعه أن كان نبيا وأبا لخاتم الأنبياء ﷺ.

وهذا النص الأخير يرويه ابن قتيبة فيقول: كانت أم مسلم بن عقيل نبطية من آل فرزند (٢) ويقول بعض المؤرخين: أن النبط كانوا في جبل شمر (٣) في أواسط بلاد العرب ثم نزحوا الى العراق لما فيه من الخصب والرخاء (٤) فأقاموا في سواد العراق (٥) أو في خصوص البطائح بين العراقيين (٦) البصرة والكوفة.

ولم ينكر أحد ممن كتب عنهم أن لغة النبط عربية كأسماء ملوكهم البالغين ثمانية عشر، وفيهم امرأتان في القرن السابع قبل الميلاد (٧)، نعم يرتقي المسعودي أنهم من الكلدانيين الجاورين مع الفرس سكان فارس والأهواز وعاصمتهم « كلواذي » (٨) وبعد تغلب الفرس عليهم تفرقوا (٩) ويوافقه على ذلك بعض المستشرقين الواقفين على النقوش من

(٢) المعارف ص ٨٨.

(٣) يعرف بجبل أجا وسلمى منزل لطبي وقع ذكره في كلام الطرماح لسيد الشهداء أنظر ما كتبه في مقتل الحسين، وفي أواخر القرن الثالث عشر والرابع عشر كان منزلا لآل رشيد حتى تغلب عليهم عبد العزيز آل سعود.

(٤) جرجي زيدان في العرب قبل الاسلام ج ١ ص ٧٨.

(٥) تاج العروس للزبيدي ج ٥ ص ٢٢٩.

(٦) القاموس للفيروزآبادي بمادة نبط.

(٧) العرب قبل الاسلام ص ٧٨.

(٨) في القاموس بلدة في أسفل بغداد وفي معجم البلدان ج ٧ ص ٢٧٦ تبعد عن بغداد فرسخا للمنحدر.

(٩) التنبيه والاشراف للمسعودي ص ٦٨.

آثارهم ويفيد بأن لهم في ذلك التأريخ دولة في العراق متسعة الأطراف حتى شملت معظم جزيرة العرب واستوزروا الوزراء وضربوا النقود بأسماء ملوكهم ولهم قوانين (١٠).

وعلى هذا فليس مبتعدا عن الواقع من يرتئي أن عقيلًا خطب لنفسه من بعض عشائر النبطيين الذين يجمعهم واياهم الوقوف بتلك المشاعر المعظمة التي حث الله تعالى العباد إليها ذللاً، أو الواردين للتجارة في مكة، أو الزائرين مرقد الرسول الأمين الذي استضاء العالم بنوره المتألق.

أما النص الأول فقول أبي الفرج اسم أمه «عليّة» اشتراها عقيل من الشام (١١) ولذلك حديث لا تخفى تفكك أطرافه على من أعطاه حق النظر يقول ابن أبي الحديد في الرواية المرسلة عن المدائني: ان معاوية قال لعقيل: هل لك من حاجة فأقضيها لك؟ قال: نعم جارية عرضت علي وأبي أصحابها أن يبيعوها إلا بأربعين ألفاً، فأحب معاوية أن يمازحه فقال: ما تصنع بجارية قيمتها أربعون ألفاً وأنت أعمى؟ تجتري بجارية قيمتها خمسون درهماً، قال: أرجو أن أطأها فتلد لي غلاماً إذا أغضبته يضرب عنقك بالسيف، فضحك معاوية وقال: مازحناك يا أبا يزيد، وأمر فابتعت له الجارية التي أولد منها مسلماً.

فلما أتت على مسلم ثمان عشرة سنة وقدمات عقيل أبوه قال لمعاوية: يا أمير المؤمنين إن لي أرضاً بمكان كذا من المدينة، وإني أعطيت بها مائة ألف وقد أحببت أن أبيعك إياها فادفع لي الثمن، فأمر معاوية بقبض الأرض ودفع الثمن إليه.

فبلغ ذلك الحسين عليه السلام فكتب إلى معاوية: أما بعد فإنك غررت غلاماً من بني هاشم فابتعت منه أرضاً لا يملكها فاقبض من الغلام ما دفعته إليه واردد إلينا أرضنا. فبعث معاوية على مسلم فأخبره بذلك وأقرأه كتاب الحسين وقال: اردد علينا مالنا وخذ أرضك فإنك بعت مالاً ما لا تملك فقال مسلم: أما دون أن أضرب رأسك بالسيف فلا، فاستلقى معاوية ضاحكاً يضرب برجليه وقال: يا بني هذا والله كلام قاله لي أبوك حين ابتعت له أملك.

ثم كتب إلى الحسين عليه السلام اني قد رددت عليكم الأرض وسوّغت

(١٠) العرب قبل الاسلام ص ٧٩.

(١١) مقاتل الطالبين.

مسلماً ما أخذ، فقال الحسين عليه السلام: أيتم يا آل أبي سفيان إلا كرماً ^(١٢).

من الصعب جدا الإستناد إلى هذه الرواية لأسباب عديدة تأتي على المهم منها:
الأول: أنها منقطة الاسناد وطرح رجال الحديث مما يحظ من قيمته لما فيه من الجهالة
بمعرفة أحوال أولئك المتروكين والتدليس الشائن.

الثاني: أن المدائني لا يوثق بأحاديثه مهما تكثرت في الجوامع بعد ما ضعفه ابن عدي
في الكامل ^(١٣) ويؤيده أنه أموي النزعة من جهة ولأنه لآل عبد شمس والولاء كالتربية حاكم
على النفوس والعقائد فهو ممن يجب للبيت الأموي التحلي بالصفات الكريمة لتهدى لهم
الأفئدة وتخضع لهم الأعناق ويكونوا في صف من طهرهم الذكر المجيد بقوله « **إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** » كما أثبت سبحانه لهم اشرف الخصال
المحبوبة له إذ يقول: « **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا** * **إنما نطعمكم لوجه
الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا** ».

والسند في ولائه لهذا البيت نص ياقوت فإنه قال: كان علي بن عبدالله ابن أبي سيف
البصري المدائني البغدادي مولى سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ^(١٤). ويقول ابن
حجر أنه مولى عبد الرحمن بن سمرة ^(١٥) وعدم موافقة ولادة المدائني التي هي في سنة ١٣٥ هـ
لوفاة عبد الرحمن بن سمرة الواقعة في سنة ٥٠ هـ لا يبعد هذا الولاء بعد ما ينص ابن كثير على
أن لعبد الرحمن أولادا كثيرين ^(١٦) ويسمى ابن حجر بعضهم عبيدالله وأنه تغلب على البصرة
في فتنة ابن الأشعث ^(١٧) فاطلاق الولاء لأبيهم عبد الرحمن أو لجدهم سمرة بملاحظة أولاده
لاضير فيه.

وإذا أفهمنا الجوامع أن عبد الرحمن من « الشجرة » التي أنتجت معاوية وكان

(١٢) شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ٨٢ مصر.

(١٣) لسان الميزان لابن حجر ج ٤ ص ٢٥٣.

(١٤) معجم الادباء ج ١٤ ص ١٢٤.

(١٥) لسان الميزان ج ٤ ص ٢٥٣.

(١٦) البداية والنهاية ج ٨ ص ٤٧ حوادث سنة ٥٠.

(١٧) الإصباة ج ٢ ص ٤٠١ بترجمة عبد الرحمن.

من عمّاله على سجستان وغزالة خراسان (١٨) وبلخ وكابل (١٩) وفتح الرخج وبست (٢٠) وضح لنا أنه يسير على أثره وأنه حائد عن كل من ناوأ معاوية وهذه قضايا قياساتها معها.

ولاريب أن الموالي يرثون هذه النزعة كالأنساب، اللهم إلا أن يكبح هذا الجماع الخضوع لقانون الاسلام فيقف عند حدوده، ولكن أين هذا من « المدائني » المكثّر من خلق الأحاديث الرافعة للبيت الأموي، الواضعة من قدر رجالات بيت الوحي والنبوة، وانها لشنينة مضى عليها الأولون نعرفها من منافسة عبد شمس أخاه هاشما مطعم الطير والوحوش ومنافسة حرب بن أمية عبدالمطلب الذي كفاً عليه إناءه واستعبده عشر سنين (٢١) ومنافسة أبي سفيان للرسول الأعظم ﷺ الذي من عليه يوم الفتح وأطلق له، جاهد ونافس ابن آكلة الأكباد أمير المؤمنين عليّاً الذي اصطفاه النبي ﷺ يوم المؤاخاة بالأخوة ومنحه الخلافة الإلهية إذ قال له: « أنت مبي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لاني بعدي. »

الثالث: أن المتأمل في هذه المحاورة الواقعة بين عقيل ومعاوية في أمر الجارية يظهر له مغزى المدائني فانه أراد أن يسجل صحيفة من حلم معاوية واناته وكرمه مع المس في الذوات القدسية من آل الرسول الأطهر وقد فاته أن المستقبل يكشف عن وياه.

قال في تلك المحاورة:

« ولما أتت على مسلم بن عقيل ثمان عشرة سنة وقد مات أبوه عقيل قال لمعاوية: ان لي أرضا بمكان كذا من المدينة وقد أعطيت بها مائة الف وقد أحببت أن أبيعك إياها فادفع لي الثمن، فأمر معاوية بقبض الأرض ودفع الثمن اليه. »

وفي هذه الجملة خلل واضح فإنه أثبت بيع مسلم الأرض وعمره ثمان عشرة سنة وأبوه ميت، وعلى ما يقوله ابن حجر أن عقيل مات سنة ستين وقيل بعدها (٢٢) يكون

(١٨) لسان الميزان ج ٤ ص ١٩٠.

(١٩) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٩٣ طبع النجف.

(٢٠) ابن الأثير ج ٣ ص ١٧٤.

(٢١) شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ٤٦٦.

(٢٢) تقريب التهذيب ص ٣٦٦٦ لكنهنؤ، والإصابة ج ٢ ص ٤٩٤.

عمر مسلم عليه السلام ثمان عشرة سنة عند شهادته في سنة ستين، وهذا لا يتفق مع ما أثبتته المؤرخون من تزويجه بثلاث نساء أو أكثر وأن له أولادا خمسة وبتنا، فإنه وإن لم يكن من المحال في هذه المدة القصيرة التي هي عبارة عن ثلاث سنين بعد بلوغه أن يتزوج من ثلاث نساء ويستولد هذا العدد لكن العادة المطردة تأباه.

ثم هناك شيء آخر وهو أن كلا من عقيل ومسلم ومعاوية ماتوا في ستين: استشهد مسلم عليه السلام في ذي الحجة، وهلك معاوية في رجب، وموت عقيل لم يتعين قبل رجب أو فيه أو بعده فعلى الأخيرين لا تتم دعوى سفر مسلم إلى الشام وبيعه الأرض، وعلى الأول أعني موته قبل رجب المتروك بين أن يكون في المحرم أو ما بينه وبين رجب، فالعقل وإن لم يمنع صدور البيع في هذا الزمن إلا أن من البعيد جدا أن يشد مسلم عليه السلام الرحال من المدينة إلى الشام ويتحمل وعشاء السفر لبيع الأرض من معاوية بالمقدار الذي دفعه إليه الرجل المدني كما يفيد قول معاوية: « ان لي أرضا بمكان كذا من المدينة وقد أعطيت بها مائة ألف وأحببت أن أبيعك إياها ».

فان كل أحد يعد اتخاذ هذه الطريقة سفها وحاشا « داعية السبب » أن يرتكب حطة لا يصادق عليها العقل ويكون مرمى لسهام اللوم إلا أن يكون قد تزلف إلى معاوية ببيعه الأرض، والشمم الهاشمي الذي انحنت عليه أضالعه يأباه له كيف، وهو يشاهد دماءهم الطاهرة، ودماء من شايهم تقطر من سيفه وأنديتهم تلهج بانحرافه عن حطة سلفه الطيب، وغدره بالإمام الحسن عليه السلام تدرسه ناشئة هذا البيت كل يوم.

والتحليل لاستخلاص أموالهم من يد معاوية كما يراه البعض لا يتوقف على هذه الطريقة المشوهة لبيتهم المنيع، ومقامهم الرفيع مع أنهم بعيدون عن أمثالهم لأن نفوسهم الزاكية تكبر بهم عما فيه الضعة والخسة ولو عند العامة. هذا اذا كان موت عقيل في سنة ستين وأما اذا كان بعدها كما هو القول المحكى في نص ابن حجر كما عرفت، فالكذب في هذا البيع واضح، والمسافة للتصحيح بعيدة لأنه عليه يكون بيع مسلم الأرض بعد موت أبيه كما في الرواية، ومعاوية بين أطباق الثرى وقد فاز مسلم بالشهادة يومئذ.

ولو ذهبنا إلى رأي الصفدي وابن كثير من تعيين وفاة عقيل في سنة خمسين ^(٢٣)

(٢٣) نكت الهميان للصفدي ص ٢٠١، والبداية لابن كثير ج ٨ ص ٤٧.

يكون لمسلم عليه السلام عند شهادته في سنة ستين ثمان وعشرون سنة، وتكون ولادته سنة اثنين وثلاثين قبل واقعة صفين الكائنة في سنة ٣٧ بخمس سنين، وهذا وإن التأم مع ذلك العدد من أولاده لكن لا يلتئم مع ما ذكره ابن شهر آشوب الحافظ الثبت الثقة بنص الفريقين من الشيعة والسنة ^(٢٤).

فإنه يقول: جعل أمير المؤمنين عليه السلام على ميمته في صفين الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر ومسلم بن عقيل، وعلى الميسرة محمد بن الحنفية ومحمد بن أبي بكر وهاشم بن عتبة المرقال ^(٢٥).

ومن المعلوم أن من يجعله أمير المؤمنين في صف أولاد عمّيه البالغين نحو من خمس وثلاثين سنة لا بد وأن يقارهم في السن كما قرن بين ابن الحنفية ومحمد بن أبي بكر وهما متقاربان في السن فان محمد بن الحنفية ولد سنة ١٦ ^(٢٦) وله يوم صفي احدى وعشرون سنة ومحمد بن أبي بكر ولد عام حجة الوداع بذى الحليفة أو بالشجرة حين توجه رسول الله للحج وقتل سنة ٣٨ وله يوم صفين ٢٧ سنة ^(٢٧).

وحينئذ لا أقل أن يقدر عمر مسلم بن عقيل بالثلاثين أو الثمان وعشرين وتكون ولادته أما سنة سبع أو تسع وله يوم شهادته أكثر من خمسين سنة وعلى هذا التقدير في ولادته أين ولاية معاوية في الشام وأين مسير عقيل اليه، بل أين إسلام معاوية فإنه أسلم بعد سنة تسع قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأشهر.

وإذا أخذنا بنص الواقدي كانت المسافة أبعد، قال: لما دخل المسلمون مدينة « البهنسا » بعد حصار طويل دخل مسلم بن عقيل في جملة الهاشميين وهو يقول:

(٢٤) انظر ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ص ٧٧، ولسان الميزان لابن حجر ج ٥ ص ٣١٠، وطبقات المفسرين لشمس الدين محمد بن علي المالكي، والبلغة للفيروز آبادي، والواقي بالوفيات للصفدي، ومن علماء الشيعة أتى عليه العلامة الحلبي في الخلاصة، وميرزا محمد في منهج المقال، أبوعلي الحائري في منتهى المقال، والتفريشي في نقد الرجال، والأغا البهبائي في التعليقة، والحر العاملي في أمل الآمل، والسيد في روضات الجنات.

(٢٥) المناقب ج ٢ ص ٢٦٠.

(٢٦) أنظر كتاب قمر بني هاشم ص ١٠٣.

(٢٧) ما يؤكد حضوره في صفين ما رواه نصر في كتاب صفين ص ٣٣٠: إن منادي أهل الشام نادى: إن معنا الطيب بن الطيب عبدالله بن عمر. فقال عمار بن ياسر: بل هو الخبيث، ثم نادى منادي أهل العراق: ألا إن معنا الطيب ابن الطيب محمد بن أبي بكر، فنادى أهل الشام: بل هو الخبيث بن الطيب.

ضنا في الحرب والسهل الطويل وأقلقني التسهد والعويل
فواثارات جعفر مع علي وما أبدى جوابك يا عقييل
سأقتل بالمهند كل كلب عسى في الحرب أن يشفى الغليل

وكان فتح البهنسا في أيام عمر بن الخطاب (٢٨).

فان من يخرج في صف المجاهدين أيام ابن الخطاب لابد وأن يبلغ على الأقل عشرين سنة وحينئذ تكون ولادته في أوائل الهجرة وكان معاوية يومئذ راسبا في بحر الشرك والضلال عابدا للأوثان.

ثم إن رجلا كمسلم يراه عمه أمير المؤمنين - عليه السلام - جديرا بقيادة الجيش يوم صفين فيجعله على الميمنة في صف ولديه الإمامين السبطين عليهما السلام وابن أخيه عبدالله بن جعفر، ويجده سيد الشهداء قابلا لأهلية الولاية على أعظم حاضرة في العراق « الكوفة » فيحبوه بالنيابة الخاصة في الدينيات والمدنيات.

لابد وأن يكون أعظم رجل في العقل والدين والأخلاق حتى لا يقع الغمز والظعن فيمن يمثل موقف الإمامة بأنه ارتكب دنية أو جاء برذيلة أو فعل محرما أو بدت منه رعونة، ولو في أمس الدابر فينتكث فتله وتتلاشى مقدرته.

على أن تلکم الأحوال لو كان من الجائز صدورها منه في الماضي لجاز عودها إليه أيام ولايته فينتقض الغرض من إرساله مهذبا ومؤدبا وقامعا للريب والشبهات وزاجرا عما يبابه الدين والإنسانية.

فالإمام أبو عبدالله - عليه السلام - لم يشرف أحدا بالولاية إلا وهو يعلم بأنه يمضي في أمره كالحديدة المحماة، وأنا لا نشك في أن سيد الشهداء لم يرسل مسلما واليا من قبله، ويزينه بتلك الرتبة العظيمة ثم يشفع ذلك بتشريف الأخوة له التي هي أخوة العلم والدين، وأنه ثقته من أهل بيته إلا وهو يعلم بأنه في كل أدوار حياته منذ نشأته إلى حين تأهله لهذه الزعامة الكبرى رجل العلم والتقى، رجل العقل والسياسة، رجل الأخلاق والإيمان.

فلا يصدر من مثله بيع الأرض من معاوية من دون مشاورة سيد الشهداء مهما كلفته الحاجة، وبلغت به الفاقة حدّها، على أنه في كنف السبّط الشهيد وذرى عزّه المنيع، ولم تزل سماء نائلة هاطلة عليه وعلى محاويع الأمة.

(٢٨) فتوح الشام ص ١٨٢.

وهناك شيء أغرب من هذا وهو نسبة المدائني كتاب « أبي الضيم » الى معاوية لما بلغه الإغفاء عن الأرض والمال فقال في كتابه: « أبيتتم يا آل أبي سفيان إلا كرما » وكل أحد تتجلى له هذه الأكذوبة لا تحتاج إلى تدليل لوضوح شهامة أبي عبدالله عليه السلام وعدم رضوخه للدنيّة في قول أو فعل، ومتى أعترف سيد شباب أهل الجنة لآل أبي سفيان بمكارم الأخلاق من يوم منافسة جددهم عبد شمس لأخيه هاشم الى يوم مناوأة معاوية لأمير المؤمنين، وأي مأثرة غريزية حفظت لهذا البيت غير طوائف تخلّقوا بها وقد ظهر أصدادها على فلتات ألسنتهم، أليس معاوية هو القائل ليزيد: عليك بالصفح فإن أمكنت الفرصة عليك بالسيف ^(٢٩).

ولم يزل أبو عبدالله الحسين عليه السلام يصارح بما أودعه المهيمن جل شأنه فيه من الأنفة وعدم الخضوع للدنايا في مواطن كثيرة، وان كلمته الذهبية في آخر يومه تفيدها فقها بالفطرة الموهوبة له من المولى سبحانه فإنه قال يوم الطف:

« ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلّة والذلّة
وهيهات منا الذلّة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور
طابت وطهرت وانوف حمية ونفوس أبيّة من أن نؤثر طاعة اللّقام
على مصارع الكرام » ^(٣٠).

وانّ عمدة ما يفت في عضد هذه الأكذوبة ويتدهور بها الى هوة البطلان هذه الكلمة التي لا يهيج بها هاشمي ذو شمم، نعم يأبى للهاشمي إباؤه وشهامته يأبى له حفاظه ووجدانه بل يأبى لأي مؤمن إيمانه وعلمه أن يعترف لابن آكلة الأكباد بتلك المأثرة البالغة حدّها، وهو يعلم أن ابن هند المقعي على إنقاض الخلافة الإسلامية خلوا من أي حنكة، وإنما أدمع باطله المحض بالتحلم والمحابة والتزلف يوهم بما الرعرة من الناس بأن هذه الاناة هي الكافلة لأهلية الخلافة.

والإمام الشهيد العارف بهذه الزخارف مضافا الى نفسيته القدسية وإبائه العلوي جد عليم بأنه إن فاة بمثل تلك الكلمة التي نسبها إليه المدائني اتخذها الناس حجة دامغة خصوصا مع مشاهدتهم وفر معاوية وورائهم دسائسه ومعهم سماسة الشهوات فيكون الإمام عليه السلام مغريا بجم الى الهوان ومقرا لهم على الضلال

(٢٩) نهاية الأرب ج ٦ ص ٥٠.

(٣٠) اللهوف للشريف النقيب ابن طاووس.

والباطل وحاشا « إمام الحق » أن يرتكب ما فيه إغراء للناس وهو مقيض لإنقاذ البشر من ورطة الجهل المردي.

وأني لا أظن بعد هذا البيان الضافي يلقى الواقف على كلمة المدائني « أبيتتم يا آل أبي سفيان إلا كرما » مرتابا في افتعال نسبتها إلى سيد الحفاظ والحمية والشهامة سيد الغيارى على المبادئ الصحيحة سيد شباب أهل الجنة عليه السلام.

نشأته عليه السلام:

لقد عرفت فيما قدمناه من صفة بيت أبي طالب ومبلغ رجالاته من العلم والمعارف الإلهية وأنهم على الأوضاع والغرر اللائحة في أنسابهم واحسابهم لا تعدوهم الفضائل العصامية من علم وحكمة وأخلاق وبلاغة وأدب وشجاعة وفروسية إلى مآثر جملة ازدانت بسروات المجد من بني هشام، وأن كلام منهم أمة واحدة في المكارم جمعاء.

وإن من قضاء الطبيعة وناموس البيئة أنهم يبرنون وليدهم ويربون الناشئ منهم على ما تدفقت به أوعيتهم، فلا يدرج الطفل إلا والحنكة ملء إهابه، ولا يشب الصغير إلا وهو محتو لفضيلة المشايخ، وإذا التقيت بالرجل هكذا بين فواضل وفضائل، ومآثر ومفاخر، ولا سيما ان من جبلة رجالات البيت تغذية ناشئهم بما عندهم من آلاء وتحنكه بنمير مكارمهم وإروائه بزال من حكمهم البالغة، وعظائم الشافية، وتعاليمهم الراقية، فقضية قانون التربية الصحيحة أن يكون الولد إنسانا كاملا.

نعم، هكذا أرباب الفضائل من آل أبي طالب لا يروقه في صغيرهم إلا ما يروقه في الأكابر، ولا يرضيهم ممن يمت بهم إلا أن يزدان به متدى العلم ودست الإمارة، ويبتلع به سهوة الخيل ومنبر الخطابة، وأن يسير مع الركب ذكره ومع الريح نشره لكي يقتدى به في المآثر، ويقتص أثره في الأخلاق.

وهذا الذي ذكرناه إنما هو مرحلة الإقتضاء التربوي، ويختص بما اذا صادق قابلية المحل، وعدم المزاحمة بموانع خارجية تسلب الأثر من كل هاتيك الموجبات من بيئة وبيئة أو مجالس سوء أو شره ثابت، فإن هذه الأمور تستوجب التخلف عن ذلك الإقتضاء كما نسب إلى شذاذ من العلويين، فإنه على فرض صحة النقل لا يصار إليها إلا في الموارد المفيدة للعلم بخروج الناشئ عن ذلك الناموس.

وأما داعية الحسين عليه السلام وسفيره الى العراق فكانت لياقته الذاتية، وتأهله للفضائل، وتأثره بتلك التربية الصحيحة، ونشوؤه في ذلك البيت المنعم، وتخرجه من كلية الخلافة الإلهية قاضية بسيره مع ضوء التعاليم المقدسة، فأينما يتوجه إلى ناحية من نواحي هذا البيت لا يقع نظره إلا إلى أستاذ في العلم أو مقتدى في الأخلاق أو زعيم في الدين أو بطل في الشجاعة أو إمام في البلاغة أو مقنن في السياسة الآلهية.

فكانت نفس مسلم بن عقيل عليه السلام تهش الى نيل مداهم منذ نعومة الأظفار كما هو طبع المترى بهذا البيت، ففي كل حين له نزوع الى مشاكلة كبرائهم، وهذه قاعدة مطردة، فإنك تجد ابن العالم يأنف عن أن يعد في أبناء العامة، وابن الملك يكبر نفسه إلا عن خلائق والده، وولد الزعيم يترفع عن مشاكلة رعاياه، فكل منهم يرمي الى ما يرفعه عن غرائز الطبقات الواطئة.

إذا فما ظنك بمسلم بن عقيل عليه السلام الذي هو أول من وقع بصره عليه عمه أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - وابناه الإمامان إن قاما وإن قعدا ^(٣١) - صلوات الله عليهما -، ورجالات السؤدد والخطر من آل عبدالمطلب وسمع أخبار الغابرين من أهل بيته في المفاجر والمآثر، فهل يمكن أن يكون له هوى إلا مع الفضيلة أو نزوعاً إلا الى الحماد؟ نعم نشأ مسلم مع العلم، والتقوى والبطولة، والهدى، والحزم، والحجى، والرشد كما شاء الله سبحانه حتى أحب لقاءه يوم سعادته بشهادته.

ولقد كان من أهم ما يتلقاه مسلم عليه السلام من أكابر قومه مناواة البيت الأموي أضداد الفضيلة، وأعداء الدين، وحقنة الجاهلية الأولى، وناشري ألوية الوثنية، والدعاة الى كل رذيلة بأعمالهم، وأقوالهم، ولهذا كانت تعد تلك المباينة من الهاشميين لهم من أسمى مناقبهم الحال كان « داعية السبط الشهيد عليه السلام » وارثاً لهذه الظاهرة بآتم ما لها من المعنى.

ومما لا يستسهل العقل قبوله أن يكون ابن عقيل عليه السلام متزلفاً الى واحد ممن ناوأ آباه الأتائب أو مجاملاً له فيجر الرذيلة الى قومه وتفوته الشهامة

(٣١) هذا حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رواه علي بن عيسى الأزبلي من أعيان القرن السابع في كشف الغمة، ومراد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الكلمة الثمينة أن الإمامة منصب الهى لا نزول عنهما مع القعود عن الحرب أو النهوض للجهاد والقاعد هو الإمام المحتجى، والقائم سيد الشهداء، والثنية في الفعلين للتغليب.

الهاشمية والإبء الموروث له والشمم المتأصل كيف وانه:

درة تـاج الفضل والكرامة قـرة عـين المجد والشهامة
أول رافع لراية المهدي حص بفضل السبق بين الشهداء
كفاه فضلا شرف الرسالة عن معدن العزة والجلالة (٣٢)

(٣٢) لشيوخنا الحجة آية الله الشيخ محمد حسين الإصفهاني قدس الله تربته.

المؤامرات في الكوفة

انّ سياسة معاوية القاسية من جراء نقض عهده للإمام الحسن عليه السلام تركت الشيعة ترزح تحت نير الإضطهاد، فأوصال تقطع، وأعين تسمل، وبمشهد منهم أرجل مفصولة، وعلى المشانق أنفس مزهقة، وفي أعماق السجون أعناق مغلولة، وبأرجاء الغلوات أناس مشردون، وعلى أطراف الرماح رؤس مشالة يوم كان ابن سمية عارفا بهم منذ العهد العلوي فتتبعهم تحت كل حجر ومدبر، وتحراهم في كل مغارة، فنكل بهم، ونال منهم، وأوقع فيهم، وهو القاتل على منبر البصرة:

« إني أقسم بالله لأخذن المقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والصحيح منكم بالسقيم »

(١)

وقد وصف هذا الحال أبو جعفر الباقر عليه السلام فقال:

« إنا أهل البيت لم نزل نستذل ونستضام ونقصى ونمتهن ونحرم ونقتل ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمالهم في كل بلدة بالأحاديث المكذوبة، ورووا عنا ما لم نقله، ولم نفعله ليبغضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره في زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا يسجن، وينهب ماله

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٢٥.

وتهدم داره، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد الى زمن عبيدالله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام ثم جاء بعده الحجاج فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظنة وتهمة حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال له شيعة علي عليه السلام وحتى صار الرجل الذي يعمل بالخير ولعله يكون ورعا صدوقا يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من سلف من الولاة ولم يخلق الله شيئاً منها ولا كانت ولا وقع وهو يحسب انها حق لكثرة من رواها ممن لم يعرف بكذب ولا قلة ورع» ^(٢).

وفي هذا الحديث الشريف دلالة واضحة على ما نال الشيعة في تلك الأيام المظلمة من الإضطهاد والجور، ومع أي إمام ينهضون مع الزكي المجتبي عليه السلام وقد قيده الأمر الربوي بالتسليم لمجاري المحتوم كما قيّد أباه أمير المؤمنين خمساً وعشرين سنة. على أن من أخلص له بالمفادات فئة قليلة لا تقاوم من حف بهم من أهل النفاق الذين أضمروا الغدر وضمنوا لمعاوية تسليم الحسن عليه السلام إن شمر للحرب، أو مع الحسين عليه السلام وهو لا يرى من تكليفه إلا الخضوع لما سلم له إمام الوقت وحجة الزمن بالنص من جده وأبيه - صلوات الله عليهم -.

حتى أن حجر بن عدي دخل على الحسين عليه السلام مثيراً لنخوته ومحفزاً له على القيام في وجه عدوهم اللدود وفيما قال له: لقد اشتريتم العز بالذل، وقبلتم القليل، وتركتم الكثير أطعنا اليوم وعصينا الدهر، دع الحسن وما رأى من الصلح، وأجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وولّني وصاحبي عبيدة ابن عمر والمقدمة فلا يشعر ابن هند إلا ونحن نقارعه بالسيوف.

فأفاض عليه «ريحانه الرسول» من معارفه القدسية ما فيه حياة القلوب واجتماع نظام الأمة، وذلك أن البيعة والعهد اذا صدرا من «إمام الحق» الذي لا يعمل عملاً إلا على حسب ما يراه من المصلحة الواقعية التي أدركها بفضل منصبه الإلهي، فلا يجوز له نقض ما أبرمه من العهد لما فيه من الغدر والخيانة الممقوتة فقال أبو عبدالله عليه السلام:

(٢) شرح النهج ج ٣ ص ١٥.

« إنا قد بايعنا وعاهدنا ولا سبيل إلى نقض بيعتنا » (٣).

وهذه المسألة التي أشار إليها سيد الشهداء، وإن لم تلزم المصافق بما واقعا لأن الذي أعطوه الميثاق غاشم لا تحل مصافقته، وقد قال الرسول الأقدس ﷺ:

« إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه » (٤)

ومن المقطوع به أنه لا يريد من المنبر تلك الأعواد المصنوعة من خشب وكان يجلس عليها للإرشاد والهداية وإنما يريد منبر الدعوة الألهية، فيكون غرض النبي الإيعاز إلى الملاء الديني الواعي لكلمته الثمينة بأن معاوية الداعي باسم الخلافة كافر بما أنزل من الوحي على الصادق الأمين ﷺ بتعيين من أقامهم المولى سبحانه أمناء على شرعه القويم، وكافر بقول النبي الذي لم يزل يجاهر مرة بعد أخرى بأسماء من يلي الخلافة من بعده وهم الإثنا عشر من ذريته المعصومين، والراد لما أنزل على الرسول ﷺ قولاً أو فعلاً من الجاحدين.

ولم تخف هذه الأحوال على معاوية ولا ممن شاهد النبي وسمع حديثه أو كان قريب العهد بزمن تلك النصوص ولو صدقت الأوهام بأنه كاتب النبي اتسع الخرق عليه. وحيث أن سيد الشهداء لم تسعه المصارحة بما وجب عليهم في الصحيفة الخاصة بالإمام الزكي، وكان فيها أن يسالم خاضعا للقضاء المحتوم، وقد أشار النبي إلى هذه المسألة بقوله:

« إناي هذان إمامان إن قاما وإن قعدا »

وأكثر العقول لا تتحمل هذه الأسرار الدقيقة كما قال الإمام الصادق عليه السلام:

« حديثنا صعب مستصعب لا يتحملة إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو

مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان. »

تلطف أبو عبد الله عليه السلام ببيان أقرب إلى الأذهان وتحملة العقول

(٣) الدينوري في الأخبار الطوال ص ٢٢٢.

(٤) صفين لنصر بن مزاحم ص ٢٤٨ مصر، وذكر السيد محمد بن عقيل في « النصائح الكافية » ص ٣٥ بمبني أن ابن عدي أخرجه عن أبي سعيد والعقبلي عن الحسن، وروي عن الصادق عن أبيه عن جابر.

فقال: « إنا قد بايعنا وعاهدنا ولا سبيل إلى نقض بيعتنا. »

وهناك دقيقة أخرى كانت ملحوظة للإمام الشهيد أفرغها بهذه الكلمة الموجزة وهي أن الانسان اذا عاهد آخر لا يجوز له نقض عهده ولو كان مشركا ولذا وردت الأخبار وفقا للآية الكريمة: « وان أحد المشركين استجارك فأجره » فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « المسلمون يسعون بذمتهم أدناهم ولو كان عبدا أو امرأة » وفسره الصادق عَلَيْهِ السَّلَام بأن جيش المسلمين اذا حاصر المشركين فأشرف رجل منهم وقال اعطوني الأمان حتى ألقى صاحبكم فأعطاه أدناهم الأمان وجب على أفضلهم الوفاء به.

وحينئذ يقول أبو عبدالله: ان هذه المسألة التي أعطيناها معاوية على ما فيها من ظلم وغشم بعد أن صدرت منا لا يصح نقضها، إذا فكيف بالبيعة الصادرة لامام الحق المنصوب من قبل الله سبحانه فانها أولى وأجدر بالإنزام وعدم النقض، وان لا تتباطأ الأمة عن القيام بها، وهذا من سيد الشهداء درس راقى وفقه شامل لو كانت هناك آذان صاغية، وقلوب واعية ونفوس زاكية.

ومن هذا الباب ما جرى للحسين مع علي بن بشير الهمداني وسفيان بن أبي ليلى الهمداني النهدي، والمسيب بن نجبة، وعبد الله بن الورك وسراح بن مالك الخثعمي، فإنهم دخلوا عليه، وخبروه بما رد به عليهم أبو محمد عَلَيْهِ السَّلَام واستنهضوا الحسين لمقارعة ابن هند. فقال لهم الحسين:

« صدق أبو محمد ليكن كل رجل منكم حلسا من أحلاس بيته مادام

هذا الإنسان حيا ». (٥)

فأبو عبدالله أرجأ هذه النهضة لسد باب المنكر إلى الوقت المعلوم لديهم من جدهم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد قام بها سيد شباب أهل الجنة يوم جاء ذلك الوقت فدوى العالم بصرخته الأحمدية، وعرفت الأجيال المتعاقبة مخازي ابن هند، ويزيد، ومن لاث بهم من جرائم الفتن، فتوقدت العزائم واحتدمت النفوس من أناس حتى أجهزت على حياتهم، ودمرت ملكهم وعرفت الأمة مبلغ أولئك المتسّمين منير النبوة من الشقاء، ومبلغ من ناوأهم من أهل البيت من الحق والسعادة.

وغير خاف أن هذا التذمر من رجالات الشيعة، ومجاهتهم الإمام الزكي بتلك

(٥) الأخبار الطوال ص ٢٢٢.

الكلمات المقذعة لا يحط من مقدار اعتقادهم بإمامته، وإنما صدر منهم ذلك لأن علائقهم الدينية، والودية كانت مقصورة على جمال الحق القائم بمجالي الكتاب، والسنة الوضيئة، ومجيا حجة الزمن الأبهج، وحيث أحسوا بما يرام بالدين من الصدع، وبإمام الوقت من الإضطهاد، وبالمؤمنين من استئصال الشأفة ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وأظلمت الدنيا في أعينهم، ولم يكن يحوون من سعة العلم بالحقائق والعواقب ما يخفف تلك الوطأة، ويحمد فورة أنفسهم الملتهبة من تحكم الضلال بالأمة، واسترداد الجاهلية الأولى، فهنالك انتأت المشاعر عن النفوس، فواجهوا الامام بما عرفت ولهجوا بما لهجوا به وهم غير خارجين عن طاعة، ولا متضعضعين في عقيدة.

ولا ريب أن مقادير الرجال متباينة وقابليتهم لتحمل الأسرار متفوتة ولم تكن أسرار الأئمة يتحملها كل أحد، ولذا كان سيد الشهداء يفيض من علمه المخزون على كل من طلب منه التريث عن السفر الى العراق بما يسعه ظرفه وتحمله قابليته، ولم تسعه المصارحة بما عنده من العلم بمصير أمره.

وهذا الذي ذكرناه هو الأساس في اجتماع رجالات الشيعة، وعقد أندية المؤامرة لحل أغلال الإستعباد عن أعناقهم باستدعاء أبي الضيم عليه السلام لعاصمة الخلافة العلوية لقمع أشواك الظلم المتكدسة في طريق الشريعة، وقمع جرائم الفساد الوبيئة ل يتم الفتح المبين، ويستضيء العالم بألق المبادئ الصحيحة والأنظمة الربوبية التي لاقى المشرع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم المتاعب في نشرها.

وان الوقت الذي أرجأ أبو عبدالله عليه السلام النهضة فيه حيث كان يقول لأولئك الخلص من الشيعة: « ليكن كل رجل منكم جلسا من أحلاس بيته مادام هذا الانسان حيا » يعني معاوية، هو يوم نهضته بمشهد الطف.

فكان اجتماع الشيعة في منزل سليمان بن سرد الخزاعي لأنه وجه وجوههم جليل في قومه لا يفتات رأيه ومساعيه في أيام أمير المؤمنين عليه السلام الثلاثة مشكورة، فذكروا هلاك معاوية وما لاقته الشيعة في أيامه وأشد منها عهد « ليزيد » الذي وصفه زياد بن أبيه لعبيد بن كعب النمري: بأنه صاحب رسله وتهاون بالدين، وقد أولع بالصيد، وأن أمر الإسلام وضمائه عظيم، فلا يصلح يزيد للخلافة ثم قال له: ألق معاوية وأد هذا عني وخبره بفعلات يزيد وتهاونه بالدين ^(٦).

(٦) تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٦٩ وكان ذلك على اثر كتاب معاوية لزياد يطلب منه أخذ البيعة لولده

وقد اعترف بذلك ابن مرجانة حين كتب إليه يزيد أن يسير لحرب ابن الزبير فقال لمن حضر عنده: لا والله لا أجمعها للفساق الفاجر أقتل ابن بنت رسول الله وأهدم الكعبة (٧).
ووصف السبط الشهيد حال زيد في كتابه معاوية وفيما قال له:

« لقد دل يزيد من نفسه علموقع رايه فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب، والحمام السبق، والقيان ذوات المعازف، وضرب الملاهي تجده ناصرا، ودع ما تحاول فما أغناك أن تلقى الله تعالى بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه، فوالله ما برحت تقدم باطلا في جور وحنقا في ظلم حتى ملأت الأسقية وما بينك وبين الموت إلا غمضة فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود ولات حين مناص (٨) ». »

وبهذا البيان تطف سيد الشهداء بالنصح الشافي لدحض الضلال لكنه لم يجد أذنا صاغية، ولا قلبا واعيا، فأخذت بوارق الإرهاب وبواعث الطمع من معاوية يسدان طريق الحق.

فلما هلك معاوية استنشق الكوفيون روح الأمن وأبصروا بصيصا من نور الإمامة فعزموا على أن يكتبوا الى الحسين عليه السلام بالمصير الى عاصمة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ليفتح لهم باب السجن المظلم.

فقام سليمان بن صُرد الخُزاعي خطيبا حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

« انّ معاوية قد هلك، وإن حسينا قد تقبض على القوم ببيعته وقد خرج السمكة وأنتم شيعته وشيعة أبيه فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه، وان خفتهم الوهن والفشل فلا تغروا الرجل في نفسه ». »

فقالوا بأجمعهم: إنا نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه.

يزيد من الكوفيين.

(٧) تاريخ الطبري ج ٧ ص ٦.

(٨) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٥٤.

كتبهم للحسين عليه السلام:

ثم كتبوا إلى الحسين عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن علي عليه السلام من سليمان بن صُرد، والمسيب بن جُبّة ورفاعة بن شداد البجلي، وحبيب بن مظاهر، وشيعته المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة: سلام عليك فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فالحمد لله الذي قصم ظهر عدوك الجبار العنيد الذي انتز على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيئها، وتأمر عليها بغير رضي منها، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها فبعدا له كما بعدت ثمود إنا ليس لنا إمام فاقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق.

والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت أخرجناه حتى نلحقه بالشام إنشاء الله.

ثم سرحوا الكتاب مع عبدالله بن مسمع الهمداني وعبدالله بن آل وأمروهما بالنجاء فخرجوا مسرعين حتى قدما على الحسين بمكة لعشر مضي من شهر رمضان.

وبعد يومين كتبوا له مائة وخمسين كتابا من الرجل والإثنين والثلاثة والأربعة وسرحوا ذلك مع قيس بن مسهر الصيدأوي وعبدالرحمن بن عبد الله بن شداد الأزدي وعمارة بن عبدالله السلولي.

وبعد يومين آخرين كتبوا إليه مع هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبدالله

الحنفي، ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن عليّ من شيعته من المؤمنين والمسلمين: أما بعد فحيّها فإن الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك فالعجل ثم العجل العجل، والسلام.

ثم كتب شَبَث بن ربعي وحجار بن أبحر ويزيد بن الحارث بن رُويم وعزرة بن قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عمير التميمي: أما بعد فقد اخضر الجنب وأينعت الثمار فإذا شئت فاقدم على جند لك مجنّدة، والسلام^(١).

وأخذت الرسل من أهل الكوفة تتوارد عليه بكتبهم حتى اجتمع عنده في يوم واحد ستمائة كتاب واجتمع من نوب متفرقة اثنا عشر ألف كتاب^(٢) والحسين عليه السلام متربّث عن الجواب حتى اذا تابع هتافهم بكتبهم التي ملأت خرجين^(٣) لم يسعه السكوت فكتب إليهم أجمع صورة واحدة:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي الى الملأ من المؤمنين والمسلمين: أما بعد فإن هانيا وسعيدا قدما علي بكتبكم وكانا آخر من قدم علي من رسلكم وقد فهمت كل الذي قصصتم وذكرتم، وكانت مقالة جلّكم أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق والهدى.

وأنا باعث اليكم بأخي، وابن عمي، وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل فإن كتب إليّ إنه قد اجتمع رأي ملأكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت رسلكم وقرأت في كتبكم فأني أقدم عليكم وشيكا إنشاء الله، فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله تعالى، والسلام^(٤).

لم يخف على الإمام الشهيد نيات القوم، ولا ما يقع منهم من التخاذل والتباعد

(١) هذه الكتب ذكرها الشيخ المفيد في الإرشاد.

(٢) اللهوف للسيد ابن طاووس ص ١٩ صيدا.

(٣) الأخبار الطوال ص ٢٣١.

(٤) نص على هذا الكتاب الشيخ المفيد في الإرشاد، والفتال في روضة الواعظين ص ١٤٩، والطبري في التاريخ

ج ٦ ص ١٩٧، وابن الأثير في الكامل ج ٤ ص ٨.

عن نصرته الحق حينما تستعر الحرب، ويتجمع الدهر للوثوب على فئة الجحد، وعصبة الخطر من الهاشميين، والصفوة من أصحابهم، وكيف يخفى عليه غدرهم وعدم وفائهم بالوعد وهو يشاهد كل ذلك بوسع علم الإمامة، والتجارب الصحيحة مما جرى منهم مع الوصي، وأخيه المجتبي - صلوات الله عليهم - والأخبار النبوية والعلوية بما يقع من الملحمة الكبرى التي أتت على النفوس الطاهرة وأعقبت الفتح المبين بنهضة رجالات الدين في وجه المنكر والضلال حتى دمّرت مُلك الأمويين واستأصلت شأفتهم من جديد الأرض فأصبحوا عبرة لمن يتجبر في هذه الدنيا الزائلة.

فكان أبي الضيم عليه السلام على علم ويقين مما يجري منهم معه لكنه أراد إتمام الحجة على أولئك الغدرة فأجاب سؤالهم ولجّ طلبتهم بعد التوكيد عليهم بكثرة الكتب والرسائل منهم كي لا تكون الحجة لضعفاء العباد على إمام منصوب من قبل الله سبحانه لارشاد الخلق وإيقاظهم من رقدة الجهل المردي.

ولاية مسلم ﷺ

غير خاف أن تمثيل نفسية الإنسان الكامل بأوضح مجاليتها إنما هو بيث أفكاره الناضجة والإشادة بنواياه الحسنة، وهي الغاية الفذة من ارسال الرسول سواء في ذلك أن يكون القصد به نشر أخلاق مرضية تتهدب بها النفوس، أو تعليم علوم ناجعة تتكهرب بها العقول، أو إقامة عدل ترتاح به الأمم أو الدعوة إلى دين تعتنقه الأقسام، أو توطيد سياسة تمس غلبها الأمة فلا ندحة للمرسل إلا أن يبعث لأي من هذه الغايات الكريمة من هو المثل الأعلى فيها من بين لفيفه وحاشيته فيكون نبوع الرسول مجلبة لرغبات الأمة الموصلة الى مرضات ذلك المصلح ووقوفه على غايته من الإرسال.

ويجب حينئذ أن يكون ذلك الرسول حكيما في عمله بليغا في منطقته ليضع الأشياء في مواضعها، ويكون قوله على وفق رأيه السديد ولا تفوته مقتضيات الأحوال فيكون أدهى لنشور الدعوة وأتم عن عبقرية المرسل.

إذا كنت في حاجة مرسلًا فأرسل حكيما ولا توصه
وإننا لنكتفي عن استعراض الشروط الواجبة في السفير والكلمات التي تنم عما يراد منه بذكر ما اتفق عليه أرباب الحديث والتفسير فيمن أرسل مبلغا لأوائل « براءة » فإن التأمل في هذه الحادثة توقف النبيل على ما يراد من السفير وتلم بالشرائط كلها.
والقصة في ذلك أن جرئيل هبط على النبي ﷺ في أول ذي الحجة سنة تسع من الهجرة^(١) بالآيات من أول براءة ليقراها على قريش في الموسم فأرسل

(١) مصباح الكفعمي ص ٢٧٢ بمبئي، والإقبال لابن طاووس ص ٥٣٣ إيران.

رسول الله أبابكر بما ليقراها في منى على قريش، فلما كان على مراحل من المدينة هبط جبرئيل يأمر النبي أن لا يؤديها إلا هو أو رجل منه ^(٢) ولما رجع أبوبكر يبكي قال له ﷺ: « لا عليك وكيف تؤديها وأنت صاحبي في الغار » ^(٣).

ما أبلغ هذا التركيب وما أبدع هذا الحوار، وأن لهذه الكناية قيمة راقية في سوق البلاغة فلقد أشار رسول الله بكلمته الذهبية الى معرفته بضعفه يوم كان معه في الغار، وأنه لا طاقة له على ملاقاتة المشركين من طواغيت قريش فكيف يكون حينئذ مبلغا عنه ومحدرا أولئك الطعنة وقد يجره الخوف والضعف الى الوهن في قدس الرسول الأمين.

واعتذار الخطيب الشرييني في « السراج المنير » في تفسير الآية بحمل فعل النبي على مقتضى قواعد العرب من أن الرئيس اذا أراد أن يحكم عهدا بينه وبين أحد فأما أن يحضر بنفسه، وأما أن يبعث أحد أقاربه، متفكك البرهان باطل القياس فإن تلك القاعدة التي تخيلها لو كانت معروفة لما تخطاها النبي الأعظم في أول الأمر، ولما خاف أبو بكر من نزول شيء في حقه حتى بكى لذلك بل كان يعتقد أن الأمر جرى على أساس معروف بين العرب وأجدر بنبي العظمة أن لا يعدوه.

ولكن المتأمل في الحديث الحامل لهذه الحادثة يعرف منه بجلاء منزلة كبرى لعلي أمير المؤمنين وامتيازه على غيره من المهاجرين والأنصار حتى أقرباء النبي وخاصته الذين هم بحضرته وليست تلك المنزلة إلا النيابة العامة والمرجعية لما تحتاج إليه الأمة، وقد أشار إلى هذا التنزيل بقول جبرئيل للنبي « أو رجل منك » فإن تلك الذات المكونة من جوهر القداسة والمتمترجة بالعلم الإلهي أليق في تمثيل مقام النبوة فيما يرد عليها من المسائل التي لا يعرفها إلا من استمد من اللوح المحفوظ، وأما غيره فحيث لم ينتهل قطرة من ذلك البحر المتموج بالحكم والأسرار فالخطأ والزلة اليه أقرب من حبل

(٢) حديث عزل أبي بكر وإرسال أمير المؤمنين مكانه في تفسير الطبري، والدر المنثور للسيوطي ج ٣ ص ٢٠٩، والكشاف ج ٢ ص ١٣٨، ومسنند أحمد ج ١ ص ٣ و ١٥١ وج ٣ ص ٢٨٣، ومستدرک الحاكم ج ٢ ص ٣٣١ ولم يتعقبه الذهبي في التلخيص، وكنز العمال ج ١ ص ٢٤٧، وخصائص النسائي ص ٢٠، والرياض النظرية ج ٢ ص ١٧٣، وتاريخ الطبري ج ٣ ص ١٥٤، وكامل ابن الأثير ج ٢ ص ١١١، وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٥٦، والروض الأنف ج ٢ ص ٣٢٨.

(٣) الإقبال لابن طاووس ص ٥٣٤ و ٥٣٦.

الوريد حينما تعرض عليه الأسئلة وتلقى أمامه الشبهات فعندها يعود الفشل على ذلك النبي المعصوم من كل عيب ونقصان لكون الرسول دليل عقل المرسل.

نعم للخطيب أن يقول: إن كان الحال على ما وصف فلماذا لم يبعث النبي عليا من أول الأمر؟ فيقال له: إن النبي لاحظ في ذلك نكتة مهمة وهي تعريف الناس بأن الباعث له على إرسال أمير المؤمنين الوحي الإلهي الذي لا بد من إنفاذه ولو تقدم إلى علي عليه السلام في أول الأمر وأمره بالمسير بالآيات لكثرت القالة ممن خالطهم الريب والشك بأن القرب والرحم حركاه على تقديمه وتمييزه على غيره والنبي صلى الله عليه وآله وسلم أجل من أن يعمل عملا يكون لضعفاء قومه الحججة عليه.

إذا وضح هذا فهلم معي إلى من كان مرسلا إلى حاضرة كبرى « الكوفة » ليهتف بالغايات جمعاء المطلوبة من الإمام المعصومين، وكان مبعوثا من إمام عدل وهدى وموئل حكمة وحجى، معصوم من الخطأ مفطوم من الزلل « كمسلم بن عقيل » الذي حظي بالنيابة الخاصة من إمام وقته سبط نبي الهدى لينشر في الملأ العراقي مبادئ الدين القويم ويوقفهم على أمره الحكيم، وقيم الحلال والحرام ويزيح الشبه والأوهام، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلهم بالتي هي أحسن، كل ذلك بعد أن يدير فيهم الشؤون الإدارية والعسكرية لتوطيد السلام وكلاءة الأمن العام.

وإذا كان اللازم على الإمام أن يلحظ هذه المهمات كان الواجب أن ينتخب لها كفوفا يرتضيه من وجهة العلم والدين ومن وجهة التقوى والورع ومن وجهة الفكرة والنظر ومن وجهة السياسة والكياسة.

وإذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرفق من يرسله إلى جهة من الجهات بكتاب يلم بتفاصيل الأحكام الدينية والمدنية فيقول في كتابه لعمرو بن حزم الأنصاري لما ولاه اليمن:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا بيان من الله ورسوله « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » عقد من محمد النبي رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن يأمره بتقوى الله في أمره كله « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » وأمره أن يأخذ بالحق كما أمر به الله وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به، ويعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين، وينهى الناس فلا يمس أحد القرآن إلا وهو طاهر، ويخير الناس بالذي لهم وبالذي عليهم، ويلين للناس

بالحق ويشتد عليهم في الظلم، فإن الله عز وجل كره الظلم ونهى عنه وقال: « **ألا لعنة الله على الظالمين** » ويشتر الناس بالجنة ويعملها وينذر بالنار ويعملها، ويستألف الناس حتى يتفقهوا في الدين، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته وما أمر الله به في الحج الأكبر والحج الأصغر وهو العمرة، وينهى الناس أن يصلي أحد في ثوب صغير إلا أن يكون ثوبا واحدا يثني طرفيه على عاتقيه، وينهى الناس أن يجتبي أحد في ثوب واحد يفضي بفرجه الى السماء، وينهى أن لا يقص أحد شعر رأسه اذا عفا في قفاه، وينهى اذا كان بين الناس هيج عن الدعاء الى القبائل والعشائر وليكن دعاؤهم الى الله وحده لا شريك له ومن لم يدع الى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطعوا بالسيف حتى يكون دعاؤهم الى الله وحده لا شريك له.

ويأمر الناس باسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم الى المرافق، ويمسحون برؤوسهم كما أمر الله عز وجل وأرجلهم إلى الكعبين، وأمره بالصلاة لوقتها وتمام الركوع والخشوع، ويغسل بالفجر ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس، وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة، والمغرب حين يُقبل الليل لا تؤخر حتى تبدو النجوم في السماء، والعشاء أول الليل^(٤).

ويأمر بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها، والغسل عند الرواح اليها، وأمره أن يأخذ من المغنم خمس الله، وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وما سقت السماء وعلى ماسقى الغرب نصف العشر، وفي كل عشر من الإبل شاتان، وفي كل عشرين من الإبل أربع شياة، وفي كل أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع أو تبعه جذع أو جذعة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة فإنها فريضة الله التي افترض الله عز وجل على المؤمنين في الصدقة فمن زاد خيرا فهو خير له.

ومن أسلم من يهودي أو نصراني إسلاما خاصا من نفسه ودان بدين الإسلام

(٤) التفرقة بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء محمولة على الفضيلة بعد ورود الأحاديث عن النبي ﷺ وأهل بيته بصحة الجمع بينهما في غير سفر ولا ضرورة، رواه البيهقي في السنن ج ٣ ص ١٦٦ من طرق أربعة، وفي مسند أحمد ج ١ ص ٣٥٤. قيل لابن عباس: لم جمع رسول الله بين الصلاتين؟ قال: كي لا يخرج على أمته، وفي المبسوط لشمس الدين السرخسي ج ١ ص ١٤٩ نقل عن أحمد بن حنبل جواز الجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء في الحضر من غير عذر، وروى عن ابن عباس أن رسول الله جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة من غير عذر وأجمع علماء الامامية على جواز الجمع بينهما ولو لغير عذر.

فإنه من المؤمنين له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يفتن عنها، وعلى كل حالم ذكرنا وانثى حر أو عبد دينار واف أو عوضه ثيابا فمن أدى ذلك فإن له ذمة الله وذمة رسوله ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته (٥).

هكذا كان رسول الله ﷺ مع عماله وولاته ولكنه لما أرسل أمير المؤمنين الى اليمن بعد صلح أهل نجران لم يرفقه بمثل هذا الكتاب لعلمه بوقوفه على الأحكام وخبرته بالشؤون التي تدير الأمة وهو باب مدينة علم الرسول، وأقضى الأمة وأفقهها. كما أن أمير المؤمنين عليه السلام عند ما يرسل واليا من قبله يشرح له الامور الواجبة على الوالي القيام بها كما فعل مع الأشتر ومحمد بن أبي بكر وغيرهما.

إذا فحسب مسلم بن عقيل من العظم أن يكون في نظر الإمام الشهيد كعمه الوصي عند النبي ﷺ واقفا على الدروس الإلهية والمعارف القدسية بصيرا بوجوه المحاججة والنظر، خبيرا بمدارة الخاصة والعامة، رابط الجأش عند مستن النزال، لم ترعه الهزاهز ولم توقعه المشكلات عن كشفها، بجبلي البرهان ولم يتنه اشح عن بذل النائل في محله اللائق، ولم تأخذه في الله لومة لائم في إحقاق الحق وفصل الخصومات والإنتصاف للمظلومين. فأبو عبدالله لم يرسل مسلما إلى العراق واليا من قبله إلا وهو يعلم أنه من فقهاء بيته الهاشمي وعلماء أسرته وأتقياء فتنه وساسة ذويه ومن ذوي الحنكة واللياقة من قومه، وإنه لحري بإقامة الأمت والعوج وتنقيف الأود وتهذيب الأمة وإصلاح الفاسد ودحض الأباطيل فلا يحتاج إلى شرح ما يجب عليه من الأعمال لعقله الوافر وعلمه الغرير وسياسته الحكيمة وتحرية المصالح العامة.

ومن هنا اقتصر الإمام الشهيد في صك الولاية على تعريف أهل الكوفة بأن مسلما أخوه وثقته والمفضل عنده من أهل بيته (٦).

ولا يرتاب الواقف على هذا الصك في أن الحسين عليه السلام لا يريد من

(٥) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٥٧ وصبح الأعشى ج ١٠ ص ٩ وفتوح البلاذري ص ٧٧ وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٨٤.

(٦) المنتخب للشيخ الجليل الطبري.

الوثاقة التي حازها « مسلم » إلا تلکم الغايات الکرمة التي ألمعنا اليها وقيامه بشؤون الولاية العامة واحتوائه على مجامع الفضيلة، ثم تلك الأخوة التي شرفه بها سيد الشهداء لا تعدو أن تكون أخوة شرف ووداد، أخوة علم ودين أخوة سؤدد وخطر، وأي ابن انثى يرتضيه « إمام الحق » أخاله من بين المسلمين إلا أن يكون ذلك الإنسان الكامل الذي لا يدرك شأو مجده ولا يبلغ أحد مدى عظمته - صلى الله عليه وعلى آبائه - .

سفر مسلم إلى العراق

تقيض مسلم عليه السلام لما ندبه إليه أبو عبد الله الحسين عليه السلام من حمل أعباء النيابة الخاصة ومعه صك الولاية أو الشرف الوضاح والسؤدد الخالد فخرج من مكة للنصف من شهر رمضان ^(١) على طريق المدينة وإذ وصلها صلى في مسجد الرسول وزار بقعته المقدسة ^(٢) ووذعه الوداع الأخير، وجدد هنا لك الموثيق المؤكدة على ما انطوت عليه أضالعه من التضحية والمفادات دون إحدى الحسنين الحياة السعيدة أو الخلود بالذكر المؤبد بمرضاة رب العالمين، ثم ودّع أهله وسافر إلى العراق ومعه قيس بن مسهر الصيدائي وعمارة بن عبد الله السلوي وعبدالرحمن بن عبد الله الأزدي ^(٣) مع دليلين استأجرهما من قيس يدلانه على الطريق ^(٤).

ولم يأخذ الطريق الجدد إلا وألق الحق معه ولم يهبط الى واد إلا وعبق الصدق يصحبه ومزيح نفسه شهامة من قومه وبسالة من عمه أمير المؤمنين عليه السلام وعزيمة ممن شرفه بالولاية والنيابة عنه سيد الشهداء، وأنه لا يرى الموت دون الحق إلا سعادة والحياة مع الضالمين إلا برما.

وبينا هو يسير الى قصده الأسنى إذ ضل الدليلان عن الطريق فتاهوا في البر

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٦ / شرح الشريشي على مقامات الحريري ج ١ ص ١٩٢.

(٢) تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٩٨.

(٣) كامل ابن الاثير ج ٤ ص ٩، والأخبار الطوال ص ٢٣١.

(٤) الإرشاد للشيخ المفيد.

واشتدَّ بهم الحر والعطش ولم يستطع الدليلان حراكا ولكن بأن لهما سنن الطريق فقلا لمسلم عليك بهذا سمت فالزمه لعلك تنجو، وحيث أنه لم يسعه حملهما للتوصل الى النجاة لأنهما على وشك الهلاك وغاية ما وضح للدليلين العلائم المفضية الى الطريق لا الطريق نفسه، ولم تكن المسافة بينهم وبين الماء معلومة وليس لهما طاقة على الركوب بأنفسهما ولا مردفين مع آخر وبقاء مسلم عليه السلام معهما إلى منتهى الأمر يفضي الى هلاكه ومن معه فكان الواجب المؤكد التحفظ على النفوس المحترمة بالمسير لادراك الماء فلذلك تركهما في المكان ^(٥). ومضى على الوصف ومات الدليلان عطشا وأفضى مسلم إلى الماء فأقام به وهذا الموضوع ^(٦) يعرف بالمضيق من بطن الخبت ^(٧).

وكتب الى الحسين عليه السلام مع رسول استأجره من أهل هذا الموضوع يعرفه خبر الدليلين وأنه ينتظر أمره.

وهنا نستفيد منزلة عالية لمسلم في التقوى والورع في أمر الدين وأنه لا يتخطى رأي حجة الوقت في حله ومرتحله وإنما كتب الى إمامه بهذه الحادثة لأنه احتمال أن يكون هذا الحادث يغير رأي الإمام فتوقف عن المسير ليرى ما عنده ويكون على بصيرة في إنفاذ أمره. ولما قرأ السبط الشهيد كتاب مسلم أمره بالمسير الى مقصده تعريفا بأن هذه الأحوال لا تغير ما عزم عليه من إجابة طلب الكوفيين وقد ملاؤ الأجوأ هتافا بأنهم لا إمام لهم غيره ينتظرونه ليقيم ودهم فلو لم يجبهم تكون لهم الحجة عليه يوم نصب الموازين والإمام المنصوب من قبل الله تعالى لا يعمل عملا يسبب اللوم عليه.

٥) استنبطنا ذلك مما يحمله مسلم من القدسية التي تمنعه من ترك الأولى فضلا عما يراد من الدين بل ما تقتضيه الإنسانية.

٦) الأخبار الطوال ص ٢٣٢.

٧) في الطبري ج ٦ ص ١٩٨، وابن الأثير ج ٤ ص ٩ الخبيث بالخاء المعجمة والباء الموحدة ثم المثناة من تحت وبعدها المثناة من فوق، وفي إرشاد الشيخ المفيد الخبت بالخاء المعجمة ثم الباء الموحدة وبعدها تاء مثناة من فوق، وفي نص الأخبار الطوال ص ٢٣٢ الحريث بالخاء والراء المهملتين ثم الباء الموحدة وبعدها ثاء مثناة وهو غير مراد قطعاً لأن الحريث كما في تاج العروس ومعجم البلدان نبت طيب، وأما ما في الإرشاد فيمكن إرادته لأنه في تاج العروس ج ١ ص ٦١ ذكر من معانيه المتسع من الأرض والوادي العميق الوطيء نبت العضاة وقرية لزبيد في البر مشهورة وماء لكلب كما أن الأول يمكن إرادته لأن الخبيث كما في معجم البلدان والمعجم مما استعجم للبكري ماء لبني عبس وأشجع يقع في العالية وهي الحجار وفي المستعجم أنه موضع على بريدين من المدينة.

مسلم لا يتطير

تمهيد:

جاء النبي ﷺ حاملا لواء الدعوة الألهية، وفيها بث روح النشاط في معتقبيها الى كل معروف من راجح في الشريعة، أو مباح تداولته العقلاء في التوصل الى مقاصدهم لئلا يربكهم العطل، فيتقهقروا عن الرقي، ويعوزهم الحصول على الثروة، ويضيق نطاق المملكة عن التوسع، ويعروا ملكهم عن الأبهة، ويقصروا عن نيل الغايات يستنتج ذلك من الأحاديث النبوية، وكلمات الأئمة، من خلفائه الواردة في الحث على التجارة والزراعة والصدقة ونحوها وإليك يسرا منها لتعرف الغاية المرموقة للشريعة المطهرة.

فيقول رسول الله - ﷺ -:

« تسعة أعشار الرزق في التجارة والجزء الباقي في الغنم، وان من بات

ليلته كالآل من طلب الحلال بات مغفورا له »

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

« تعرّضوا للتجارة فان فيها غنى لكم عما في أيدي الناس وانّ الله يحب

المحترف الأمين، فهذا داود عليه السلام أوحى اليه الله تعالى: انك نعم العبد إلا

انك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك، فبكى داود عليه السلام أربعين

صباحا حتى أوحى الله تعالى اليه أني ألت لك الحديد فاعمل منه، فكان

يعمل بيده كل يوم درعا يبيعه

بألف درهم فعمل ثلثمائة وستين درعا باعها بثلثمائة وستين ألفاً واستغنى
بها عن بيت المال. »

ورأى محمد بن المكندر أبا جعفر الباقر عليه السلام خارجاً إلى بعض نواحي المدينة في وقت
حار وهو يتصبب عرقاً فقال له: إنك من أشياخ المدينة تخرج على مثل هذا الحال لطلب
الدنيا أرأيت لو جاءك أجلك وأنت على هذا الحال؟ فقال عليه السلام:

« إني لا أخاف أن يجيئني أجلي على هذا الحال وأنا في طاعة الله أكفّ
بها لنفسي وعتيالي عنك وعن الناس، وإنما كنت أخاف لو جاءني الموت
وأنا على معصية من معاصي الله. »

ورأى ابو عبدالله الصادق عليه السلام المعلى بن خنيس متأخراً عن السوق فقال له:
« اغدو الى عزك فإن رسول الله قال: ملعون ملعون من ألقى كفه على
الناس. »

وقال ابو الحسن موسى - عليه السلام - :-

« من طلب الرزق من حله ليعود به على نفسه وعتياله كان كالمجاهد في
سبيل الله ^(١) ». »

وقالو عليهم السلام في الصدقة:

« إنّها تذهب نحس ذلك اليوم وان الله يدفع بالبكور شر ما ينزل من
السماء الى الأرض في ذلك اليوم وان يد المعطي أحد الأيدي الثلاثة التي
يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يد الله العليا، ويد المعطي تليها، ويد
السائل السفلى فاعط الفضل ولا تعجز نفسك ^(٢) ». »

وفي الزراعة يقول الصادق - عليه السلام - :-

« والله ما عمل أحد عملاً أحل ولا أطيّب من الزراعة والغرس فإنّ الزراعة
الكيمياء الأكبر ولقد جعل الله أرزاق أنبيائه في الزراعة والضرع إلا ادريس
كان خياطاً وأمر سبحانه وتعالى آدم

(١) هذه الأحاديث ذكرها الحر العاملي في الوسائل ج ٢ ص ٥٢٧ و ٥٢٩ و ٥٣١ طبع عين الدولة.

(٢) النصوص ٤٧.

عَلَيْهِ أَنْ يَحْرَثَ بِيَدِهِ لِيَأْكُلَ مِنْ كَدِّهِ (٣) .»

وهذه آثار كافية في التعريف بما عليه الشريعة من الحث المتأكد للدؤوب على الأعمال والنشاط في أمر الدنيا للعون على الآخرة والتكفف عما في أيدي الناس وكفاية ما أهمهم من أمر العيال وأن التواني عن العمل مبعوض للشارع المقدس لاستلزامه محاذير لا تتفق مع ما يراد من البشر في التوجه نحو الخالق جل شأنه القابض على أزمّة القضاء والقدر وأن الواقف على مباحث علمي الأخلاق والفقهِ يجد الكثير من الشواهد على هذه الدعوى ومنها منفيات جاءت بها الملة الحنيفية اكتسحت ما تداوله الجاهليون مما يضرب على يد النشيط ويوقف سير البشر عن بلوغ الغايات.

كالتأثير بمجري النجوم وسعود الأيام ونحوسها وإن كنا لا ننكر أن المشيئة الإلهية جعلت للأوقات الخاصة والآيات الكونية كالكسوف والخسوف والزلزلة وظهور المذنبات وتغيير الهواء دخلا في نزول البلاء الذي قدره والخير الذي أمضاه لكن لاعلى نحو العلة التامة كعلية النار للإحراق بحيث لا يمكن التخلف عند حدوثها، وإنما تلك الحوادث من المقتضيات التي يرتفع أثرها ببعض الأسباب المقارنة لها.

ومن هنا نرى المشرع الأعظم ﷺ أمر أمته بالفرع الى الله تعالى بالصلاة والدعاء والاستغفار ونحوها مما فيه الزلفى للمهمين جل شأنه عند حدوث الأشياء المخيفة ولا مانع عقلا من أن يودع المولى سبحانه وتعالى في مجري الكواكب والأوقات الخاصة جهة اقتضاء لنزول بائه، ويجعل بمقتضى لطفه وحنانه وكرمه على عباده أسبابا آخر تسلب أثر تلك المقتضيات إن وقعت مقارنة لها.

وقد جاءت الشريعة بكثير من هذه الأسباب الرافعة لتأثير المقتضيات كصلة الأرحام الموجبة لنمو العدد من العمر والمال والولد والصدقة والتوكل على الله والإستغفار المذهب لنحس اليوم وشر ما ينزل من السماء.

ومن هذا الباب ما جاء: أن الرؤيا على ما عبّرت ولا تقصوها إلا على من يعقل (٤) ولا يحدث بها إلا حبيب أو لبيب (٥) فالحبيب يردعه حبه عن أن يسيء الى حبيبه بالتعبير السيء واللبيب يردعه اللب والعقل عن اساءة أخيه في الدين، والغاية منه رفع المساءة

(٣) المصدر ص ٦٤٩.

(٤) البحار ج ١٤ ص ٤٣٦.

(٥) المجازات النبوية للشريف الرضي ص ٢٥١ مصر.

عن النفوس الباعثة على التأخر في العمل وتوليد روح الإقدام فيها بكسح العرقلة أمام مسعاه.

وليس الغرض أن تعبير الرؤيا بالحسن مما يغير القدر الجاري بل القضاء يكون على مجراه حتى مع حسن التعبير إذ ليس في نفس الرؤيا دليل قطعي على دفع القدر المحتوم فيما إذا كان التعبير حسنا بل الغاية أن الانسان مع حسن التعبير لا يتأخر عن العمل بخلاف التعبير السيء فإنه يوجب الفتور والتأخر عن الحركة وربما يؤدي الى الشرك.

ومما أكدت الشرعية نفيه « الطيرة » فإنها اكتسحت ببيائها الاوفى ما اعتاده الجاهليون مما يردع العامل عن قصده ولا يتاح له الحصول على غاياته وأوضحت مضار هاتيك العرقلة أمام مسير الأمة. فالمسلم المستنير بالتعاليم الربوبية لا يكثر بالأقرب والأعضب والبارح^(٦).

والى هذه التافهات من عادات الجاهلية يشير الكمييت الأسدي بقوله:

ولا أنما ممن يزجر الطير همه أصح غراب أم تعرض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مرّ أعضب

وهذه العقيدة الراسخة في نفسه استفادها من تعاليم أئمتها من آل الرسول ﷺ الدعاة الى شرع جدتهم الذي لم يزل يهتف غير مرة بأن الطيرة مرفوعة عن هذه الأمة^(٧) وأنها من الشرك وما منا من يتطير^(٨) ومن استقسم أو تكهن أو تطير طيرة ترددة عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى يوم القيامة^(٩) وأن من أرجعته الطيرة من حاجة فقد أشرك^(١٠) فاذا تطيرت فامض^(١١).

وكتب بعض البغداديين الى أبي الحسن عليه السلام - يسأله عن الخروج يوم الأربعاء، فقال:

٦) في تاج العروس ج ٢ ص ١٢٣: البارح ما مر من الطير من يمينك الى يسارك، والسانح عكسه، والأول يتطير منه دون الثاني، وفيه ج ١ ص ٣٨٧: الأعضب مكسور القرن والأقرب صحيحة.

٧) الخصال للصدوق في باب التسعة.

٨) نهاية ابن الأثير ج ٣ ص ٥٨، وشرح النهج الحديدي ج ٤ ص ٤٣٠.

٩) محاضرات الراغب ج ١ ص ٦٧.

١٠) مفتاح دار السعادة ج ٢ ص ٢٧٤.

١١) محاضرات الراغب ج ١ ص ٦٨.

« من خرج يوم الأربعاء خلافا على أهل الطيرة وقي من كل آفة وقضى الله حاجته » (١٢).

ولما سمعت أم كلثوم أباه أمير المؤمنين يقول: « صوائح تتبعها نوائح » قالت: يا أبة تطير؟ قال عليه السلام:

« يا بنية ما منا أهل البيت من يتطير ولا يتطير به ولكن قول جرى على لساني (١٣). »

ولم يحك الله التطير إلا عن أعداء الرسل المالكين عن صراط الشريعة المنحرفين عن التعاليم المقدسة فانهم قالوا لرسولهم: « إنا تطيرنا بكم لعن تنتهوا لئلا نرجمنكم ولئلا نؤذيكم منا عذاب أليم * قالوا طائرکم معکم أئن ذکرتم بل أنتم قوم مسرفون » وفي الحكاية عن قوم صالح: « قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائرکم عند الله »، وفي الحكاية عن قوم فرعون: « فاذا جاءهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا انما طائرهم عند الله »، وفي الحكاية عن أعداء رسول الله: « وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله ».

فالطائر سواء فسر بالبلاء المنزل عليهم أو العمل المسبب لنزول البلاء تكون نسبتته إلى الله تعالى باعتبار أنه المجازي لهم على أعمالهم القبيحة، ونسبته إليهم باعتبار تسيبهم لنزول البلاء بالجحود والطغيان على المولى الحكيم جل شأنه وتكذيب الرسل بما جاؤا به من عند ربه وأنذروا أممهم الذي هو سبب لتقدير قضاء الله وحلول بلائه ونقمته.

وعلى كل حال فالشريعة المطهرة ردت عن كل ما يعرقل البشر عن الفوز والنجاح والمضي في الأعمال وبلوغ الغايات، وإن التطير بتلك الأمور المعروفة عند العرب فمع اعتقاد أن لها التأثير في الخير والشر فهو شرك كما في الحديث، ومع عدم الاعتقاد بها فمن الخطأ الواضح التأخير عن الأعمال عند عروضها وإن أشد الناس خوفا وأضيقهم صدرا وأحزنهم قلبا كثير الإحتراز لما لا يضره ولا ينفعه، وكم شخص حرم بذلك نفسه من الرزق بتأخره عن الأعمال مجرد سماع أو رؤية ما يسوؤه.

وقد أوضح النبي صلى الله عليه وآله وسلم لامته فساد الطيرة ليعلموا أن الله تعالى

(١٢) من لا يحضره الفقيه للصدوق ص ١٦٨.

(١٣) المستدرک للنوري ج ٢ ص ٢٧.

لم يجعلها سبباً لما يخافونه لتطمئن قلوبهم وتسكن نفوسهم الى وحدانية الباري عز شأنه فيترسلون في أعمالهم ولا يحذرون من وخامة العقابة فلا ينبغي للانسان التوقف في أعماله متكلاً على هذه الأمور التي لا يقيم لها وزن في جنب الإرادة الإلهية.

ثم من لطف الشارع بالأمة جعل لهم أسباباً يكون قيامهم بها منجاة من وخامة ما يتطهرون منه فأرشدهم إلى أن التوكل على الله يذهب ما يخاف من الطيرة^(١٤)، والصدقة تدفع الأضرار الموهومة^(١٥)، والدعاء عند السفر منجاة من الشر كما قال أمير المؤمنين عليه السلام عند خروجه إلى النهروان:

« اللهم لا طير إلا طيرك، ولا ضير إلا ضيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك^(١٦) ».

أو كما قال موسى بن جعفر عليه السلام:

« اعتصمت بك يا رب من شر ما أجد في نفسي فاعصمني من ذلك^(١٧) ».

وكما صدر من الشارع نفي الطيرة أخبر عن حسن الفأل بالأسماء الحسنة، والسر فيه أن التفأل يوجب النشاط في العمل والمضي في المقصد وهو الذي يريد المولى سبحانه من العباد.

فالتطير بما أنه تشاؤم من المرئي أو المسموع يكون قاطعاً للعبد عن مقام « إياك نستعين » وفتاحاً على نفسه باب الخوف بغير الله ومن هنا أطلق عليه الشرك وتبرأ منه النبي وأهل بيته فقالوا: « ما منا من يتطير. »

وأما الفأل فيحث أنه من الأشياء السارة للقلوب المؤيدة للآمال، الفاتحة باب الرجاء المسكنة للخوف، الرابطة للجأش الباعثة على الاستعانة بالله والتوكل عليه، المفضية بصاحبها الى الطاعة والتوحيد حرّض عليه النبي وأحبه فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

« لا طيرة وخيرها الفأل ».

(١٤) الوسائل ج ٢ ص ١٨٠ عين الدولة.

(١٥) المصدر ص ١٨٢.

(١٦) أمالي الصدوق.

(١٧) من لا يحضره الفقيه ص ١٦٨، وشرح النهج الحديدي ج ٤ ص ٤٣١.

وفي لفظ آخر:

« ويعجبني الفأل الصالح ^(١٨) ». »

وفي حديث بريدة:

« كان النبي لا يتطير وإنما يحب الفأل ^(١٩) استقبلته في سبعين من أسلم فقال لي: ما اسمك؟ قلت: بريدة، فسر وجهه وقال: برد أمرنا وصلح، وممن؟ قلت: من أسلم، قال: سلمنا، ثم ممن؟ قلت: من بني سهم، قال: خرج سهمنا ^(٢٠) ». »

وليس في حديث اللقحة التي أمر بحلبها فقام رجلان ليحلبها وكان اسم أحدهما مرة والآخر حرب فأمرهما بالجلوس حتى إذا قام ثالث اسمه يعيش أمره بالحلب ^(٢١)، ما يشهد للتطير فإنه من المحال على النبي أن ينهى عن شيء ثم يرتكبه وإنما صدر منه هذا تأكيداً لما نهى عنه من التسمية بمثل حرب ومرة وجمرة وأمثالها فأتبع قوله الفعل تعليماً للمسلمين بالمضي على أمره مطمئنين غير هيايين.

ومما يؤكد ما في بعض الأحاديث من زيادة قول عمر: أتكلم يا رسول الله أم أصمت؟ فقال ﷺ:

بل أصمت وأنا أخبرك بما أردت ظننت يا عمر أنها طيرة؟ وليست بذلك فإنه لا طيرة إلا طيره ولا خير إلا خيره ولكن أحب الفأل الحسن ^(٢٢).

والنكتة في نهي النبي عن التسمية بالأسماء القبيحة حتى غير بعض الأسماء إلى ما هو أحسن كتغيير الحباب بن المنذر إلى عبدالرحمن، وشهاب إلى هشام، وحرب إلى سلم، وأبي مرة إلى أبي حلوة، وبني مغوية إلى بني مرشدة ^(٢٣)، هو إرشاد الأمة إلى أن البقاء على مذاهب سلفهم من التسمية بتلك الأسماء ربما يؤدي إلى حزن بعضهم من

(١٨) البخاري ج ٤ ص ١٤ ومسلم ج ٢ ص ٢٦٠.

(١٩) مسند أحمد ج ٥ ص ٣٤٧.

(٢٠) الاستيعاب بترجمة بريدة.

(٢١) موطأ مالك ج ٣ ص ١٤٠ مصر.

(٢٢) مفتاح دار السعادة ج ٢ ص ٢٦٢.

(٢٣) المصدر.

بعض عند المصاحبة والملاقات لكون الطيرة من الغرائز الكامنة في النفوس فقد يعبر الإنسان
تعبير السوء من اشتقاق الاسم فيفارق صديقه وأخاه في السفر والمعاملات والشركات فتتحل
عري الإجتماع وتفكك الوحدة والتضامن، فكان من لطف الشارع على الأمة ورأفته بهم أن
عرفهم بأن لا يقيموا على حال يتنفر منها لغير عذر ولا فائدة تعود في الدين والدنيا فإنه جاء
حاملا لواء الوحدة والإجتماع والتراحم وادخال المسرات على المؤمنين.

ولذا كان يأمر بال غسل والطيب يوم الجمعة ويمنع أكل الثوم من ادخال المسجد لما فيه
من الإستكراء الموجب للتنفر والفرقة الرافعة للحنان والعطف.

وأما عدوله ﷺ عن الجبلين في طريقه الى « بدر » وكان أهل أحدهما بنو النار
والآخر بنو محرق فليس للتطير لأنه كان على حال أحوج فيها الى الاجتماع والتضامن من
التفرق وغرائز الناس على حالها من الإنقباض عن الأسماء القبيحة فأراد النبي ﷺ
مما شاتمهم في هذا الحال كي لا يتفرق جيشه تطيرا من اسم الجبلين وأهلها.

هذا على فرض صحة الحديث وإلا فالجمال واسع في حساب أولئك الرجال من حيث
الإعتماد على مروياتهم.

وسؤال الحسين عليه السلام عن اسم الأرض ولما أخبر بأنها كربلاء قال: « كرب وبلاء » لم
يكن من التطير في شيء فإن المتطير لم يعلم ما يرد عليه وإنما يستكشف ذلك من تلك
الأشياء المعروفة عند العرب إنما سبب لورود الشر، وسيد الشهداء كان على يقين مما ينزل به
في أرض الطف من قضاء الله تعالى فهو عالم بالكرب الذي يحل به وبأهل بيته.

كما أنه عليه السلام لم يكن جاهلا باسم الأرض، كيف والامام عندنا معاشر الإمامية عالم
بما يجري في الكون من حوادث وملاحم، ويعرف ما أودع الله في الأشياء من أسرار ومزايا
إقدارا من مبدع السموات والأرضين - جللت عظمته - فإنه سبحانه أودع في الأئمة
الطاهرين قوة قدسية نورية بواسطتها كانوا يتمكنون من استكشاف الأشياء، ويقفون على
أنساب الناس، وما تكته الصدور، وما يدخرون، ويعرفون لغات الحيوانات، وإذا جاز في
سليمان عليه السلام أن يعرف منطق الطير كما قال تعالى: « **وعلمنا منطق الطير** » ففيمن تكون
من نور النبي الذي هو أكمل

الكائنات أولى وأحدر، وهذه القوة عبّر عنها في الآثار بعمود نور يرفع للإمام عليه السلام عند الولادة يرى به أعمال العباد وما كان ويكون.

فسؤال الحسين عليه السلام عن اسم الأرض التي منعوا من اجتيازها ^(٢٤) أو أن الله أوقف الجواد فلم ينبعث ^(٢٥) كما أوقف ناقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الحديبية فلم تنبعث حتى هبط جبرئيل يأمره بالنزول في هذا الموضع والصلح مع قريش ^(٢٦)، لأجل أن يعترف أصحابه بتلك الأرض التي هي محل التضحية الموعودين بها باخبار النبي والوصي - صلى الله عليهما وآلهما - لتطمئن القلوب وتمتاز الرجال وتثبت العزائم وتصدق المفادات.

وهذا باب من الأسئلة معروف عند علماء البلاغة يعرف بتجاهل العارف أو سوق المعلوم مساق المجهول، وإذا كان فاطر الأشياء الذي لا يعادر علمه صغيرا ولا كبيرا يقول لموسى عليه السلام: « وما تلك بيمينك يا موسى »، ويقول سبحانه لعيسى عليه السلام: « أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين » لضرب من المصلحة، فالإمام المنصوب من قبله أمينا على شرعه ودليلا لعباده لا تخفى عليه المصالح.

وهذا كسؤال النبي عن اسم الجبلين واسم الرجلين اللذين قاما لللب اللقحة، ألم يكن النبي الأعظم المتكون من النور الأقدس عالما بذلك؟ وإنما النكتة ما أشرنا إليها. لقد ورد عن الشارع أحاديث ربما يستظهر منها غير المتأمل في أسرارهم إثبات الطيرة مثل ما ورد: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

« لا عدوى ولا طيرة وإنما الشؤم في ثلاثة: المرأة والفرس والدار ^(٢٧) ».

وهذا في الحقيقة إخبار عما تعلق به إرادة المولى جل شأنه بعدم السعادة في هذه الأشياء لمن اقترن بها، وصاحبها نظير خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة فبعض الأشخاص يتلذذ بها، وبعض يلحقه الضرر منها كما أودع تعالى شأنه في بعض الأحجار

(٢٤) كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٢١.

(٢٥) المنتخب للشيخ الجليل الطريحي.

(٢٦) ابن الأثير ج ٢ ص ٧٦.

(٢٧) صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٦١.

خوَصَّ من خير أو شر تلحق من يحملها.

ومن هذا القبيل المرأة والفرس والدار، فإن الله تعالى قضى بسعادة من قارنها كما قضى بنحوسه جريا لناмос المصالح والمفاسد في الأشياء، فأين هذا الطيرة التي يحكم فيها بنحوس الشيء وإن لم يجعله الله كذلك.

والنبي ﷺ حيث لم يسعه المصارحة بهذه الأسرار لبعده العقول عنها أجمل البيان ثم نصب قرينة على المراد باقتران هذه الثلاثة بنفي الطيرة في كلام واحد وإلا فلا يعقل منه ﷺ أن ينفي الطيرة ثم يفرضها في كلام واحد فيقول: لا طيرة وإنما الشؤم في ثلاثة - الخ. على أنه ورد في أحاديث آل الرسول ﷺ ما يفسر ذلك الشؤم المخبر عنه؛ ففي حديث الصادق عليه السلام:

« شؤم المرأة كثرة مهرها، وعقوق زوجها، وأما الدابة فمنعها ظهرها وجماحها، وأما الدار فضيق ساحتها وشر جيرانها وكثرة عيوبها، ومن بركة المرأة خفة مؤنتها ويسر ولادتها (٢٨) »

وفي وصية النبي ﷺ لأمر المؤمنين: عليه السلام:

« العيش في ثلاثة: دار قوراء وجارية حسناء وفرس قباء » (٢٩).

ونفي العدوى في هذا الحديث لا ينافي ما ورد أن الرجل يصيب إبله الجرب فيوردها على إبل صحيحة، فقال النبي ﷺ:

« لا توردن ذا عاهة على مصح ».

فإن الغرض من النهي التحرز عن إيذاء المؤمن بادخال الإبل الجرب على الصحيحة لاعتقاده أن ذلك مؤثر في العدوى فيتسبب منه التنفر من هذا الفاعل، والمذمة له وقد جاءت الشريعة بالتعاقد والالفة بين المسلمين. فقوله: « لا توردن ذا عاهة » ليس العدوى إذ قد يكون في الحيوان الوارد عليه المريض مناعة تضاد ميكروب الجرب فلا يصاب بذلك الداء، ومن هنا قال الشريف المرتضى: إنا نجد كثيرا ممن يخالط الجربى فلا يجرب ويخالط الصحيح ذا عاهة فلا يصيبه من دائه شيء فنهى النبي لم يكن

(٢٨) معاني الأخبار للصدوق ص ٤٩.

(٢٩) الحصال الصدوق ج ١ ص ٦٢.

للملازمة الواقعية في التأثير.

كما أن أمره صلى الله عليه وآله بالفرار عن المجذوم في قوله: « فر من المجذوم فراك من الأسد »^(٣٠) لا دلالة فيه على العدوى بحيث تكون مقارنة المجذوم علة تامة للتأثر لإمكان وجود المناعة الرافعة للإنفعال، بل الغرض من الأمر بالفرار الإيعاز الى استقداره، وبتن ربحه، والتنفر منه وربما يسبب ذلك تعبيره والإزدراء عليه، فينكسر ذلك المبتلي بقضاء اله، والمولى الحكيم لا يريد من العباد إلا التراحم والعطف فيما بينهم.

وامتناع النبي من إدخال المجذوم عليه للبيعة^(٣١) لا دلالة فيه على العدوى وإلا فقد ورد الحديث أنه أخذ بيد مجذوم ووضعها في القصعة وقال: « كل ثقة بالله وتوكلا عليه »^(٣٢). كما أن السجاد عليه السلام السائر على ضوء جده وأبيه لم يمتنع من الأكل مع المجذومين؛ ففي الحديث أنه عليه السلام مر على مجذومين يأكلون فدعوه الى الأكل معهم فقال عليه السلام: « لولا إني صائم لفعلت » فلما صار إلى منزله أمر بطعام فصنع ثم دعاهم فأكلوا وأكل معهم^(٣٣). فلو كانت مقارنة المجذومين علة تامة للعدوى لما فعل الإمام عليه السلام ولكنه بين للواقفين على فعله معهم ممن حضر ومن الأجيال المتتابعة أن الإتصال بذوي العاهات قد لا يؤثر في انفعال الأجسام الصحيحة لوجود القوة المانعة منه أو للتوكل على الله والثقة بأنه سبحانه مورد البلاء حسب مقتضيات.

(٣٠) أمالي السيد المرتضى ج ٤ ص ١١١، ومختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٢٣، وسفينة البحار ج ١ ص ١٤٨ عن أمالي الصدوق، والهيئة والإسلام للشهرستاني ج ١ ص ٢٧ بغداد، وصحيح البخاري ج ٤ ص ٨ كتاب الطب، ومفتاح دار السعادة ج ٢ ص ٢٨٧.

(٣١) مختلف الحديث ص ١٢٣.

(٣٢) مفتاح دار السعادة ج ٢ ص ٢٨٧.

(٣٣) البحار للمجلسي ج ١١ ص ١١٧ عن الكافي.

مسلم يتفأل

لقد طال البحث في هذا الموضوع، والكلمة الفاصلة أن أحاديث نفي الطيرة وأمثالها إنما وردت لاكتساح عادات الجاهلية مما يوقف الانسان عن المضي في أعماله متكلا على هذه الأمور التي لا تأثير لها في جنب الإرادة الإلهية والقضاء الربوي، ومن أجل هذا ذكر أهل البيت عليهم السلام أسبابا توجب الإنحراف عن تلك العقائد وتلزم بالمضي في الأعمال لئلا تقع الأمة في الضلال المردي والفشل الذي يفت في عضد الجامعة.

إذا فما حدث به ابن جرير الطبري من تطير مسلم عليه السلام لما مات الدليلان عطشا ^(١) لا واقع له؛ فإن من يقرء سيرة مسلم عليه السلام يعرف أنه ذلك الرجل العظيم السائر على نصوص القانون الإلهي المستنير بما جاء به حامل الدعوة مشرفهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من المعارف ومكارم الأخلاق، وإذا كان مسلم لم يتباعد عما رواه سيد الوصيين عليه السلام من حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الإسلام قيد الفتك» فلم يفتك بآبن زياد وهو الغشوم اللدود المفرق لأمة محمد الحائد بما عن الصراط السوي، فكيف يتأخر عما أفادته الأحاديث الكثيرة من نفي الطيرة التي لم تنزل أنديتهم تلهج بما صباحا ومساء، وهم المقيضون لما يراد من العباد من أعمال الخير وتبعيدهم عن خطة الخسف والهوان. فهل والحالة هذه يجوز العلم والوجدان نسبة التطير

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٩٨.

الى رسول الحسين - ﷺ - وخليفته في حاضرة الكوفة ليكون مرشدا ومهدبا وراذعا للأمة عما لا يتفق مع قدس الشريعة.

ولئن غاضينا ابن جرير على عدم معرفته بما حواه هذا البيت المنيع من رجالات الإصلاح، فلسنا نسالمه على هذه المبادرة التي نسبها الى مسلم الذي لم يعرف منزلته، ولا مقدار عمله وما يتوخاه من أسمى الغايات، وقد فاته أن الرواة أرادوا شيئا كشف المستقبل عن تفكك قياسه.

نعم كان مسلم ﷺ يتفأل كما كان النبي ﷺ وأبناءؤه الهداة يتفألون وذلك لما ارتحل من ذلك الماء أشرف على رجل يرمي ظبياً فصرعه فسره وتفأل بقتل عدوه (٢).

ولئن فرح ابن زياد بالغلبة على رسول الحسين ﷺ، فقد « أخطأ الحفرة »، فإن الظافر هو ابن عقيل كما تفأل، إذ ليس الفتح إلا ما يترتب على تلك النهضة من تعريف الأمة نوايا أولئك المتأمرين عليها بالقهر والغلبة وقد أخذت الأمة بسبب ذلك القيام في وجه المنكر تنلو في كل زمان مخازي زياد وابنه ومن مكنهم من رقاب المسلمين وابنه ولئن سرّ ابن زياد الفتح العاجل فلقد أعقبه ندما ولات حين مندم يوم كثر اللوم عليه حتى من أهله وخاصته.

فإن أخاه عثمان قال له: وددت أن في أنف كل رجل من بني زياد خزي أمة، وأنك تقتل حسيناً، فلم ينكر عليه عبيدالله (٣) وقالت له أمه مرجانه: ماذا صنعت مع الحسين، وماذا فعلت؟، فلم يجيبها بشيء (٤) وبماذا يجيبها وللهتاف بخطأه وزلته دويّ في آذانه؟ وأكد ذلك ما شاهده من النار الخارجة من بعض نواحي القصر قاصدة سريره فوّلّى هاربا منها الى بعض بيوت القصر، وعند ذلك تكلم الرأس الأزهر بصوت جهوري سمعه ابن زياد وبعض من حضر:

« الى أين تهرب يا ملعون فإن لم تنلك في الدنيا فهي في الآخرة مثواك » ولم يسكت

الرأس حتى ذهبت النار، وأدهش من في القصر لهذا الحادث

(٢) إرشاد المفيد.

(٣) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٦٨.

(٤) المصدر ج ٧ ص ٦.

(٥) المنتخب للشيخ الجليل الطريحي.

الذي لم يشاهد مثله (٦).

افتراء على الحسين عليه السلام

لقد تجلّى مما ذكرناه من رفع الطيرة في الشريعة الإفتراء على ابن عقيل في كتابه إلى الحسين عليه السلام: إني تطيرت من هذا الوجه فإن رأيت أن تعفيني وتبعث غيري، فيكتب اليه الحسين: أما بعد فقد خشيت ألا يكون حملك على هذا إلا الجبن فامض لوجهك الذي وجهتك له (٧).

فان المتأمل في صلك الولاية الذي كتبه سيد الشهداء لمسلم بن عقيل لا يفوته الإذعان بما يحمله من الثبات والطمأنينة ورباطة الجأش، وإنه لا يهاب الموت، وهل يعدو بآل أبي طالب إلا القتل الذي لهم عادة وكرامتهم من الله الشهادة، ولو كان مسلم هيباً في الحروب لما أقدم سيد الشهداء على تشريفه بالنيابة الخاصة عنه التي يلزمها كل ذلك.

فتلك الجملة التي جاء بها الرواة وسجلها ابن جرير للحط من مقام ابن عقيل الرفيع متفككة الأطراف، واضحة الخلل. كيف؟ وأهل البيت ومن استضاء بأنوار تعاليمهم لا يعبأون بالطيرة ولا يقيمون لها وزناً.

وليس العجب من ابن جرير إذا سجلها ليشوه بها مقام شهيد الكوفة كما هي عادته في رحلات هذا البيت ولكن العجب كيف خفيت على بعض أهل النظر والتدقيق حتى سجلها في كتابه مع أنه لم يزل يلهج بالطعن في أمثالها ويحكم بأنها من وضع آل الزبير ومن هذا حدوهم!

(٦) شرح قصيدة أبي فراس ص ١٤٩ إيران.

(٧) تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٩٨.

في بيت المختار الثقفي

لم تكن زعامة الكوفة ولا الترفع بالمكارم العظيمة ولا الإعتصام بالقبيلة قصرا على المختار بن أبي عبيد الثقفي يومئذ، فإن في « حاضرة الكوفة » رجالات يكافئون « أبا اسحاق » في العظمة والنفوذ إن لم نقل بأنهم ينيفون عليه، وإنما وقع اختيار مسلم عليه على المختار حيث عرفه منذ نعومة أظفاره من خاصه البيت العلوي وممن أخلص للعلويين بالمفادات.

وذلك يوم جاء به أبوه إلى أمير المؤمنين عليه فأجلسه على فخذه وهو صبي وقال له وهو يمسخ على رأسه: « يا كييس يا كييس »^(١)، فكانت هذه الكلمة من سيد الوصيين العالم بما كان ويكون درسا بليغا للواقف عليها تفيده فقها بما يظهر على يد المختار من مظاهر السداد، وأفعال ذوي الحجى من الأخذ بحقهم، وطلب تراهم مشفوعا ذلك بالجزم والكيس، وان هذه الكلمة الصادرة من أمير المؤمنين عليه من محتبغات المستقبل نعرف من تدوين العلماء لها وتحمل روايتها الاهتمام بها، وأنها اشريت رمز المستقبل وألمعت الى الحوادث التي يقوم بها، وكشفت حاشية من الستر المرخى على ذلك الستر المصون.

وكان المختار يحسب لهذه البشارة حسابا ويحدث بها نفسه، والأحاديث التي أوردها الشيخ الجليل ابن نما الحلبي من أعيان القرن السادس في رسالته « أخذ النار »

(١) رجال الكشي ص ٨٤.

تدلنا بكل وضوح على اعتقاد المختار بمغزى تلك الكلمة الغالية التي فاه بها باب مدينة علم الرسول.

ومن تلك الأحاديث:

(أ) ان المختار لقي معبد الجدلي فقال له: يا معبد أن أهل الكتب ذكروا أنهم يجدون رجلا من ثقيف يقتل الجبارين وينصر المظلومين ويأخذ بثأر المستضعفين، ووصفوا صفته فلم يذكروا صفة إلا وهي في غير خصلتين أنه شاب وقد جاوز الستين، وأنه رديّ البصر وأنا أبصر من عقاب، فقال له معبد: أما السن فإن الستين والسبعين عند أهل ذلك الزمان شاب وأما بصرك فما تدري ما يحدث الله فيه ولعله يكل.

فقال المختار: عسى أن يكون ذلك إن شاء الله.

(ب) إن ابن زياد حبس المختار وميثم التمار وعبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب الملقب « بيه » فطلب عبدالله حديدة يزيل بها بدنه وقال: لا آمن من ابن زياد القتل، فأكون قد ألقيت ما على بدني من الشعر. فقال المختار: لا يقتلك، ولا يقتلني، ولا يأتي عليك إلا القليل. فتلى البصرة وميثم التمار يسمعها فقال للمختار؛ وأنت تخرج نائرا بدم الحسين عليه السلام فتقتل هذا الذي يريد قتلنا وتطأ بقدميك على وجنتيه، فكان الأمر كما قالوا؛ ولّى عبدالله البصرة وخرج المختار طالبا بثأر الحسين (٢).

(ج) سائر المختار المغيرة بن شعبة أيام ولايته الكوفة من قبل معاوية فمر بالسوق فالتفت المغيرة الى المختار يقول: يا لها من غارة ويا له جمعا إني لأعلم كلمة لو نعق لها ناعق لا تبعوه ولا سيما الأعاجم الذين اذا ألقى اليهم الشيء قبلوه، فقال له المختار: وما هي يا عم؟ قال المغيرة: يستأدون بآل محمد، فأغضى عليها المختار (٣).

لم تزل هذه الكلمة تتردد في نفس المختار حتى أصاب لها موقعا فانه بعد ان قتل سيد الشهداء عليه السلام أخذ ينشر فضل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويتوجع لما أصابهم، وكان على يقين من تحقق تلك البشائر معتقدا أن المولى سبحانه وتعالى سيولّيه تلك المكرمة مؤيدا بالنصر عندما يرفرف على رأسه طائر الظفر ويخفق أمامه علم الفتح.

(٢) رسالة أخذ الثأر، وشرح النهج الحديدي ج ١ ص ١١٠.

(٣) أنساب الأشراف ج ٥ ص ٢٢٣ طبع ليدن.

هذا هو السبب الوحيد في اختيار مسلم النزول في دار المختار ^(٤) عند ما ورد الكوفة
لخمس خلون من شوال ^(٥) وقيل: نزل على مسلم بن عوسجة الأسدي ^(٦) وكان دار المختار
تدعى دار سلام بن المسيب ^(٧).

ولم يكن انتقاله الى دار هاني بن عروة لموجدة وجدها عليه، وإنما كان ذلك بعد خطبة
ابن زياد بعد دخوله الكوفة، ووقع الهرج في المصر خشية من بادرة ابن مرجانة، فارتأى
مسلم أن يستبدل بمحلله لعله أمنع فان هانيا كان شيخ مراد ومذحج، وزعيمها المقدم لا
يفتات رأيه، ولا يعصى أمره، على أنه كان من الرجال المخلصين لآل الرسول ﷺ باشر
الحروب معهم وحنكته التجارب، ولكن قاتل الله الخذلان وأبعد الله الكوفيين عن الخير

(٤) إعلام الوری للطبرسي ص ١٣٢.

(٥) مروج الذهب ج ٢ ص ٨٦، وشرح الشريشي على مقامات الحريري ج ١ ص ١٩٢.

(٦) البداية لابن كثير ج ٨ ص ١٥٢.

(٧) روضة الواعظين للفتال ص ١٤٨.

البيعة

لما حل مسلم عليه السلام ضيفا على المختار الثقفي انثال عليه أهل الكوفة، ولاث به حماة المصر، وازدلف اليه كماته زرافات ووحدا نا يهتفون بالترحيب بداعية حجة الزمن، فقرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام وعرفهم أنه مجيبهم الى ما يريدون إن لزموا العهد وتدرّعوا بالصبر على مكافحة أعدائهم. وهل كان هذا الهتاف بالترحيب، والفرح بالامنية عن طمأنينة، وعقد الضمائر على التفاني في النصره حتى يغلب الله على أمره أو أنه كان مصحوبا بنفاق تكتيية الصدور بين الأضالع غدر كمينقد عرف به القوم في تطوراتهم وميولهم الى جهات متعاكسة؟ وأن موقف عابس بن شبيب الشاكري وصحبه المخلصين بالولاء للعترة الطاهرة يكشف عن نفسية هؤلاء الجمع المتراكم، ويفسر لنا هذه المشكلة والحيرة، ويعطينا درسا ضافيا عن نوايا القوم وعاداتهم، وأن هؤلاء الشيعة كانوا على شك من عزائمهم ان لم نقل بأنهم على يقين من غدرهم ومتابعتهم الأهواء غير أنهم لم يرقهم المكاشفة لثلا يعود ذلك فتا في عضد البيعة ومثيرا للاحن، ومحتدا للبعضاء فأجملوا القول، وهم ينتظرون نواجم العاقبة. فيقول عابس لمسلم:

« إني لا أخسرك عن الناس ولا أعلم ما في نفوسهم وما أغرّك منهم، والله إني أحدثك عما أنا موطن عليه نفسي، والله لأجيينكم إذا دعوتهم، ولأقاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله ». »

وقال حبيب بن مظاهر:

« رحمك الله قد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك، وأنا والله الذي لا
إله إلا هو على مثل ما أنت عليه ».

وقال سعيد الحنفي مثل قولهما ^(١).

وقد ثبت هؤلاء الأبطال في الدفاع عن آل نبيهم حفظاً للعهد وأداء لأجر الرسالة
فأعلنوا بما انطوت عليه جوائنهم من صدق المفادات والإخلاص في النهضة، وما غيروا وما
بدلوا، ومما يؤكد ما أشار إليه عابس وصحبه حديث علي بن الحجاج قال: سألت محمد بن
بشير الهمداني هل كان منك قول أنت؟ فقال له: إني كنت أحب أن يعز أصحابي بالظفر
وما كنت لأحب أن أقتل وكرهت أن أكذب ^(٢).

فإن قوله: « وكرهت أن أكذب » شهادة صدق على خداع القوم وكذبهم في ذلك
العتاف بالترحيب ومد الأكف للبيعة.

أما البيعة التي أخذها مسلم من الكوفيين فهي على حد البيعة التي أخذها رسول الله
من الأوس والخزرج في العقبة الثانية ^(٣) وفي يوم الفتح وأخذها من المسلمين يوم الغدير
وأخذها أمير المؤمنين يوم بويج وأخذها الحسن من أهل الكوفة بعد شهادة أبيه الوصي فإنها
في كل ذلك عبارة عن الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله وجهاد الظالمين، والدفع عن
المستضعفين وإعطاء المحرومين، وقسمة الفياء بين المسلمين بالسوية، ورد المظالم إلى أهلها،
ونصرة أهل البيت على من نصب لهم العداوة والبغضاء وجهل حقهم والمسالمة لمن سالموا
والحرب لمن حاربوا من دون رد لقولهم، ولا تحظفة لفعالهم ولا تنفيذ لرأيهم.

وإن المؤرخين وإن أغفلوا نص البيعة التي أخذها مسلم ^(٤) من الكوفيين كما أغفلوا
الكثير من آثار أهل البيت التي تستفيد الأمة منها تعاليم راقية في

(١) الطبري ج ٦ ص ١٩٩.

(٢) المصدر.

(٣) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٧ وذكر أنهم خمس وسبعون رجلاً فقال لهم رسول الله: أخرجوا لي اثني عشر نقيباً كما
أخذ موسى من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً يكونوا كفلاء على قومهم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم وأنا كفيل
على من معي من المهاجرين فاخترتوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس وهنا كلام للعباس بن عبدالمطلب في
المحافظة على رسول الله ينم عن عقيدته الراسخة بالتوحيد والإيمان منذ البعثة فلا يعياً بما ذكره المؤرخون من إسلامه
بعد بدر.

التهديب والإصلاح لكننا نقطع بأن داعية « إمام الحق » لم يتخط طريقة النبي وخلفائه المعصومين المقيضين لإرشاد البشر بما يجب عليهم من أمر الدين والدنيا، وأنهم كانوا في أخذ البيعة على هذا النهج.

وبعد أن فرغ من التعريف بأمر البيعة الذي يراد منهم، تذاك الناس يمسخون أيديهم على يده يهتفون بالرضا والتسليم كما فعل الأنصار مع النبي ﷺ ليلة العقبة، وقريش يوم الفتح، والمسلمون يوم الغدير، وأهل المدينة يوم بويح أمير المؤمنين عليه السلام، وأهل الكوفة مع السبط الزكي - عليه السلام، فإن هذا هو المعروف فيمن يبايع يمسخون أيديهم على يده. نعم في بيعة النساء يوم الفتح جيء باناء فيه ماء وغمس النبي يده في الماء، وكل امرأة تأتي للبيعة تغمس يدها في ذلك الماء.

فبلغ عدد من بايع مسلماً عليه السلام ثمانية عشر ألفاً أو خمسة وعشرين ألفاً (٤) وفي حديث الشعبي أنهم أربعون ألفاً (٥)، وسرعان ما انقلبوا على أعقابهم فحسروا شرف الدنيا كما عداهم الفوز في الدين وخلدوها صحيفة سوداء يتلوها الملوان ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

كتاب مسلم الى الحسين عليه السلام

لما أحصى ديوان مسلم ذلك العدد الكثير من المبايعين كتب الى الحسين مع عابس بن أبي شبيب الشاكري وقيس بن مسهر الصيداوي بخبرة باجتماعهم على رأيه وطاعته وانتظارهم لقدمه وفيه يقول:

« الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً فعجل الإقبال حين يأتيك كتابي ».

وكان هذا قبل مقتل مسلم بسبع وعشرين يوماً (٦) وانضم اليه كتاب أهل الكوفة فيه: عجل القدوم يا ابن رسول الله فإن لك بالكوفة مائة ألف سيف فلا تتأخر (٧).

(٤) مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٢١٠.

(٥) مثير الأحران لابن نما ص ١١.

(٦) الطبري ج ٦ ص ٢٢٤.

(٧) البحار ج ١٠ ص ١٨٥.

خطبة النعمان

لما بلغ النعمان بن بشير الأنصاري وهو والي الكوفة من قبل يزيد اجتماع الكوفيين على مسلم عليه السلام وبيعتهم له، رقى المنبر وقال: اتقوا الله عباد الله، ولا تسارعوا الى الفتنة والفرقة، فإن فيها يهلك الرجال، وتسفك الدماء، وتغصب الأموال، وإني لم أقاتل من لم يقاتلني، ولا أثب على من لا يثب علي، ولا أشاتمكم ولا أتخرش بكم، ولا آخذ بالقرف، ولا الظنة، ولا التهمة، ولكنكم إن أبديتهم صفحتكم لي، ونكثتم بيعتكم، وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولولم يكن لي منكم ناصرا ما اني أرجو أن يكون من يعرف الحق أكثر ممن يريد الباطل.

فأنكر عليه جماعة ممن له رأي مع بني أمية حتى قال له عبدالله بن مسلم بن سعيد الحضرمي وكان مخالفا لبني أمية: ان هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأي المستضعفين، ولا يصلح ما ترى إلا الغشم.

فرد عليه النعمان: بأني أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلي من أن أكون من الأعزبين في معصية الله ^(١).

ان هذا الوالي لم يرد بكلمته « خالفتم إمامكم ونكثتم بيعتكم » إلا التمويه على العامة بصورة خلافة يذكر فيها البيعة ليزيد، وإنه إمام لا تجوز مخالفته، وإلا فهو جد عليهم بأن ما رماه من القول لاصلة له بالحقيقة لولا تأليفه البسطاء واغرائه الضعفاء المتحرين

(١) الطبري ج ٦ ص ١٩٩.

عيشة راضية مع أي مسيطر، أليس هو القائل: أن ابن بنت رسول الله أحب إلينا من ابن
بجدل (٢).

ثم هب أنا غاضبناه في نزعتنا الاموي، ورأيه العثماني المبين لكل علوي في المبدأ،
فلسنا نسأله على كلمته هذه المنهالة من شتى نواحيها أيحسب أنه يدلي بحجة قوية ويذكر
بيعة صحيحة لامام عدل لا تجوز مخالفته.

ألا مسائل هذا الرجل، متى انعقدت هذه البيعة أيرضا من أهل الحل والعقد أم
بكرهية من الناس، حين أحاط بهم الإرهاب من ناحية والطمع من ناحية أخرى والسيف
المزهق لنفوسهم على رؤوسهم، وآخرون انثالوا عليه وحقائبهم مملوءة من وفره وأطراف المفاوز
تقل كل فار بدينه وهناك صدور واغرة، وفي زوايا الأندية السنة تلهج باستعظام الواقعة
ووخامة العاقبة.

وكان عبدالرحمن بن ابي بكر يجاهر بأنها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل مكانه (٣)
والأحنف يذكر معاوية بالشروط التي أعطها الحسن وكان فيها أن لا يقدم على الحسين
أحدا مع ما لهما من الفضل وأهل الكوفة لم يبغضوهما منذ أحبوهما والقلوب التي أبغضوه بما
بين جوانحهم (٤).

لكن معاوية لم يعبأ بكل نصيحة أسديت إليه من عماله والكبراء الملتفين حوله وأخذ
يبدل الاموال لتمهيد البيعة لولده يزيد حتى تمكن مما أراد بالوعد والوعيد.

ثم نقول لهذا الوالي: متى رضيت العامة والخاصة بالبيعة « لابن هند »؟ حتى ترسخ
لمن بعده لولا سمسرة الأهواء ومتبعي الشهوات، ومن ذا الذي يقصده الوالي المستغشم للمأ
حوله من هذا الإمام الذي لا تجوز مخالفته، ولا تحل نكث بيعته؟ أهو بن ميسون المعروف
ببوائقه ومخاريقه المستهتر الماجن؟ وهي يعرف مجهولا أو ينوّه بمن لا تعرفه الأمة لعن نسي
النعمان بوائق يزيد فلم تنسه المواخير والقيان ولم تغفل عنه المعازف والدنان ولم تله عنه المعرة
والفجوز والعود والقروود.

ليس بغريب من النعمان اذا جاهر ببيعة يزيد بعد أن كان متأثرا بنفسية أبيه « بشير »
الذي لم تشرق عليه أنوار الولاية فأخذ يتردد الجمل في الطاحونة، وصم

(٢) الامامة والسياسة ج ٢ ص ٣.

(٣) ابن الأثير ج ٣ ص ١٩٩.

(٤) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤١.

سمعه عن النداء الإلهي يوم الغدير وغيره بنصب الوصي عليه السلام علما يُهتدى به الى الطريق
اللاحب فكان السابق الى بيعة ابي بكر يوم السقيفة ولم ييارح تلك الأندية الى أن قتل في
وقعة « عين التمر » مع خالد بن الوليد.

فمشى ولده النعمان على ذلك الأثر وجرته المطامع الى مهوى سحيق وكان أبغض
شيء عليه أهل الكوفة لرأيهم في أمير المؤمنين عليه السلام وميلهم الى آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
ومن هنا لم يمثل أمر معاوية في زيادة اعطيات الكوفيين عشرة دنانير وكلما راجعوه في
ذلك أبي ^(٥).

ولرأيه العثماني ونزعته الأموية أرسلته نائلة بقميص عثمان الى معاوية بالشام ليؤلب
الناس على ابن عم النبي ووصية المقدم ^(٦) وشهد مع معاوية صفين ولم يكن من الأنصار
وغيره ^(٧) وولاه معاوية على الكوفة ^(٨) وأقره يزيد عليها وبعد ولاية ابن زياد عليها وولاه حمص،
ولما ثار أهل المدينة على عامله بعد وقعة الحسين عليه السلام أرسله يزيد الى المدينة ليهده أهلها ^(٩).
ومع هذا كله فإنه يعلم أن معاوية وابنه لم يستحقا من الخلافة موطأ قدم لخلوهما من
كل فضيلة تؤهلها لإمره المسلمين ولم يخف عليه فضل « أبي الریحانين ». كيف وهتاف
النبي وإصحاره بما له من الخصال الحميدة ملاً مسامعه لولا حكم الهوى وحب الدنيا والتقلب
في الولايات.

(٥) الأغاني ج ١٤ ص ١١٥.

(٦) المحرر لابن حبيب النسابة ص ٢٩٢ طبع حيدرآباد الدكن.

(٧) صفين لنصر بن مزاحم ص ٥٠٦ و ص ٥١٠ مصر.

(٨) كامل ابن الأثير ج ٣ ص ٢٠٤ حوادث سنة ٥٩.

(٩) تاريخ الطبري ج ٧ ص ٤.

ولاية ابن زياد

لما حل مسلم بن عقيل في الكوفة وبايعه الناس ساء ذلك من كان له هوى في بني أمية فكتب عبدالله بن مسلم الحضرمي وعمارة بن عقبة بن أبي معيط وعمر بن سعد بن أبي وقاص الى يزيد:

أما بعد فإن مسلم بن عقيل قدم الكوفة وبايعته الشيعة للحسين بن علي فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قويا ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك فإن النعمان بن بشير رجل ضيف أو يتضعّف.

ولما اجتمعت عند يزيد كتبهم استشار « سرجون » مولى أبيه فيمن يوليه فإشار عليه بعبيد الله بن زياد، فكتب اليه يزيد: « أما بعد فإن شيعتي بالكوفة كتبوا إليّ بأن مسلم بن عقيل يجمع الجموع لشقّ عصا المسلمين فسر حين تقرأ كتابي الى الكوفة فتطلب ابن عقيل طلب الخزرة حتى تتقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه، والسلام. »

فأقبل مسلم بن عمرو الباهلي بالكتاب الى عبيدالله بالبصرة، ولما قرأه تجهّز للمسير الى الكوفة من الغد.

ثم خطب أهل البصرة قائلاً:

ان أميرالمؤمنين يزيد ولائي الكوفة وأنا غاد اليها الغداة فوالله إني ما تقرر بي الصعبة ولا يقعق لي بالشئان وإني لنكل لمن عاداني وسم لمن حاريني انصف القارة من رامها، يا أهل البصرة قد استخلف عليكم عثمان ابن زياد بن أبي سفيان وإياكم والخلاف والإرجاف فوالذي لا إله غيره لعن بلغني عن رجل منكم خلاف لاقتلته وعريفه ووليّه ولأخذن الأذني بالأقصى حتى تسمعوا لي، ولا يكون فيكم مخالف ولا

مشاق، أنا ابن زياد اشبهته من بين وطأ الحصى ولم يتزعني شبه خال ولا ابن عم.
وسافر من البصرة الى الكوفة مع مسلم بن عمرو الباهلي، وشريك بن الأعور الحارثي
وحشمه وأهل بيته ^(١) والمنذر بن الجارود العبدي وعبدالله بن الحارث بن نوفل في خمسمائة
انتخبهم من أهل البصرة فجدّ في السير وكان لا يلوي على أحد يسقط في الطريق مخافة أن
يسبقه الحسين الى الكوفة حتى أن شريك بن الأعور سقط وسقط عبدالله بن الحارث ومعه
أناس رجاء أن يلوي عليهم ابن زياد فلم يلتفت اليهم.

ولما ورد القادسية سقط مولاه مهرا فقال له زياد: ان أمسكت على هذا الحال فتنظر
القصر فلك مائة ألف. قال: لا والله لا استطيع، فنزل عبيدالله وأخرج ثيابا من مقطعات
اليمن ولبس عمامة سوداء وتلثم موهما أنه الحسين وانحدر وحده ودخل الكوفة مما يلي
النجف ^(٢).

وكلما مر بالمخارس ورأوا تلك البزة ظنوا أنه ابن رسول الله فيهتفون بصوت عال: مرحبا
بابن رسول الله وهو لا يكلمهم، وخرج إليه أناس من بيوتهم متباشرين ظنا أنه الحسين فرأى
من تباشرهم بالحسين ماساءه، وانتهى الى باب القصر وقد أغلقه النعمان بن بشير فأشرف
من أعلا القصر يقول: ما أنا بمؤد اليك أمانتي يا ابن رسول الله، ومالي في قتالك من أرب.
فغضب ابن زياد منه وقال له: افتح لاتي فقد طال ليلك، وسمعه من كان خلفه فرجع الى
الناس يقول: أنه ابن مرجانة ورب الكعبة ^(٣) فتقهقر الناس الى منازلهم خوفا من سطوة ابن
زياد وأخذ الرجل يحدّث جليسه بالشر المقبل من جرّاء هذا الطاغى.

خطبة ابن زياد:

وعند الصباح جمع الناس عنده فقال في خطبته:
ان أمير المؤمنين يزيد ولائي مصركم وثغركم وفيئكم، وأمرني بانصاف مظلومكم وإعطاء
محرومكم والإحسان الى سامعكم ومطيعكم، وسوطي على من ترك

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٠٠.

(٢) مثير الأحران لابن نما ص ١٤.

(٣) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٠١.

أمري وحالف عهدي، وليتق امرؤ على نفسه الصدق ينبئ لا الوعيد ^(٤) فأبلغوا هذا الرجى الهاشمي مقاتلي وليتق غضبي ^(٥).

ثم أمر العرفاء بكتابة أسماء من وافق ابن عقيل، ومن لم يفعل ولا يضمن خروج أحد تحت عرافته فهو حلال الدم ويصلب على باب داره وتلغى عرافته من العطاء ^(٦) أو يسير إلى الزارة وضع في عمان ^(٧) وإليها نفى ابن زياد المرقع بن ثمامة الأسدي فإنه يوم الطف كان مع الحسين ولما فنيت نباله أخذ يقاتل بسيفه فناده بعض عشيرته: أنت آمن أخرج إلينا، فخرج إليهم فلما قدم عمر بن سعد بالأسارى إلى الكوفة وأخبر ابن زياد خبره سيّره إلى الزارة ^(٨).

٤) إرشاد المفيد.

٥) نفس المهموم ص ٤٩.

٦) الإرشاد.

٧) ابن الأثير ج ٤ ص ١٠.

٨) الطبري ج ٦ ص ٢٦١.

موقف الكوفيين

مهما عزب عن الباحث شيء من نفسيات الأمم لغموض فيها أو لحواجز لم تكشف بعد، فإنه غير خاف عليه غرائز الكوفيين، وإنهم في ظعنهم وإقامتهم ونصرتهم، وخذلانهم، ونهضتهم، وعودهم، كالريشة في مهبّ الريح تتلاعب بهم أهواء متضاربة ونزعات وقتية. والذي ينتجه التفكير الصحيح في أمرهم أن القوم لا تحركهم غاية مرموقة ولا مبدأ ثابت شأن الرعاع من الناس الذين يحدوهم الجشع طورا والشهوة أخرى فرضيحة موهومة من هذا تسوقهم، وملاظة عيش من آخر تأخذ باكظامهم، وبالرغم من ذلك الملح المردي أنهم ينكفؤن عنهما « بخفي حنين » فلا دين يحمد ولا دنيا يتهنأ بها.

على هذا جروا في عاداتهم وضرائبهم منذ مصّرت هذه الحاضرة وأخص من أيامها العهد العلوي وأيام الإمام المجتبي الحسن، ودور سيد الشهداء، واعطف النظرة بعد هذا إلى نخضة التوابين وأيام المختار وأيام العلويين كزيد الشهيد ونظرائه الذين غرّوهم فأغرّوهم بالقيام ثم انثالوا عنهم.

هذه شناشن القوم لم يفتأوا يسيرون عليها منذ الأول إلى أن دمّرت وعاد أمر الكوفة كحديث أمس الدابر، وعجيب ممن يذهب إلى أن الكوفة علوية إذا فمن ذا الذي استأصل شأفة العلويين، وقتل كل تراي في النسب أو في المذهب، وهل كان في جيش ابن سعد في مشهد يوم الطف غير كوفي يعرف؟ وقد بلغوا ثلاثين الفا أو يزيدون. ألم يكاتبوا الحسين يستقدمونه اليهم حتى إذا حل بين أظهرهم انتكثوا عليه تحت راية ابن مرجانة الى هنات كثيرة سوّدا بها صحائفهم؟

أنت كتبهم في طيهم كئائب وما رقت إلا بسهم الأرقام
أن اقدم إلينا يا ابن أكرم من مشى على قدم من عربها والأعاجم
هكذا عرفت مقادير القوم من الثبات ومبالغهم من السداد وكمياتهم من الاستقامة،
هب أن القوم لا يهمهم دين، ولا تردعهم تقوى، ولا يتأثرون بجاذب الحق، وإنما هم سمسرة
الأطماع يتحرّون المعيشة تحت أي راية لمحق أو مبطل، فيخدمون كل ناعق شأن النفوس
الضعيفة والطبائع المسفة مع الضعة، فهلا كان الشرف الإنساني يقودهم إلى اتباع أشرف
الفريقين نسباً وأرفعهم شأنًا وأعزهم حمى وأنداهم يدا وأرجحهم حجي وأكرمهم جدودا
وأزكاهم نفوسا وأطهرهم ذيولا وارساهم قدما عند مستنّ النزال واشتباك الرماح فيستبدلون
الذنابي بالقوادم والعجز بالكاهل؟

ولو كان في الكوفة يومئذ رجل شريف غير أسرة قليلة ضمّتهم أعماق السجون
وضربت على أيدي آخرين القسوة الأموية لما بغوا عن آل الله بدلا، ولما وجدوا عنهم حولا
لكنهم أبوا كما هو لازم جبلتهم إلا أن يتسيطر عليهم ابن آكلة الأكباد « يزيد الفجور »،
ويتولى أمرهم مثل « ابن مرجانة » ولم يرقهم سبط نبي الهدى، وابن سيد الأوصياء وفلذة كبد
البتول الزهراء سيد شباب أهل الجنة.

وأي زنة تجمع بين سليل الهدى وبين عصارة المخازي والمنكرات وأي مقياس يؤلف
بينهما؟

وهل تقام للقوم حجة يعذرون بها عندما يوقفون للمحاكمة؟ وقد دخل ابن مرجانة
عليهم وحده بلا عدة ولا عدد، ولم يملك من الكوفة إلا موطأ قدمه وليس معه ثان يسدد
خطاه، ولذ تزيّا بزّي سيد الشهداء وتلثم كي لا يعرف فيقتل، ولك من رآه حسبه « أبي
الضيم » فيسلمون على ابن الرسول، ولو علموا أنه ابن مرجانة لنالوا منه، ولتهم علموا،
وليته كانت القاضية، فكان من أوسع الأمور البطش به أو اعتقاله لكنهم لم يفعلوا.

ولما دخل القصر لاث به أناس يعدون بالأنامل وكان الفتك بهم لاختاد الفتنة أهون
شيء للكوفيين فإنه ومن معه في القصر مقطوعون عن المدد والذين بايعوا مسلما يزيدون
على خمس وعشرين الفا.

أيعذر هذا الجمع المتراكم في تفكّكهم وتفرّقهم ونكثهم البيعة التي أعطوها برغبة
واختيار لمجرد تهديد الدعي ابن الدعي بجيوش الشام، وهل كان في الشام جيش

عتيد يساق إلى العراق والحالة الأموية قلقلة، وصفوهم متعكر بملاك « ابن هند » وعدم الجدارة في ولي عهده فكان جو المملكة الأموية قائما، ومراجل الأحقاد تغلي على بني عبد شمس، فمن متخافت برفض يزيد الى مهامس بلغنه، الى متجاهر بمنأواته ومظاهر عداء الناس تنجم وتخبو.

وفي كل من المدن والرساتيق مؤامرة حول الخلافة المنبوذة، فهل كان ابن ميسون والحالة هذه يقدر أن يؤلب جيشا الكفاءة لتدمير العراق؟

هب أنه كان يتسنى له شيء من ذلك، فهل يتصور وصول الجيش إلى العراق قبل أن يُمزق ابن زياد في قصره تمزيقا لو كانت النفوس متحقزة للحق ناهضة للدفاع عن الدين القويم؟

ثم أي وقت يصل ذلك الجيش الموهوم الى العراق وفي وسع العراقيين عندئذ استلام الأمر للحسين عليه السلام، ولديهم مقاتب وكتائب ممن بايع مسلم بن عقيل عليه السلام؟ ولو أنهم فعلوا ذلك، ووثبوا في وجه ابن زياد لازدلف إليهم من كان ينتظر العواقب، ويتحفز للفتح والظفر، وهناك من رواد المطامع أكثر فعندها يسوقون إلى عدوهم الألد جيشا لهاما فينتكث عليه الأمر وتنقلب الدائرة ويتم الأمر لداعية الحسين عليه السلام.

فهل في القوم من يعرف شيئا من هذا أو أنهم طبع الله على قلوبهم فهم لا يعقلون، كيف فاتتهم هذه القضايا الطبيعية وراعتهم الأوهام وكلهم قد مارسوا الحرب وتعاورت عليهم السياسات عادلة وجائرة؟

وهب أنه لم يكن معهم من قوة النفس وثبات الإيمان ما يكبح ذلك الجماح أو يدحر تلكم الشهوات فينصروا الإمام العادل عليه السلام أفلا كان في وسعهم التواني والتخاذل عن قتله، والتألب كما كانوا يفعلونه مع أمير المؤمنين بعد منصرفه من صفين وقد عزم على النهضة الهامة لملك ابن هند فكانوا يتفرون عنه من هنا وهنا حتى وقف عليه فيهم وقال:

« فيا عجبا والله يميت القلب، ويجلب الهم اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتقرّفكم عن حقكم، وددت إني لم أعرفكم معرفة جرت ندما، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا، وشحنتم صدري غيظا، أفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش: إن ابن أبي طالب

رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم وهل أحد منهم أشد لها
مراسا وأقدم فيها مقاما مني، لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها
أنا ذرّفت على الستين^(١) .»

ولعمر الحق لو لم تجد بنو أمية أنصارا منهم لما تسنى لهم إبادة العترة الطاهرة. فتألبوا
على آل الرسول الأعظم ﷺ ووثبوا عليهم وثبة الأعداء الألداء، وفي مطاوي نياتهم أن لا
يدعوا لهم نافخ ضرمة كأنهم قوم من الترك أو الديلم، وكأن لم يكن لهم من الدين موطأ قدم
فاستباحوا قتل الأطفال، ولو نالوا من اشهامة نصيبا لما استباحوا سيي النساء من بلد الى
آخر وهن عقائل الوحي وحرائر النبوة، ولو كانوا يملكون شيئا من النخوة العربية لما استسهلوا
تلکم المخازي التي تندى منها جبهة الإنسانية وتبرأ منها العاطفة البشرية، لكنهم نبذوا
الإسلام بما ارتكبوا، نبذوا دين العطف والغيرة، نبذتم العروبة، نبذتم العادات والتقاليد،
فأهون بهم منبوذين لا يردهم شيء الى المجد العربي ولا الشرف القومي ولا الفخر الديني، ولا
أبعد الله غيرهم يوم كاتبوا الحسين واستنهضوه كاتبوا عدوه فاغروه به، ألا لعنة الله على القوم
الضالمين

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ٧٧.

ابن سعد مع يزيد

لامناس من الخضوع لناموس الوراثة الحاكم في الجملة بأن لنفسيات الآباء تأثيرا في الأبناء أما بتسريها إليهم مع الطبيعة المشتركة بين الفريقين أو بتمرير مما يترشح من أولي سلفهم المفعمة بالفضائل أو الرذائل من مفعولات تلكم الغرائز، وبطبع الحال أن الناشئ يتخذ النواجم من ضرائب سلفه سنة متبعة، اللهم إلا أن يكبح ذلك الجراح ما تتأثر به الأبناء بواسطة الكسبيات، وهذا على خلاف ذلك الناموس.

وعلى هذا فهلم معي الى عمر بن سعد الذي لم يعرف من أبيه غير المناوأة لأهل هذا البيت ﷺ والحسد لهم، وكان أحف ما نجم من بغضاء سعد بن ابي وقاص قعوده عن نصره أمير المؤمنين ﷺ يوم الحمل وهو الإمام المفروض طاعته بعد اجتماع الأمة عليه، وقالوا له لا يصلح لإمامة المسلمين سواك، ولا نجد أحدا يقوم بها غيرك، وهو ممتنع عليهم أشد الامتناع حتى تداكوا عليه لا يرون أحدا صالحا سواه، فلما رأى حرصهم عليها بسط يده للبيعة فتمت بيعة المهاجرين والأنصار ولم تكن بيعته مقصورة على واحد أو اثنين أو ثلاثة كبيعة أبي بكر وإمامة عمر الثابتة بأبي بكر وحده وتمت البيعة لعثمان في الحقيقة بان عوف.

ولما عاتبه أمير المؤمنين ﷺ تظاهر سعد بالشك في الجهاد معه وقال: إني أكره الخروج في هذا الحرب فاصيب مؤمنا فان أعطيتني سيفا يعرف المؤمن من الكافر قاتلت معك (١).

(١) الجمل للشيخ المفيد ٢٩ طبع النجف ثاني.

وهذا أعجب شيء منه وقد شاهد من فضل « أبي الريحانين » الكثير وسمع من النبي ﷺ في حقه أكثر، ألم يكن هو القائل: « إني سمعت رسول الله يقول لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى ^(٢) إلا أنه لا نبي بعدي » ثم وضع إصبعيه على أذنيه وقال « أني سمعته يقول ذلك وإلا استكّتا؟ » ^(٣)

ولما قال له معاوية: ما يمنعك أن تسب أبا تراب قال:

« اما ما ذكرت ثلاثا قالهن رسول الله لعن تكون لي واحدة منهم أحب إلي من أن يكون لي حمر النعم فلن أسبّه؛ سمعت رسول الله يقول وقد حلفه في بعض المغازي فقال له علي: يا رسول الله تخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال ﷺ: « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي » وسمعت يقول يوم خيبر: لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي عليا فأتاه وبه رمد فبصق في عينيه ودفع اليه الراية ففتح الله عليه؛ ولما نزلت هذه الآية « **فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم** » فدعا رسول الله عليا وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال: اللهم هؤلاء أهلي ^(٤) .»

ولما عاتبه معاوية على ترك القتال معه في صفين قال له: « أتأمرني أن أقاتل رجلا قال له رسول الله: « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي »؟ فقال معاوية: من سمع هذا معك؟ فقال سعد: سمعه: فلان وفلان وأم سلمة. قال معاوية: لو كنت سمعت هذا لما قاتلته ^(٥) .»

ولا شك فيما لأمر المؤمنين من السوابق والفضائل والمواقف والتأهل للخلافة كما لا ريب في ثبوت البيعة له باختيار الأمة، وأن الخارج على الامام العادل باغ يجب قتله، وقد اعترف أبو بكر الجصاص المتوفى سنة ٣٧٠ بأن عليا عليه السلام كان محقا

(٢) صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٥٩.

(٣) صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٢٣.

(٤) الاصابة لابن حجر ج ٢ ص ٥٠٩.

(٥) شرح النهج لابن ابي الحديد ج ١ ص ٢٠١.

في قتاله الفئة الباغية ولم يخالف فيه أحد^(٦).

وقال أبو بكر ابن العربي الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٦ هـ: « إن عليا كان إماما لأنهم اجتمعوا عليه ولم يمكنه ترك الناس لأنه كان أحق الناس بالبيعة فقبلها حوطة على الأمة، وأن لا تسفك دماؤها بالتهارج ويتخزق الأمر، وربما تغير الدين، وانقض عمود الإسلام، وطلب أهل الشام منه التمكين من قتلة عثمان فقال لهم علي: « ادخلوا في البيعة واطلبوا الحق تصلوا اليه » وكان علي أسدّهم رأيا وأصوب قولاً لأنه لو تعاطى القود لتعصّبت لهم قبائلهم فتكون حرباً ثالثة فانتظر بهم أن يستوثق الأمر وتنعقد البيعة العامة ثم ينظر في مجلس الحكم ويجري القضاء، ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى ذلك إلى إثارة الفتنة وتشتيت الكلمة.

وحينئذ فكل من خرج على علي عليه السلام باغ وقتال الباغي واجب حتى يفىء إلى الحق وينقاد إلى الصلح، وأن قتاله لأهل الشام الذين أبوا الدخول في البيعة، وأهل الجمل والنهروان الذين خلعوا بيعته حق، وكان حق الجميع أن يصلوا إليه ويجلسوا بين يديه ويطلبوه بما رأوا، فلما تركوا ذلك بأجمعهم صاروا بُغاة فتناولهم قوله تعالى: « فقاتلوا التي نبغي حتى تفيء إلى أمر الله ».

ولقد عتب معاوية على سعد بن أبي وقاص بعدم مشاركة له في قتال علي عليه السلام فردّ عليه سعد: بأني ندمت على تأخري عن قتال الفئة الباغية يعني بها معاوية ومن تابعه^(٧). « وحكى الألوسي عن الحاكم والبيهقي أن عبد الله بن عمر يقول: ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت من نفسي من هذه الآية « فقاتلوا التي تبغي - الآية ». حيث أني لم أقاتل الفئة الباغية يعني معاوية ومن معه من الباغين على علي عليه السلام، ولم يتعقبه آلوسي بشيء وزاد بتصريح بعض الحنابلة بوجوب قتال الباغين احتجاجاً بأن علياً اشتغل في زمان خلافته بقتال الباغين دون الجهاد فهو إذا أفضل من الجهاد^(٨).

وما أدري بماذا يعتذر سعد مع ذلك التصريح منه لمعاوية بأنه باغ ولم ينهض مع

(٦) أحكام القرآن ج ٣ ص ٤٩٢.

(٧) أحكام القرآن ج ٢ ص ٢٢٤.

(٨) تفسير روح المعاني ج ٢٦ ص ١٥١.

خليفة الرسول ﷺ لجهاد من يبغى في دين الله عوجا، وكيف تفوّه بطلب السيف العارف بالمؤمن من الكافر ولم يطلبه من « الشيخين » في قتالهم أهل الردة وكان موافقا لهما على ذلك مع أن أهل الردة لم يمتنعوا من أداء الزكاة إلا بشبهة الدفع لمن أقامه النبي خليفة على المسلمين يوم الغدير، ولم يخلعوا يدا عن طاعة، ولا فارقوا جماعة المسلمين، لولا أن قتالهم أمر دبر بليل.

فأين كانت جلبة سعد وضوضاء أسامة وتزفر ابن عمر من قتل علي ؑ لأهل الجمل أيام تفریط خالد في أولئك المسلمين الذين لم يتركوا الشهادتين حتى آخر نفس لفظوه، وكما كان لأصحاب الجمل عند هؤلاء عذر في الخروج على سيد الوصيين يكون لأولئك الذين اطلقت عليهم الردة عذر في الامتناع عن أداء الزكاة، أهل كان الحكم بقتال المرتدّين مقصورا على خصوص من خالف « أبابكر » أم هو عام لكل من تمت له البيعة؟ نعم الحسد من جهة وعدم الرضوخ الى الحق من جهة أخرى لم يدعا لسعد وأمثاله طريقا في الخضوع لأمر المؤمنين ؑ؛ « وإنما متسافل الدرجات يحسد من علا ».

لقد كان سعد ممن يشمخ أنفه بالفخفخة الباطلة والمجلد الكاذب ويرى نفسه في أشرف الصحابة، وإذا قايسها مع أخي الرسول وجده أظهر منه نسبا وأعلا حسبا وأغزر علما وأثبت في المواقف وأشجع في المهازير وأقوى حجة وأشرف نفسا الى أن تنتهي حلقات الفضل ولأمر المؤمنين بقايا غير محصورة ينبوعها الحساب.

فكان في رضوخه لأبي الحسن ؑ خضوع الى هاتيك المآثر وظهور لنقصه فيها، ولطموح نفسه إلى التّعالى، ولم يكن عنده من التقوى ما يكبح عامل الكبرياء ليستهل البخوع للمجد العلوي، وان أضر ذلك بدينه وأراده في آخره؛ فإن العصبية أعشت بصره، والنخوة الجاهلية تحكمت بين أحشائه، والحسد المحتدم بصدرة ألقاه في مدحرة الهلكة وحفره الى مكامن البغضاء، وان تستر بظواهر الاسلام وتعاليمه.

يشهد لذلك سؤاله أمير المؤمنين ؑ لما سمعه يقول في خطابه:

« سلوني قبل أن تفقدوني فوالله ما تسألوني عن شيء مضى ولا عن شيء

يكون إلا أنبأتكم به. »

فقام إليه سعد وقال: يا أمير المؤمنين أخبرني كم في رأسي ولحيتي من

شعره، فقال ﷺ: « لقد سألتني عن مسألة حدثني عنها خليلي رسول الله أنك ستسألني عنها، وما في لحيتك ورأسك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس، وإن في بيتك لسخلاً يقتل ولدي الحسين»، وعمر يدرج بين يدي أبيه^(٩).

وهذا منه سؤال مستهزء لا مستفهم ظن في ذلك أن يفحم الإمام لأن الجواب الحقيقي يعوزه البرهان؛ فإن أمير المؤمنين لوعين عدداً فأبي أحد يمكنه عد الشعرات ولا يرمى بالخطأ، وحيث وضع لأبي الحسن ﷺ الواقف على ضمائر العباد ما أضمره سعد عدل إلى ما في خزي لذلك المتعنت اللدود، وقد بقي وصمة عليه إلى آخر الأبد فحكى له حديث الرسول ﷺ.

فهذا الذي عرفناه من نفسيات سعد وبوائقه يسير من كثير ولو أردنا الإستقصاء لأريناك غرائب.

إذا فليس من البدع إذا قام ابنه عمر بهاتيك المظاهر الذميمة فؤاد الحق ونصر الباطل وأجهز على بقايا الرسالة وشظايا النبوة إلى مخازي لا تحصى مع القسوة التي يمجها الطبع البشري، وتذمر منها الانسانية فأعقبها سبة خالدة، وشية من العار سجلها له الدهر منذ خيانتة مسلم بن عقيل إلى مشهد الطف إلى ما بعده حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وإلى هذا القضايا الطبيعية كان يوعز أمير المؤمنين بعلمه المستقى من بحر النبوة فيقول: « إن بيتك لسخلاً يقتل ابني الحسين. »

وإذا كان سعد يستهزئ بسيد الوصيين فلقد استهزأ ابنه عمر بسيد شباب أهل الجنة يوم اجتمع به قبل اشتباك الحرب وقال له:

« أي عمر أتقاتلني؟ أما تتقى الله الذي إليه معاد فأنا ابن من علمت؟ ألا تكون معي وتدع هؤلاء فإنه أقرب إلى الله تعالى؟ »

فاعتذر ابن سعد بمعاذير لا ترضى الخالق تعالى قال: (أولاً) أخاف أن تهدم داري، قال الحسين: أنا أبنيتها لك، و (ثانياً) أخاف أن تؤخذ ضيعتي، قال ﷺ أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز^(١٠)، ويروى أنه قال له: أعطيك

(٩) كامل الزيارة لابن قولويه من أعيان القرن الثالث ص ٧٤.

(١٠) مقتل العوالم ص ٧٨.

البعيعة وكانت عين عظيمة فيها نخل وزرع كثير دفع فيها معاوية الف الف دينار فلم يبعها منه ^(١١) و (ثالثا) أخاف من ابن زياد أن يقتل أولادي.

ولما أيس منه أو عبدالله قام من عنده وهو يقول:

« ما لك ذبحك الله على فراشك عاجا ولا غفر لك يوم حشرك فوالله إني

لأرجو أن لا تأكل من بر العراق إلا اليسير. »

فقال ابن سعد مستهزىء:

« في الشعر كفاية ^(١٢) ». »

ان المـــــواعظ لا تفيـــــد بمعشـــــر صموا عن النبأ العظيم كما عموا

اتك يا سيد الشهداء أبصر بهذا الطاغي، وإنه يعيشو عن الحق لدناءة حسبه، وضؤولة مروءته، وضعف دينه، وبعده عن الصراط السوي، وانغماره في الشهوات لكنك ابن من تحمّل الأذى، ولاقى المتاعب في سبيل إنقاذ الأمة وانتشالها من موج الضلال فلم ترد بتلك النصائح وادلاء الحجج وضرب الأمثال إلا إتمام الحجّة، ولم تبق له مسرحا يلتوي اليه، ولا منتكصا يتحرج منه حتى أتممت عليه كلمة العذاب، وقطعت عنه المعاذير يوم تنشر الصحف وتنصب الموازين.

وإذا كان أبوه سعد لم يستضي بنور النبوة ولا استفاد من تعاليمه ما يقربه الى الحق فيتباعد عن وصي النبي مع ما يعلمه من الحق الثابت له، فجدير بابنه اذا بات ليلته مفكرا في النصائح التي القيت اليه ممن يحضه الود ولا يرديه في باطل، فجار عن الطريق الواضح واختار الدنيا على الآخرة، فإن « الشجرة المرة لا تثبت إلا مرا » والذي خبث لا يخرج إلا نكدا وهل ترجى الهداية منه بعد قوله ^(١٣):

أتترك مُلك الريّ والريّ رغبيتي أم أرجع مذموما بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها حجاب وملك الري قرة عين

وبعد هذا فهل يعجب القارئ ويستغرب من كتابة عمر بن سعد الى يزيد بن معاوية بخبر مسلم بن عقيل، واجتماع الناس عليه، وتوقف النعمان بن بشير عن محاربه ^(١٤) وكان محرّضا له على تدارك الأمر لثلا ينتكث قتله.

(١١) تظلم الزهراء ص ١٠٣.

(١٢) تحذيب الأسماء واللغة للنووي بترجمة عمر بن سعد.

(١٣) ابن الأثير ج ٤ ص ٢٢.

(١٤) الطبري ج ٦ ص ١٩٩.

ولقد تحققت فيه كلمة سيد الشهداء: « لا تأكل من بر العراق إلا يسيرا » فإنه رجع من كربلاء صفر الكف خالي الوطاب من الزلفى، وهل أحد أخسر صفقة منه حين دعاه ابن زياد، وطلب منه العهد بولاية الري فاعتذر بضياعه فلم يقبل منه، وألح عليه قال: إني تركته يُقرأ على عجائز قريش اعتذارا منهن: أما والله لقد نصحتك في الحسين نصيحة لو نصحتها أبي سعدالكنت قد أديت حقه. ^(١٥) وبقي في الكوفة خاسرا ربح السلطان والفوز بجوار المصطفى حتى قتله المختار شر قتلة في ذي الحجة سنة ست وستين ومعه ابنه حفص ^(١٦) ولعذاب الله أشد.

لفت نظر:

تقدم في حديث ابن قولويه أن سعد بن ابي وقاص اعترض على أمير المؤمنين لما قال: « سلوني - الخ »، ورواه الصدوق في الأمالي ص ٨١ مجلس ٢٨، والإستبعاد بأن سعدا لم يرد الكوفة موقوف على أن يكون هذا الخطاب بالكوفة ولم تقم قرينة على أمير المؤمنين لم يقل: « سلوني » إلا في الكوفة إذ من المحتمل أن يكون ذلك الإعتراض بعد خطبته ^(١٧) بالمدينة اما في أيام خلافته أو في أيام خلافة من تقدمه ويؤيد تكرر هذا القول منه ^(١٧) حديث عبادة الأسدي: كان أمير المؤمنين علي كثيرا ما يقول: سلوني قبل أن تفقدوني - الخ ^(١٧).

ولعل حديث ابن قولويه: وكان عمر يدرج بين يديه، يؤكد هذا الإحتمال أعني وقوع الخطاب والإعتراض في المدينة، فإنه على هذا يكون عمر صغيرا، حتى على القوم بولادته أيام النبي، واحتمال بعض العلماء أن تعيين الأب والإبن في حديث ابن قولويه والصدوق من الراوي للمغروسية في الأذهان بأن عمر بن سعد قاتل الحسين، فعين الأب والإبن باجتهاده وحسبه الآخر رواية فدونها ورواها، مبني على حصر الخطاب في الكوفة وليس له شاهد في الحديث والتاريخ.

ومما يشهد لتعدد الواقعة ما يروى أن تميم بن أسامة بن زهير بن دريد التميمي اعترض على أمير المؤمنين لما سمعه يقول: سلوني - الخ، فأخبره - ^(١٧) بأن في

(١٥) المصدر ص ٢٦٨.

(١٦) تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٩٥.

(١٧) أمالي ابن الشيخ الطوسي ص ٣٧.

بيته سخلا يقتل الحسين وكان ابنه الحصين طفلا صغيرا يرضع اللبن وعاش الى أن صار على شرطة عبيدالله بن زياد، وأخرجه الى عمر بن سعد يأمره بمناجزة الحسين يتوعده إن أخر (١٨). وهناك رواية ثالثة تشهد بأن المعترض هو أنس النخعي فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: وإن في بيتك سخلا يقتل ابن رسول الله وكان ابنه سنان قاتل الحسين، وهو يومئذ طفل يجب (١٩). وهذه الروايات الحاكية لتعدد المعترض تدل على تعدد الخطاب من أمير المؤمنين فليس من البعيد أن يكون سعد في جملة هؤلاء.

وكيف كان فقد جاء في منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ ص ١١٣، وتذكرة الخواص ص ١٤١، وابن الأثير في الكامل ج ٤ ص ٩٤ ومثير الأحزان لابن نما ص ٢٥: أن أمير المؤمنين لقي عمر بن سعد وقال:

كيف بك يا ابن سعد اذا قمت مقاما تحبّ فيه بين الجنة والنار فتختار النار؟

ويزيد ابن الأثير: أن عبدالله بن شريك يقول: أدركت أصحاب الأردية المعلمة وأصحاب البرانس السود اذا مرّ بهم عمر بن سعد قالوا: هذا قاتل الحسين وذلك قبل أن يقتله.

وكان عمر يقول للحسين: يزعم السفهاء إني أقتلك فقال الحسين: ليسوا بسفهاء (٢٠).

وكانت ولادة عمر أما في أيام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما ارتأه ابن عساکر لرواية ابن اسحاق أن أباه سعدا أرسل الى الجزيرة جيشا كان معهم ولده عمر وذلك في سنة ١٩، واختار ابن معين أن عمر بن سعد كان غلاما حدث السن سنة موت عمر بن الخطاب لحديث سيف أن سعدا تزوج يسرى بنت قيس بن أبي الكتم من كندة أيام الردة فولدت له عمر (٢١)، وفي الرياض النظرة امه بنت قيس بن معديكرب.

(١٨) نَجح البلاغة ج ٢ ص ٥٠٨.

(١٩) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٠٨.

(٢٠) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٥١.

(٢١) الإصابة ج ٣ ص ١٨٤.

في بيت هاني

كان هاني بن عروة بن نمران بن عمرو بن قعاص يغوث بن مخدش بن عصر بن غنم بن مالك بن عوف بن منبه بن عطيف المرادي العطيفي^(١) من أشرف الكوفة^(٢)، وقرأها^(٣)، وله منزلة في مصر، وليبته في العشيرة منعة،^(٤) وله الزعامة الكبرى في مراد، يركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، فإذا تلاها أحلافها من كندة ركب في ثلاثين ألفا^(٥) ولازم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فاستفاد منه آدابا،^(٦) وحضر معه في حروبه الثلاثة وأبلى بلاء حسنا^(٧) وفي يوم الجمل كان يرتجز:

يالك حرب حشها جمالها قائدة ينقصها ضلالها

هذا علي حوله أقيالها^(٨)

وأدرك النبي^(٩) وله يوم قتله بضع وتسعون سنة^(١٠).

(١) الإصابة بترجمة عروة المرادي.

(٢) الأخبار الطوال ص ٢٣٥.

(٣) الأغاني ج ١٤ ص ٩٥.

(٤) الطبري ج ٦ ص ٢١٣.

(٥) مروج الذهب ج ٢ ص ٨٩.

(٦) تاريخ ابن عساکر.

(٧) ذخيرة الدارين ص ٢٧٨.

(٨) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٦١٤.

(٩) الإصابة بترجمة هاني.

(١٠) الإصابة لابن حجر بترجمته.

ولسيدنا بحر العلوم الطباطبائي كلام ضاف في ترجمته في « رجاله » وقد أغرق نزعا في إثبات جلالته والدفاع عنه، والجواب عما قيل فيه، وتابعه على رأيه السيد السيد المحقق الأعرجي في « عدة الرجال » وكل من تعرض له من علماء الرجال، ذكره مترحما ومترضيا عليه، وبالغ شيخنا الحجة الشيخ عبدالله المامقاني في « تنقيح المقال » بترجمته في مدحه والثناء عليه، ووافقه المحقق الشيخ عباس القمي في نفس المهموم ص ٦٢.

وذكر محمد بن المشهدي من أعيان القرن السادس، والشريف النقيب رضي الدين ابن طاووس في مزاريهما زيارة خاصة تزار في مشهده، وفيها وصفه « بالعبد الصالح الناصح لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام » والشهادة بأنه قتل مظلوما وأنه لقسا لله تعالى وهو راض عنه بما فعل ونصح، وأنه بلغ درجة الشهداء السعداء بما نصح الله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم مجتهدا وبذل نفسه في ذات الله ومرضاته ثم الترحم عليه «.

ثم ذكرا بعد الزيارة صلوتها ودعاء الوداع، وزاد ابن المشهدي « تقبيل القبر ».

وحيث أنهما ذكرا في مزاريهما أن ما أودعاه في كتابيهما على الوجه الذي ظهر لهما من الروايات يتجلى لنا أن هاتيك الآداب مأثورة عن أهل بيت العصمة، وجلالة هذين العلمين تفيدنا القطع بعثورهما على أثر حاكم بذلك العمل الخاص حتى لو لم ينصا في الكتاب على ما حصل لديهما من جهة الرواية وإلا لتسرّب الى نقلهما شبه البدعة في الدين، وهؤلاء الأعلام في المذهب لا يتورطون في البدعة التي لا تقال عندهما. إذا ففي قولهما الحجة البالغة.

ولو سلمنا عدم الورد فلا أقل من أن يكون كلامهما في حقه كشهادة من تقدم من علماء الرجال من أن الرجل متحلي بتلك الفضائل، ولو كان لهما كتب في الرجال لاتخذها العلماء من الأصول المسلمة التي يعول عليها في هذا العلم إذ لم يقصر قولهما عن سائر الكتب في تمييز الرجال وبيان الممدوح والثقة منهم كما أن وقولهما في غير هذا العلم حجة قوية يركن اليه ويستشهد به.

ثم يكفينا في القناعة بفضل الرجل وجلالة مقامه عند آل الرسول ترحم سيد الشهداء عليه فإنه عليه السلام لما نزل « الثعلبية » ممسيا أخبر بقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وأنهما سُحبا من أسواق قال عليه السلام : « إنا لله وإنا إليه

راجعون رحمة الله عليهما « ردد ذلك مرارا ^(١١) .

وإذا كان ترحم الإمام الحجة الواقف على نفسيات الرجال ومقادير أعمالهم على شخص يعد تزكية له وشهادة منه في نزاهته وطهارته، وأنه مضى محمود الطريقة متبعاً للحنيفية البيضاء فأى رجل مثل هاني بن عروة يقرنه سيد شباب أهل الجنة بنائيه الخاص وخليفته في ذلك المصر المثبت له في صك الولاية شرف الأخوة له والوثاقة في الأمور وأنه مفضلّ عنده من أهل بيته ويترحم عليه كما ترحم على ابن عمه وداعيته.

ان هذا الترحم من أبي عبدالله الحسين عليه السلام وشهادة أولئك الأعلام تنم عن أن « ابن عروة » كان على أرفع منصّة من الإيمان ومن الراسخين في ولاء العترة الطاهرة، وأن ما قام به من إتمام البيعة لمسلم عليه السلام في داره وجمع العناد والأخذ بالتدابير اللازمة لحافز ديني وإيمان بأجر الرسالة المرغوب فيه لسيد النبيين وخاتم الرسل أجمع.

ولم يزل يلاقي في ذلك المحن والكوارث حتى أودي به شهيداً في سبيل نصرته ابن عم رسول الله، وهو الذي شارك شريك الأعور في التدبير لقمع جذور الفساد بقتل الدعي ابن مرجانة لكن القدر حال دون ما يريدون.

ومن أمعن النظر في سيرته من كتب التواريخ والمقاتل ولا سيما في رجال آية الله لسيد بحر العلوم الطباطبائي يزداد بصيرة فيما قلناه. وهناك تعرف أن ما تشدّق به ابن أبي الحديد من حكاية أخذه البيعة « ليزيد » من الأفاضل التي لانعرف سندها ولا من جاء بها، أراد به تشويه مقام هذا الرجل العظيم الناصح لأهل البيت حتى آخر نفس لفظه، ومما يزيد في وهنه إعراض أرباب الفن من المنقبين في الآثار عن ذلك والقصة بمراًى منهم.

وكان السبب في انتقال مسلم الى داره أنه لما بلغه خطبة ابن زياد ووعيده، وظهر له حال الناس، وفرقهم من ابن زياد خاف أن يؤخذ غيلة فخرج من دار المختار بعد العتمة الى هذا الزعيم الكبير لعلمه بمكانته في المصر وشرفه في العشيرة، وأنه مهاب الجانب أكثر من المختار مع ولاءه الصميم وعقيدته الراسخة ونصرته الصادقة، فلاقاه هاني بكل ترحيب، وعلم أن تشريف ابن عقيل محله يعود عليه بأسمى السعادتين اما حياة

(١١) الطبري ج ٦ ص ٢٢٥.

مع ابن المصطفة أو شهادة طيبة ودرجات عالية مع النبي الأقدس.

وستعرف في الفصل الآتي من حفظ الجوار المراد من قوله لابن مرجانة آتيك بضيفي وجاري - الخ.

ونزل مع مسلم في دار هاني شريك^(١٢) بن عبدالله^(١٣) الأعور الحارثي الهمداني البصري وكان من كبار شيعة علي عليه السلام بالبصرة جليل القدر من أصحابنا^(١٤) شهد معه صفين، وقاتل مع عمار بن ياسر^(١٥) ولشرفه وجاهه ولآه معاوية كرماني^(١٦) وكانت له مواصلة مع هاني.

ولشريك محاورة مع معاوية تنم عن قوة جنان وذرب لسان، وان المال مهما تكثر من معاوية لا يغويه، فيخضع له؛ دخل على معاوية وكان ذميما فقال له معاوية: إنك لذميم والجميل خير من الذميم، وإنك لشريك وليس لله شريك، وإنك لأعور والصحيح خير من الأعور فكيف سدت قومك؟

فقال له شريك: وإنك لمعاوية وما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت لها الكلاب، وإنك ابن حرب والسلم خير من الحرب، وإنك ابن صخر والسهل خير الصخر، وإنك ابن أمية وأمية غلام صغرت فكيف صرت أمير المؤمنين، وخرج منه يقول^(١٧):

أيشتمني معاوية بن حرب	وسيفي صارم ومعبي لساني
وحولي من بني يزيد ليوث	ضراغمة تمشش الى الطعان
يعير بالدمامة من سفاه	وريات الخلدور من الغواني
ذوات الحسن والرئبال جههم	شتيم وجهه ماضي الجنان

مسلم لا يغدر:

الفتك من الغدر ولا يوصم به مؤمن يعرف أن شريعة الإسلام جاءت لتحلية

(١٢) الإصابة بترجمة هاني.

(١٣) أنساب الاشراف للبلاذري ج ٤ قسم ثاني.

(١٤) مثير الأحزان لابن نما ص ١٤.

(١٥) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٠٣.

(١٦) النجوم الزاهرة لابن تغريدي ج ١ ص ١٤٣ وابن الأثير ج ٣ ص ٢٠٦ والأغاني ج ١٧ ص ٧٠.

(١٧) ربيع الأبرار للزمخشري في باب الأجوبة المسكنة.

النفوس بالفضائل وتخليتها عن الرذائل ولم يرد الشارع لمن اعتنق دينه القويم إلا أن يكونوا في الغارب والسنام من كل فضيلة رابية فيسلكوا سبل السلام في أعراق طاهرة ومآز عفة، وقلوب نزيهة، وجوارح مؤدبة بأداب الله تعالى، وجوانح ممرّنة بالقداسة.

وجاء في وصية رسول الله لأمير المؤمنين:

« إِيَّاكَ وَالْغَدْرَ بَعْدَ اللَّهِ وَالْإِحْفَارَ لِدَمَتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمَانًا أَمْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ وَالصَّبْرَ عَلَى ضَيْقِ تَرْجُوِ انْفِرَاجِهِ خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ أَوْزَارَهُ وَتَبْعَاتِهِ وَسُوءَ عَاقِبَتِهِ ^(١٨) فَانْ كُلْ غَادِرٍ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَائِلًا شَدِيقَهُ ^(١٩) وَلَهُ لُؤَاءٌ يَعْرِفُ بِهِ فَيُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ ^(٢٠) ». »

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

« الوفاء توأم الصدق ولا أعلم جنة أوفى منه وما يغدر من علم كيف المرجع ولقد أصبحنا في زمان اتخذ أكثر أهله الغدر كَيْسًا، ونسبهم أهل الجهل إلى حُسن الحيلة، ما لهم قاتلهم الله. قد يرى الحوّل القلب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيهِ فيدعها رأي العين بعد القدرة عليها، ويتنهنز فرصتها من لاحتريجة له في الدين ^(٢١) ». »

وقال علي منبر الكوفة:

« أَيُّهَا النَّاسُ لَوْلَا كِرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتَ أَدهَى النَّاسِ أَلَا إِنَّ لِكُلِّ غَدْرَةٍ فَجْرَةً، وَلِكُلِّ فَجْرَةٍ كَفْرَةٌ، أَلَا وَإِنَّ الْغَدْرَ وَالْفَجْرَةَ وَالْحِيَانَةَ فِي النَّارِ ^(٢٢) ». »
والغدر لا يتلف مع شيء من المآثر الفاضلة لأنه ينم عن حسنة في الطبع ودناءة في العنصر وعدم المبالاة بالنواميس الدينية والبخس لحقوق المسلمين ويشب منه تفريق الكلمة وملاشاة الإلفة واحتدام البغضاء. وان الشريعة المطهرة حاولت ببيائها

(١٨) دعائم الاسلام للقاضي نعمان المصري.

(١٩) الوسائل ج ٢ ص ٤٢٥ عين الدولة.

(٢٠) نهاية الارب للنويري ج ٣ ص ٣٧١.

(٢١) شرح النهج ج ١ ص ٢١٦.

(٢٢) الوسائل ج ٢ ص ٢٤٥.

الأوفى بث روح التحابب بين الجامعة البشرية. والغازد يبغضه كل من مسه غدره وكل من عرف شيئا من ذلك، وكلما اتسعت الدائرة بمرور الزمن ازداد التباعد واشتدت عوامله. ومن هنا ضربوا المثل بغدرة آل الأشعث وقالوا: أعرق العرب في الغدر آل الأشعث فان عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث غدر بأهل سجستان، وغدر أبوه محمد بأهل طبرستان، فإنه عقد بينهم وبينه عهدا فغزاهم فأخذوا عليه الشعاب وقتلوا ابنه أبا بكر وفضحوه، وغدر الأشعث ببني الحارث بن كعب وكان بينه وبينهم عهد فغزاهم وأسروه ففدى بمائتي فلوس فأدى مائة وعجز عن البقية، ولما أسلم أهدره الاسلام، وغدر قيس ابو الأشعث ببني مراد فإنه كان بينه وبينهم عهد الى أجل وآخره يوم الجمعة فغزاهم يوم الجمعة قالوا له: لم ينته الأجل فكان جوابه أنه لا يحل لي القتال يوم السبت لأنه يهودي فقتلوه وهزموا جيشه، وغدر معديكرب أبوقيس ببني مهرة وقد كان بينهم صلح فغزاهم غادراً بالعهد فقتلوه وشقوا بطنه وملأوه حصى وقالوا: اشبع لاشبع يا ابن بغايا ضربه (٢٣).

فالغدر ضامن العثرة، قاطع ليد النصر، والغالب بالغدر مغلول ولا عذر لغادر، وفي

ذلك يقول الشاعر (٢٤):

أخلق بمن رضي الخيانة شيمة ألا يُرى إلا صريع حوادث
ما زالت الأرزاء تُلحق بؤسها أبداً بغادر زمة أو ناكث
وكانت العرب تنصب الألوية في الأسواق الحافلة بالناس للتعريف بغدرة الغادر فتشهره
ليتنجبه الناس (٢٥).

وغدرة خالد بن الوليد ببني جذيمة أعقت ندما، وجرت له الخزي حين تبرأ النبي من فعلته وغدرته وذلك أنه ﷺ أرسله هم داعيا لا مقاتلا وكانت بينه وبينهم إحنة فإنهم في الجاهلية قتلوا عمه الفاكهة، فلما نزل على ماء لهم أخذوا السلام فرقا منه فصاح بهم: ضعفوا السلاح فإن الناس أسلموا فلما وضعوا السلاح آمنين

(٢٣) المخبر لابن حبيب النسابة ص ٢٤٤، وشرح الصفدي على لأمية العجم ج ٢ ص ٢٠١، ونهاية الأرب للنويري ج ٣ ص ٣٧٣.

(٢٤) نهاية الأرب للنويري ج ٣ ص ٣٧٢.

(٢٥) شرح الصفدي على لأمية العجم ج ٢ ص ٢٠١.

من غدر المسلم أمر جماعته فكنتفوهم وقتل منهم مقتلة عظيمة فلما بلغ رسول الله هذا المنكر ساءه ورفع يديه مبتهلاً الى الله تعالى:

« اللهم إني أبرأ إليك من فعل خالد »

ثم أرسل أمير المؤمنين عليه السلام ومعه مال ليؤدّي بني جذيمة حتى ميلغة الكلب ^(٢٦).

على أن الغادر لا يرى للنفوس والأموال والأغراض المحترمة شرعا حرمة فمتى ثارت فيه هذه الخصلة الخسيسة يكون من السهل عليه وأد النفوس ونهب الأموال والنيل من الأعراس، وكله نقض لغرض المولى سبحانه، فقد شاء لعباده أن يكونوا متحابين ليقيموا عمداً الحق، ويرفعوا راية الهدى، ويتم بهم الاجتماع والتعاون على مناجح الحياة من غير منافاة بينهم. وما ذكرناه من تبعات الغدر أعني النفاق والمباغنة والإغتيال لا تخلو من وصمة على المجتمع البشريّ كما توجب منقصة في مروءة الغادر ودرن رذائه والغمز في حسبه.

وهذا في امراء المسلمين وولاة أمرهم أشد من غيرهم لكونهم مرقومون في النفسيات الحميدة قبل أفراد الرعية، وأن الامم تحتج بملكات ولائهم وغرائزهم وأعمالهم، ويكون ما يتصفون به من نواميس المذهب حجة لازمة فإذا تخلوا الأمراء عن هذه الملكات عاد الطعن على المبدأ الديني، فالواجب على أمير المسلمين ووالي شؤونهم أن يثابر على الشدائد مهما بلغت، ويقاسي النكبات وان تراكمت، ولا يغدر ولا يفتك ليكون ذكره بريئاً من كل وصمة. على أن ولاة الأمور حيث كانوا قدوة لجيلهم يكونون اسوة لمن يأتي بعدهم. فيعرف الناس في المستقبل الكشاف الذي يميظ الستار عن نواياهم الحسنة، وأعمالهم الصالحة، ومساعدتهم المشكورة فاللازم على الوالي أن يرتكب خطة تسير على أثره الرعية في غاياتهم المرموق اليها.

وإذا وضع هذا فلا يرتاب أحد في الغاية لمسلم بن عقيل عليه السلام في جوابه لشريك لما لم يقتل ابن زياد.

وذلك أن شريك بن الأعور نزل في دار هاني بن عروة لمواصلة بينهما ولما مرض

(٢٦) صحيح البخاري ج ٣ ص ٤٧ في كتاب المغازي، والإستيعاب بترجمة خالد، وتاريخ الطبري ج ٣ ص ١٢٣، وكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٩٧ حوادث سنة ٨.

أرسل إليه ابن زياد ابني عائد لك فاخذ شريك يحرض مسلم بنعقيل على الفتك بابن زياد وقال له: ان غايتك وغاية شيعتك هلاكه فأقم في الخزانة حتى اذا اطمأن عندي أخرج إليه واقتله وأنا أكفيك أمره بالكوفة معا العافية (٢٧).

وبينا هم على هذا إذ قيل: الأمير على الباب، فدخل مسلم الخزانة ودخل عبيدالله فلما استبطأ شريك خروج مسلم أخذ عمامته من على رأسه، ووضعها على الأرض ثم وضعها على رأسه فعل ذلك مرارا ونادى بصوت عال يسمع مسلماً:

ما الانتظار بسلمي لا تحيوها حياوا سليمي وحيوا من يحيها
هل شربة عذبة أسقى على ظمء ولو تلفت وكانت منيتي فيها
وان تحشيت من سلمى مراقبة فلست تأمن يوماً من دواهيها

وما زال يكرره (٢٨) وعينه راقمة الى الخزانة ثم صاح بصوت رفيع إسقونيها ولو كان فيها حتفي فالتفت عبيدالله إلى هاني وقال: إن ابن عمك يخلط في علقته؟ فقال هاني: ان شريكا يهجر منذ وقع في علقته وإنه ليتكلم بما لا يعلم (٢٩) فلما ذهب ابن زياد وخرج مسلم قال له شريك: ما منعك منه؟ قال عائلاً: معني خلتان الأولى حديث عليّ ؑ عن رسول الله ﷺ إن الإيمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن (٣٠) والثانية امرأة هاني فإنها تعلقت بي وأقسمت عليّ بالله أن لا أفعل هذا في دارها وبكت في وجهي، فقال هاني: يا ويلها قتلتني وقتلت نفسها، والذي فرّرت منه وقعت فيه (٣١).

ولبت شريك بعد ذلك ثلاثة أيام وما فصلى عليه ابن زياد، ودفن

(٢٧) مثير الاحزان ص ١٤.

(٢٨) رياض المصائب ص ٦٠.

(٢٩) ابن نما ص ١٤.

(٣٠) الطبري ج ٦ ص ٢٠٤، وابن الأثير ج ٤ ص ١١، والأخبار الطوال ص ٢٣٦ - وهذا الحديث تكرر ذكره في الجوامع، رواه أحمد بن حنبل في المسند ج ١ ص ١٦٦، وفي منتخب كنز العمال بامش المسند لأحمد ج ١ ص ٥٧، والجامع الصغير للسيوطي ج ١ ص ١٢٣، وكنوز الحقائق بامشه ج ١ ص ٩٥، ونص عليه من علمائنا ابن شهر آشوب في المناقب ج ٢ ص ٣١٨، والبحار في معاجز الصادق ج ١١، وفي وقائع الأيام عن الشهاب في الحكم والآداب.

(٣١) مثير الأحزان لابن نما ص ١٤.

« بالثوية » (٣٢).

ولما وضع لابن زياد أن شريكاً يحرض على قتله قال: والله لا أصلى على جنازة عراقي أبداً، ولولا قبر زاد فيهم لنبشت شريكاً (٣٣).

إن القارئ جد عليهم بأن الأمة إذا بلغها عن ممثل سيد الشهداء « مسلم بن عقيل » بأنه أثر انتهاكات الأمر عليه، وقدم تضحيته على الفتك بان مرجانة فلم يقدم على اغتياله والغدر به تكريماً لنفسه القدسية عن ارتكاب هذه الخصلة الذميمة التي نهى الشارع الأقدس عن ارتكابها، فلا يقال رسول الحسين وداعيته إلى مناهج الرشاد باغت صاحبه في حين لو أحجز عليه لقضى على فاجر فاسق ولكنه عليه السلام ترك ذلك وعرض بنفسه للهلاك لتعليم الأمة على اتخاذ مقدسات الأحكام طريقاً لاجبا للفوز بالرضوان، فلا يتجرأ الناس على الملة الحقمة، ولا يباغت الرجل من دونه في غايات طفيفة تسف إليها الطبقات الواطئة.

فالأمة إذا بلغها أن هذا الداعي إلى الحق ضحى نفسه ونفيسه دون الفتك والغدر، وذهب ضحية السؤدد والخطر، ضحية المجد والكرامة، كان هذا دليلاً للتأسّي به؛ فإن للشيعة نفوساً نزاعة إلى اقتصاص أثر أهل البيت والإستنارة بضوء تعاليمهم، ولا محالة تتعقد ضمائرهم على القيام بمثله أو ما يشبهه كما تسعه نفوسهم وتنضح به آنيتهم.

فمسلم عليه السلام كبقية رجالات أهل هذا البيت الرفيع أراد بفعله هذا وبقية أعماله أن يفيض على الأمة دروساً أخلاقية لا تعدوه الأمة في التجنب عن رذيلة الفتك والغدر فتستفيد به كما استفادت من كل فرد من شهداء الطف إباء ونخوة وحمية دون القويم.

فهذه الكلمة « الإيمان قيد الفتك » التي أفاضها عالم آل أبي طالب وخليفة الإمام الحجة في الدينيات أوقفنا على سر من أسرار الشريعة وهو مبعوضة

(٣٢) في المعجم مما استعجم ج ١ ص ٣٥٠ التوية موضع وراء الحيرة كان سحناً بناء تبع وفي معجم البلدان ج ١ ص ٢٨ كان النعمان يحبس فيه فيقال للمحبوس: ثوي، فسمي الموضع به، وهو قريب من الكوفة ودفن فيه المغيرة وأبو موسى الأشعري وزياد وضبطها بالثاء المثلثة مفتوحة بعدها واو مكسورة ثم باء مشددة بعدها هاء وفي تاج العروس أنها كسمية.

(٣٣) ابن الأثير ج ٤ ص ١١.

الغدر، وإن النفوس الطاهرة تأبى للضيف أن يدخل بمن استضافهم ما يكرهون.
وهناك سرّ آخر لتأخر مسلم عليه السلام عن الفتك بآبن مرجانة لم تكن الظروف تساعد
على كشفه نعرفه من نظائر ما صدر عن المعصومين؛ فإن أمير المؤمنين لما أتاه ابن ملجم
يباع له وولّى نه قال: « من أراد أن ينظر الى قاتلي فلينظر الى هذا ». فقيل له: ألا تقتله؟
قال عليه السلام:

« يا عجباه تريدون أن أقتل قاتلي ^(٢٤) ».

وليس مراده عليه السلام بيان عدم جواز القصاص قبل الجناية كما ظنه من لا خبرة له وإنما
اراد بيان ما ثبت لديه من أن الله سبحانه قدّر شهادته على يد أشد بريته وأنه عنده كعاقب
ناقة صالح، وقد علم أمير المؤمنين بما أودع الله تعالى فيهم من القوة النورانية التي بها يدركون
ما في الكون من حوادث وملاحم كما هو الحق الذي لا محيص عنه ان هذه الشهادة على
يد ابن ملجم من القضاء الذي لا مردّ له، فيكون المعنى كيف أقدر أن أنقض ما أبرمه المولى
الجليل عز شأنه من هذه الشهادة.

والى هذا أوعز عليه السلام في كلامه مع ابن ملجم حين مر عليه ورآه نائماً على وجهه
فعرّفه بأن نومته تلك بمقتها الله تعالى ثم قال له:

« لقد هممت بشيء تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ
الجبال هدأً ولو شئت لأنبأتك بما تحت ثيابك ^(٣٥) ».

على أنّ أمير المؤمنين لو فرضنا علمه بتأخر شهادته ذلك الحين لم يقدم على قتل ابن
ملجم لأنه به تتجرى الناس على الفتك بمن يحتملون أنه يريد الإجهاز عليهم، بل قد يكون
العداء فيما بينهم والضغائن التي تحملها جوانحهم حاملاً لهم على إزهاق النفوس معتمدين
على دعوى العلم أو الظن بذلك فيكثر الهرج وينتشر الفساد.

وعلى ذلك الأساس يكون جواب الحسين لام سلمة حين قالت له:

« لا تخزني بخروجك الى العراق فإني سمعت جدك رسول الله يقول: يقتل
ولدي الحسين بأرض العراق يقال لها: كربلاء، وعندني تربتك في قارورة
دفعها إلي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ».

فقال الحسين:

(٣٤) بصائر الدرجات للصفار ص ٦.

(٣٥) البحار ج ٩ عن أبي الحسن البكري.

« يا أمّاه وأنا أعلم مقتول مذبوح ظلما وعدوانا، وقد شاء ربي أن يرى
حرمي ورهطي مشرّدين، وأطفالي مذبوحين مأسورين مقيّدين، وهم
يستغيثون فلا يجدون ناصرا. »

قالت أم سلمة: واعجابه فأني تذهب وأنت مقتول؟ فقال الحسين:
« يا أمّاه ان لم أذهب اليوم ذهبت غدا، وإن لم أذهب في غد ذهبت
بعد غد، وهل من الموت والله بدّ، واني لأعرف اليوم الذي أقتل فيه
والساعة التي أقتل فيها، والحفرة التي أدفن فيها كما أعرفك، وأنظر إليها
كما أنظر إليك، وان أحببت يا أمّاه أن أريك مضجعي ومكان أصحابي
«

فطلب منه ذلك، فأراها تربته وتربة أصحابه (٣٦).

ثم أعطاهم من تلك التربة وأمرها أن تحتفظ بها في قارورة فاذا رأتها تفور
دما تيقنت قتله، وفي اليوم العاشر بعد الظهر نظرت الى القارورتين فاذا
هما يفوران دما (٣٧).

وعلى هذا فمن الجائز الممكن أن مسلم بن عقيل عليه السلام كان على يقين من شهادته
ومحل تربته وانها تكون على يد الدعي ابن الدعي ابن مرجانة، استفاد ممن أودع عندهم هذا
العلم المكنون وهو سيد الشهداء عليه السلام.

وعلم المعصومين وان كان « صعب مستصعب لا يتحمّله إلا ملك مقرب، أو نبي
مرسل، أو مؤمن امتحن الله قلبه للايمان » لكنهم عليهم السلام اذا علموا قابلية من اشركت عليه
أنوار ولايتهم لتحمل تلك الأسرار، يوقفونهم عليها، كما أخبر أمير المؤمنين ميثم التمار،
وكميل بن زياد، وعمر بن الحمق، ورشيد الهجري الى أمثالهم بقتلهم، وعلى يد من تكون
الشهادة، والوقت الذي يقتلون فيه، وكما أخبر سيد الشهداء من ثبت معه على التضحية
والمفادات.

ومسلم بن عقيل عليه السلام كان في الغارب والسنام من الايمان واليقين والبصيرة النافذة من
اولئك الأفذاذ فأبي مانع من أن يوقفه أبو عبدالله الحسين عليه السلام على ما يجري عليه من
كوارث ومحن حرفا حرفاً.

(٣٦) مدينة المعاجز ص ٢٢٤.

(٣٧) الخراج للراوندي في باب معجزات الحسين.

ثم ان الفتك الذي هو قيد الايمان كما في نص الحديث شامل باطلاقه لكل من أراد الوقعية بالمؤمن سواء من ناحية الإجهاز عليه، أو من جهة اغتيابه وإظهار عيوبه للناس، أو من جهة النميمة المثيرة للاحن والبغضاء الموجبة لملاشاة الأخوة بين المؤمنين، أو من جهة اشاعة الفاحشة التي يقول فيها سبحانه وتعالى: « الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »

فان في كل ذلك وردت الشريعة المحذرة عنه، الحاكمة على مرتكب هذه الجهات بالخروج عن رقة الإيمان.

حفظ الجوار:

حمية الجار من عادات العرب الفاضلة ولهم في ذلك أيام بيض وصحائف ناصعة وإن تطرّق فيها بعضهم فخرج إلى الرعونة^(٣٨) لكنها في الجملة مما يمدحون بها، ولم يبرحوا متهاكين عليها، فكانت تراق على ذلك الدماء، وتقوم الحرب العوان على أشدها لأنها من ولائد الحفاظ والشهامة والغيرة على الأحساب وفيها الإبقاء على المستجيرين من عادية المرجفين وجلب ودّهم وودّ ذويهم وقبائلهم، وسيادة الإلفة وتوارث المحبة، وظهور الأبهة وبروز المنعة، واخماد الفتن ودحض الفوضى، ولعل العداة يعود حنانا بارجاء الفتك لأجل الإستجارة الى التفاهم، أو تبيين أغراض النمامين المثيرين للعداء أو بالمعاذير المقبولة. وقد حفظ المؤرخون من قضايهم في هذه الخصلة التي تتفق مع العقل تأتي على بعضها:

منها قصة « أوفى بن مطر المازني » مع رجل جاوره وعنده امرأة أعجبت أخاه قيسا فلم يصل اليها مع زوجها فقتله غيلة وبلغ ذلك « أوفى » فقتل أخاه قيسا بجاره وقال:
إني ابنة العمريّ لا ثوب فاجر ليسست ولا من غدره أتقتنع
سعت على قيس بدمه جاره لأمنع عرضي إن عرضي ممّنع

(٣٨) في غرر الخصاص للوطواط ص ١٦، كان حارثة بن مر يسمى مجير الجراد لأنه حمى جرادا لأنه حمى جرادا حط يفنائها، وكان ثور بن شحمة الضبيّ يسمى مجير الطير فلا تصاد بأرضه، وحمى زياد الأعجم حمامة تصوت على شجرة فقتلها حبيب وشكاه زياد الى الملهب فالزم حبيبا دية الحر وأعطى زيادا الف دينار.

ومرّت سنة مجدبة على بني تيم الله بن ثعلبة فقصد جماعة منهم وهم مالك وعامر وحليحة مجاورة « بدر بن حمران الضبي » فوق لهم حتى أحيوا ورجعوا مسرورين الى وطنهم مكرمين، وقصد جماعة منهم « مساورا » فجعل يفخر بنسائهم فقال بدر بن حمران: وفيث وفاء لم ير الناس مثله بتعشّار إذ تحنّو إلى الأكابر ومن يك مبنيا به عرس جاره فإني امرؤ عن عرس جاري جافر واستجار امرؤ القيس بن حجر الكندي بعامر بن جوين الطائي ثم الجرمي، فقَبِل عامر امرأة امرئ القيس فأعلمته بذلك فارتحل عنه، واستجار « بأبي حنبل جارية بن مر الطائي ثم الثعلبي » فلم يصادفه فقال له ابن جارية: أنا أجريك من الناس كلهم إلا من أبي حنبل يعني أباه فرضي امرؤ القيس وتحول إليه، ولما قدم أبو حنبل رأى كثرة اموال امرئ القيس، وأعمله ابنه بما شرط له في الجوار فاستشار أهله بذلك فقالوا له: لا ذمة له عندك، فخرج أبو حنبل الى الوادي ونادى: ألا ان أبا حنبل غادر، فأجابه الصدى من الجبل بذلك، ثم نادى: ألا ان أبا حنبل واف، وأجابه الصدى بذلك، فقال: الثانية أحسن ثم أتى منزله وحلب جذعة من غنم امرئ القيس وشرب لبنها ومسح بطنه وقال: « اغدر وقد كفاني لبن جذعة » ثم قال:

لقد آليت أغدر في جذاع ولو مئيت أمئت الرباع
لان الغدر في الأقوام عار وان الحمر يجرأ بالكراع
ثم عقد له وأعلمه امرؤ القيس فعلة عامر بن جوين بامرأته، فركب أبو حنبل في أسرته حتى أتى منزل عامر بن جوين ومعه امرؤ القيس فقال له: قَبِل امرأة عامر كما قَبِل امرأتك، ففعل (٣٩).

الى غير ذلك من قضاياهم الكثيرة في حفظ الجوار وحماية النزول، ولا يشفقون في الدفاع عن استجار بهم وان كان فيه ذهاب أنفسهم وعشائرهم وأموالهم أو يحصلون على أغراضهم.

وقد جاءت الشريعة المطهرة الحافلة بمكارم الأخلاق الحائثة على السلام والوئام فأقرت تلك الفضيلة، وأدخلت التحسينات فيها حتى أجازت الإجارة للمشركين قصدا للتأليف، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: « وان أحد من المشركين استجارك فأجره » فكان رسول الله ﷺ يقول: « المسلمون يسعى بذمتهم أدناهم » وفسره

(٣٩) هذه القضايا في المخبر لابن حبيب ص ٣٤٨ الى ص ٣٥٥.

الامام الصادق عليه السلام بأن جيش المسلمين اذا حاصر قوما من المشركين فأشرف رجل وقال: اعطوني الأمان حتى ألقى صاحبكم واناظره، فأعطاه أذناهم الأمان وجب على أفضلهم الوفاء به ^(٤٠).

وقام الأئمة من أبنائه عليهم السلام بالمحافظة على هذه النواميس التي فيها الإبقاء على الجامعة، فما زالوا يوصون شيعتهم بجرمة الجوار وان كان الجير عبدا أو امرأة، وتناهوا فيه حتى عدوا الإيماء بالأمان لازم الوفاء به، وان من أعطى الأمان بأي لغة فلا تخفر ذمته ووجب الوفاء به ^(٤١).

وانت اذا عرفت ما هتفت به العادة من حُسن حماية الجوار والذبّ عن النزيل، وما أيته الشريعة الإلهية تعرف أن ما قام به « هاني بن عروة » من هذه المأثرة في حماية ابن عقيل عليه السلام واجارته مما يمدح عليه في حد ذاته، لكن في الحقيقة ان ما قام به « هاني » منبعث عما هو أرقى من تلك الناحية وهو جهة دينية وعقيدة راسخة بأن الحسين عليه السلام هو الإمام المفترض طاعته، وحيث ان « مسلما » ممثل حجة الله على الخلق كان الواجب الأخذ بعضده والدفاع عنه، وكلاءته عن عادية الشقي وأنه من أداء أجر الرسالة.

وان صبه في مجلس ابن زياد في قالب التقليد والعادة فقال: إني ما دعوته الى منزلي حتى رأيته على باب داري، وسألني النزول فاستحييت من ردّه ودخلني من ذلك ذمام، فأدخلته داري وضيّفته وآويته - الخ.

فان هانيا لم يسعه في ذلك الموقف الحرج إلا أن يعتذر بما يقتضيه الحفاظ والغيرة. كيف لا وهوبين ناب الدعوي ومخلبه مغلوب على أمره فحسب أنه سوف يجديه اخفاء أمر مسلم لكنه لم ينتفع بهذه المعاذير بعد قيام « معقل » جاسوس ابن مرجانة، وقد أعلم ابن زياد بكل ما وقف عليه من أمر مسلم في دار هاني.

وعلى هذا فما ذكره ابن جرير الطبري من قول هاني لمسلم: لقد كلّفني شططاً ولولا دخولك داري لسألتك الخروج عني غير إتي يأخذني من ذلك ذمام وليس يردّ مثلي على مثلك عن جهل، ثم آواه، وكذا ما ذكره من أن هانيا قال لشريك: لا أحبّ أن يقتل

(٤٠) الوسائل ج ٢ ص ٤٢٥ عين الدولة.

(٤١) المستدرک للنوري ج ٢ ص ٢٥٠.

ابن زياد في داري^(٤٢)، لا يعبؤه؛ لأن ولاء هاني لأهل هذا البيت واعتقاده بكون مناصرتهم واجبه الديني لا يرتاب فيه من يقرأ حياته المفعمة بالمآثر والمفاخر.

ومما يشهد له أن هانيا لو كانت اجارته لمسلم لمحض وقوفه على باب داره ودخوله عليه، فما الذي ألزمه بادخال الشيعة على مسلم وقد اعترف به ابن جرير حيث قال: « وأخذت الشيعة تختلف إليه في دار هاني بن عروة »^(٤٣).

وكان يهيء له الأمور يدبر الشؤون يرتب العساكر ويجمع المال والعتاد^(٤٤)، وفي وسعه أن يقول لمسلم: ادخل أنت وحدك ولا تهج عليّ امرا ساكنا ولا يدخل عليك أحد.

ثم أن المؤامرة الواقعة بين شريك الأعور وبين مسلم بالفتك بابن زياد كانت بمشهد من هاني فلم يمنع منها، حتى أن مسلما لما اعتذر عن الفتك بأن امرأة هاني سألته أن لا يفعله في دارهم، قال هاني: يا ويلها قتلتني وقتلت نفسها والذي فرت منه وقعت فيه.

أليس هذا يشفّ عن مرضاة هاني بالفتك بابن مرجانة لما رسخ بين جنبيه من وجوب التنكيل بأعداء آل الرسول؟ ومن هنا قال لمسلم: أما والله لو قتلته لقتلت فاسقا فاجرا كافرا غادرا^(٤٥).

(٤٢) الطبري ج ٦ ص ٢٠٤ و ص ٢٠٣.

(٤٣) الطبري ج ٦ ص ٢٠٣، والاختبار الطوال ص ٢٣٥.

(٤٤) الاختبار الطوال ص ٢٣٥.

(٤٥) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٠٤ وابن الأثير ج ٤ ص ١١.

هاني مع ابن زياد

لما انتقل مسلم الى بيت هاني، وأخذت الشيعة اليه في هذا البيت ^(١) على تستر واستخفاء وتواصوا بالكتمان ^(٢) وخفى على ابن زياد موضع مسلم دعا مولاه « معقلا » وأعطاه ثلاثة آلاف درهم، وذلك بعد موت شريك الأعور، وأمره أن يلقي الشيعة ويعرفهم أنه من أهل الشام مولى لذي الكلاع الحميري، وقد أنعم الله عليه بحب أهل هذا البيت وبلغه قدوم رجل منهم داعية للحسين، وعنده مال يريد أن يوصله إليه.

فدخل « معقل » الجامع الأعظم، ورأى مسلم بن عوسجة الأسدي من بني سعد بن ثعلبة يصلي، وسمع الناس يقولون: هذا يبايع للحسين، وأخذ منه البيعة والمواثيق ليناصح ويكتم كي لا يفشوا الخبر الى ابن مرجانة.

ثم أدخله على ابن عقيل في دار هاني، وسلم المال ألى أبي ثمامة الصائدي وكان بصيرا شجاعا ومن وجه الشيعة، عينه مسلم لقبض ما يرد اليه من المال يشتري به سلاحا، فكان ذلك الرجل يكتلف الى مسلم كل يوم فلا يحجب عنه ويتعزف الأخبار ويرفعها الى ابن زياد عند المساء ^(٣).

ولما وضع الأمر لابن زياد وعرف أن مسلما محتبئ في دار هاني دعا أسماء بن

(١) الأخبار الطوال ص ٢٣٥.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد.

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٠٤.

خارجة، ومحمد بن الأشعث، وعمرو بن الحجاج الزبيدي وسألهم عن انقطاع هاني عنه فقالوا: الشكوى تمنعه، فلم يقتنع ابن زياد بعد أن أخبرته العيون بجلوسه على باب داره كل عشية، فركب هؤلاء الجماعة الى هاني وسألوه المصير الى السلطان لأن الجفاء لا يحتمله، وألحوا عليه فركب بغلته ولما طلع على ابن زياد قال: « اتتك بخائن رجلاه »^(٤) والتفت الى شريح القاضي يقول^(٥):

اريد جباهه ويريد قتلبي عذيرك من خليلك من مراد
ثم التفت الى هاني قائلاً: أتيت بابن عقيل الى دارك وجمعت له السلاح؟ فأنكر هاني، ولما كثر الجدال دعا ابن زياد الجاسوس « معقلا » ففهم هاني أن الخبر أتاه من جهته فاعتذر بأنه لم يدعه الى منزله، وإنما استجار به واستضافه، والذمام الذي يحمله يأبى له ألا يجير من استجار به، ثم طلب من ابن زياد أن يمضي الى داره، ويخرج مسلماً منها الى حيث شاء ليخرج بذلك من جواره ولا يكون سبباً للعرب، ويعطيه رهناً على ذلك، فأبى ابن زياد أن يطلق سراحه إلا أن يأتيه بمسلم^(٦).

ههنا جاهر ابن عروة بعقيدته، فعرف ابن مرجانة أن مسلماً أحق منه بالأمر، ولوفاء أبيه زياد ومكافاته في ولده لمعروفه معه يقوم بحمايته، والدفاع عنه وعن أهله حتى يخرجوا بأموالهم إلى الشام سالمين، لأن داعية الحسين عليه السلام أولى بالقيام على أمر الأمة وإدارة شؤونها.

فغضب ابن مرجانة من كلام هاني وألح عليه بالإتيان بابن عقيل فأفهمه هاني بأن هذا محال عليه ويأباه دينه وعقيدته فقال في التعبير عنه:
لو كان « ابن عقيل » تحت قدمي لما رفعتهما عنه.

فأغلظ له ابن زياد في القول وتهدده بالقتل، فتعجب هاني من جرأته وهو واحد ويتبع « ابن عروة » ثلاثون ألفاً، فقال لابن زياد: إذا تكثر البارقة حولك فاستدناه ابن زياد وأخذ بظفيريته وضربه بالسوط حتى كسر أنفه ونثر لحم

(٤) في مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ١٩ قاله الحرث بن جبلة الغساني لما ظفر بالحرث بن جبلة العبدي حين هجاه.

(٥) في الإصابة ج ٣ ص ٢٧٤ بترجمة قيس بن الكشوح قاله عمرو بن معديكرب في أبيات في ابن أخته وكانا متباعدين، وفي الأغاني ج ١٤ ص ٣٢: ان أمير المؤمنين علياً تمثل به لما دخل عليه ابن ملجم يبايعه.

(٦) ابن الأثر ج ٤ ص ١١.

خدييه وجبينه على لحيته، وتناول هاني سيف شرطيّ، ومانعه الرجل فأمر به ابن زياد إلى الحبس، فأدخل بعض بيوت القصر وجعل عليه حرسيّ.

فقال أسماء بن خارجة: أرسل غدر سائر اليوم أمرتنا أن نجئك بالرجل حتى اذا أدخلناه عليك هشمت وجهه وأسلت دمه؟ فأمر به ابن زياد أن يخرج من المجلس فأخرجه الشرطة، ولما رأى ابن الأشعث ذلك قال: ان الأمير مؤدب رضىنا برأيه لنا أم علينا.

وبلغ عمرو بن الحجاج قتل هاني الذي هو صهره على أخته « روعة » وهي أم « يحيى بن هاني » فأقبل في مذحج وأحاط بالقصر فأمر ابن زياد شريح القاضي أن يدخل على هاني ويخبرهم بحياته (٧).

ولما سمع هاني لغط الرجال حول القصر وعرف أنهم مذحج صاح: يا للرجال، أين عشيرتي، أين أهل الدين، أين أهل المصر، ألا عشرة من قومي يتقدوني من عدوهم وابن عدوهم؟

ومن يسمع صوته وأين من يبلغهم نداءه، والخوف على رؤوسهم والطمع مخيم على

نفوسهم؟

نعم دخل قاضي المسلمين « شريح » على هاني ممثلاً أمر ابن زياد وخرج الى القوم يخبرهم بأنه حي، فهلا مسائل لهذا القاضي المائل عن الحق كيف ساغ له إخفاء استغاثة هاني بقومه وعشيرته؟ وطمن القوم بحياته وسكن فورثهم حتى أزالهم عن القصر، تهاونه؟ أبالخوف من بادرة ابن مرجانة؟ فهلا ضحى نفسه على تقديره دون مناصرة الحق وأهله وانقاذ المؤمن الاسير من أنياب الطاغية؟ ولماذا كان يدّخر الحياة الذميمة وقد بلغ من الكبر عتياً؟ ومن ذا الذي أخبره أنه لو أصدق القوم في المقال، وزحفوا على القصر، وأخرجوا زعيمهم وانتكث الأمر على ابن زياد كان يتمكن الدعيّ من التنكيل به؟ لكنه يتحرى الحياة مع الظالمين!

ثم ألا مسائل مذحجا لماذا تجمهروا على القصر، ولماذا تفرقوا لخص القول بأنه حي، فتكون تلك الجلبة واللغظ للوقوف على حياته أو مماته بحيث اذا وجدوه ميتاً شيّعوا جنازته، وان كان حيا تركوه عرضة للذئاب وليست لهم حاجة في انقاذه. إذا فعلى

(٧) الطبري ج ٦ ص ٢٠٦، ولكن في مشير الأحزان واللهوف لابن طاووس اسمها رويحة، وأنها ابنة عمرو بن الحجاج.

الحفاظ والشهامة السلام.

راية الأمان:

لما رجع ابن الحجاج بمن معه من مذحج، خرج ابن زياد الى الجامع الأعظم وخطب الناس وقال: اعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم ولا تختلفوا ولا تفرقوا فتهلكوا وتذلوا وتقتلوا وتحفوا وتحرموا، ان أحاك من صدقك وقد أعذر من أنذر. ^(٨)

وأمر محمد بن الأشعث، وشبث بن ربعي، والقعقاع بن شور الذهلي، وحجار بن أبحر، وشمس بن ذي الجوشن، وعمرو بن جرث، أن يرفعوا راية الأمان ويخذلوا الناس ^(٩) فأجاب جماعة ممن خيّم الفرق عليهم، وآخريّن جرّهم الطمع الموهوم، واختفى غيرهم ممن طهرت ضمائرهم وكانوا يتربّون فتح الأبواب للحملة على صولة الباطل.

(٨) الطبري ج ٦ ص ٢٠٧.

(٩) ابن الأثير ج ٤ ص ١٢.

نهضة مسلم

كان لنهضة مسلم موعد مضروب بينه وبين الناس، ولم يزل هو ومن بايعه يتأهبون لذلك الأجل من تعبئة الرجال، وتهيئة العتاد، ورسم خطط الحرب الأخذ بالتدابير اللازمة، غير أن الأمر باغته بالقبض على هاني وهو آخذ بعضده، وموئل رأيه، وفي داره قاعدة ولايته، ومركز سلطته، فاضطرت الحالة « مسلما » أن يتعجل الخروج قبل الأجل مخافة أن يؤخذ غيلة ولعله ينقذ صاحبه من مخلب الظالم وقد أسلمته عشيرته.

وكان رسوله الى القصر عبدالله بن حازم الكبري من الأزد من بني كبير^(١) ليأتيه بخرهاني، فعرفه حبسه وأن نسوة مراد مجتمعات ينادين واثكلاه واعثرتاه فعندها أمره أن ينادي في أصحابه: « يا منصور أمت »^(٢) وقد ملأهم الدور حوله، وتنادى أهل الكوفة بذلك الشعار فاجتمع اليه أربعة آلاف فعقد راية لعبيدالله بن عمرو بن عزيز الكندي على ربع كندة وربيعة وأمره على الخيل، وراية لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج واسد وأمره على الرجال، وراية لأبي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان، وراية للعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة.

ثم أقبل مسلم عليه السلام بهؤلاء الجمع الى القصر وكان ابن زياد في الجامع الأعظم يخطب الناس فدخلت النظارة المسجد من باب التمارين يهتفون بمجيء ابن عقيل فراع ذلك ابن زياد، وأسرع الى القصر وأغلق أبوابه.

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٠٨.

(٢) منصور رئيس الملائكة الذين نزلوا لنصرة النبي يوم بدر وكان شعار المسلمين يا منصور أمت.

واجتمع الناس حتى امتلأ المسجد والسوق منهم وأحاطوا بالقصر وضاق بابن زياد
ذرعاً إذ لم يكن معه إلا ثلاثون رجلاً من الشرطة وعشرون رجلاً من أشرف الناس وأهل
بيته ومواليه ^(٣).

فكان أسهل شيء على أولئك الدارعين إلا جهاز علي ابن مرجانة ومن معه لأول
وهلة في طليعة الزحف وفي القوم مساعير للحرب، ولعل منهم من لا يروعه التقمّ على
أولئك نفر المعدودين بالأنامل ولم يكن لابن زياد في ذلك الوقت غير قعقعة الارهاب، وما
أدري كيف انطلت هذه البهجة على ذوي البصائر بشؤون المصر الواقفين على ما في أرجائه
من قلاقل وفي أجوائه من محن وإحن؟

ولكن لا عجب من أذئاب الكوفيين إذا مالوا مع عصبة الشيطان بمجرد أن سمعوا ابن
لأشعث وحجار بن أبجر وشم بن ذى الجوشن يمتوهم العطاء مع الطاعة ويهدّدونهم بجند
الشام الموهوم، وأشرف عليهم كثير بن شهاب حين كادت الشمس أن تغرب وقال: أيها
الناس الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشر، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل فإن هذه جنود أمير المؤمنين
يزيد قد أقبلت وقد أعطى الله الأمير عهداً لئن أتممت على حربكم ولم تنصرفوا من عشيتكم
أن يحرم ذريّتكم العطاء ويفوّق مقاتلتكم في مغازي الشام على غير طمع، وأن يأخذ البري
بالسقيم والغائب بالشاهد حتى لا يبقى فيكم بقية من أهل المعصية إلا ذاق وبال ما جرّت
يده ^(٤).

فطفق الأخ يخذل أخاه والمرأة تتعلّق بزوجها حتى يرجع، والآباء يفصلون أبناءهم عن
الجهاد ويجذون لهم العافية شأن أذئاب الناس الدقاق حسباً الضعفاء حلوماً.
فتفرق أولئك الجمع عن مسلم ^(٥) حتى لم يبق معه إلا ثلثمائة رجل وصلّى العشاء
بالمسجد ومعه ثلاثون رجلاً وانصرف نحو كندة ^(٦) ومعه ثلاثة ولم يمض إلا قليلاً وإذا لم
يشاخذ أحداً يدله على الطريق فنزل عن فرسه ومشى متلذداً في أزقة الكوفة ^(٧) لا يدري إلى
أين يتوجّه ^(٧).

٣) ابن الأثير ج ٤ ص ١٢.

٤) الطبري ج ٦ ص ٢٠٨.

٥) الأخبار الطوال ص ٢٤٠.

٦) الشريشي في شرح مقامات الحريري ج ١ ص ١٩٢.

٧) اللّهُوف لابن طاووس.

انّ من العجيب الغريب أمير مصر يتفرق عنه جنده، ووالي قازة أسلمته أنصاره، لماذا كان ذلك؟ للاوهام والتهافها، أو للمطامع الشهوات؟ أين النخوة والحفاظ؟ أين الإباء والحمية؟ أيظنون أنهم لو انضوا الى راية الهدى يحرمهم صاحبه الاعطاء؟ أو يضمن عليهم بالوظائف؟ أو يقيم الحق بغيرهم؟ لا ها الله ما كان يدخر الاعطيات إلا لهم، ولا ينضد الكراسي بمن عداهم، ولا قيادة الجيوش إلا بهم، ولو عدلوا لما استلم الحكم سواهم. لكن حسنة الطباع ولؤم العنصر حالا دون أن يحضوا بالشرف وضاح والسعادة في الدنيا والآخرة فاستمروا أجاج الأمويين تحت راية ابن مرجانة، وتركوا التاريخ يذكرهم منافيات المروءة والحفاظ ولوازم قول الزور وخفر الذمم « ولعذاب الله أكبر لو كانوا يعلمون ».

خطبة ابن زياد:

لما تفرق الناس عن مسلم عليه السلام وسكن لغظهم ولم يسمع ابن زياد أصوات الرجال أمر من معه في القصر أن يشرفوا على ظلال المسجد لينظروا هل كمنوا فيها. فكانوا يدلون القناديل ويشعلون النار في القصب ويدلونها بالخبال الى أن تصل الى صحن الجامع، وفعلوا ذلك بالظلة التي فيها المنبر فلم يروا لأصحاب ابن عقيل أثرا، فأعلموا ابن مرجانة فأمر مناديه أن ينادي في الناس ليجمعوا في المسجد، ولما امتلأ المسجد بهم رقي المنبر وقال: ان ابن عقيل قد أتى ما قد علمتم من الخلاف والشقاق فبرئت الذمة من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله ديته، اتقوا الله عباد الله والزموا طاعتكم وبيعتكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلا.

الى السجن:

ثم أمر ابن زياد صاحب شرطته الحصين بن تميم أن يفتش الدور والسكك، وحدّره بالفتك الذريع اذا أفلت مسلم وخرج من الكوفة^(٨). فقام الحصين بهذه المهمة فبتت العيون ووضع الحرس على أفواه السكك، وتتبع الأشراف الناهظين مع مسلم فقبض على عبد الأعلى بن يزيد الكلبي وعمارة بن

(٨) الطبري ج ٦ ص ٢٠٩.

صلخب الأزدي فحبسهما ثم قتلهما.

وحبس جماعة من الوجوه استباحاشا منهم وكان فيهم المختار الثقفي وعبدالله بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب^(٩) وقد خرجا لنصرة ابن عقيل، وكان المختار عند خروج مسلم في قرية له تدعى « لفا » فجاء بمواليه يحمل راية خضراء، ويحمل عبدالله بن الحارث راية حمراء وانتهايا الى باب الفيل^(١٠) ووضح لهما قتل مسلم وهاني، واشير عليهما بالدخول تحت راية عمرو بن حريث ففعلا وشعد لهما ابن حريث باجتناهما مسلما عليه السلام. فأمر ابن زياد بحبسهما بعد أن شتم المختار واستعرض وجهه بالقضيب فشر عينه وبقيا في السجن الى أن قتل الحسين عليه السلام.

ولما أحضر سي آل محمد عليهم السلام في مجلسه أخرج المختار من الحبس شامتا منه، وفرحا بما يجسه من الظفر، وإذ رأى المختار هيئة منكرة زفر زفرة كادت روحه أن تخرج فيها، ولم يشن هذا من عزمه ولا أوهن من عقيدته، فأغلظ لابن زياد في كلام جرى بينهما^(١١) وعرفه بالعقيدة التي يحملها من مصدر وثيق بأن أيامه عدد وملكه بدد وسيلقى خزيا وبوارا يكون ذلك على يده.

فاضحك ابن زياد هذا النبأ من أسير تحت قبضته، وليس له مساعد له يجذر سطوته خصوصا يرى أعناق الأشراف ذللا نحوه وقد ملأ السجن بمن يتحفن لنخوته، فأرجعه الى السجن ولم يطلق سراحه إلا بشفاعة عبدالله بن عمر بن الخطاب عند يزيد لاقرانه من « صفية » ابنة أبي عبيد الثقفي أخت المختار.

ولما خطب ابن زياد بعد قتل ابن عفيف الأزدي ونال من أمير المؤمنين بحضرة اولئك الأجلاف من الكوفيين، ولم يلق منهم رادا عليه غير المختار، فقد ثار في وجهه شائما ومعرفا بأن اللصيق لم يستحق من الإمارة موطأ قدم وان أهلها العاملون بالحق السالكون بالأمة طريق الجدمهذبون المرشدون كابن عقيل ومن حذا حذوه من أهل هذا البيت الطاهر. فأمر ابن مرجانة بقتله غير أن عمر بن سعد تشفع فيه لأنه كان صهره على أخته، أولدت له حفصا، فأرجعه الى السجن ثم تشفع فيه ثانيا عبدالله بن عمر عند

(٩) المصدر، ص ٢٠٨ وص ٢١٤ وص ٢١٥.

(١٠) أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥ ص ٢١٥.

(١١) رياض الأحران ص ٥٢ عن روضة الشهداء.

يزيد فكتب الى ابن زياد يأمره باطلاقه فأخرجه من السجن على أن لا يساكنه في البلد^(١٢).

(١٢) المصدر ص ٥٨ عن روضة الصفا.

في بيت طوعة

لقد كان في الكوفة ممن تحلى بسمات الرجال المهذبين الذين لم تلم بساحتهم أي لائمة ولا توجهت اليهم مغبة، وأنه ذلك الانسان الواحد الحاوي للشرف المعلى والذكر الخالد والثناء الجميل، وحضى بالرضوان مع حبيب الله وخاتم رسله، ألا وهي « طوعة ». ولو كنا النساء كمن ذكرنا لفضلت النساء على الرجال فلا التأيث باسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال أصحيح أن امرأة تفوق الرجال في الفضائل والفواضل؟ نعم أن ذلك لما أجنته في أضالعها من طهارة النفس، وشرف المنبت والولاء الصحيح لأهل هذا البيت، فقامت بما يرضى الله، ورسوله ويجبذه الشرف والإنسانية، ويدعو إليه الخطر، والناس يتمايزون بالنفسيات الكريمة والغرائز الطيبة والعمل الصالح.

وماذا على « طوعة » وقد طاوعتها نفسها على متابعة العقل واقتصاص أثر الدين وأداء أجر الرسالة بايواء ابن عم سيد الشهداء ومثله الفذ، فتحلّت بما فتحلّت بما تحلّى عنه ذواهمم القاصرة والنفوس الضعيفة والحلوم الضئيلة، فشع نورها بين هاتيك الظلم المدلهم كما شاع ذكرها في الجوامع والزبر، وفي ثنايا الحقب والأجيال المتتالية فهي حية بعمرها الثاني حتى يسكنها الله تعالى الخلد محبورة في جوار المصطفى ووصيه المرتضى. قال المؤرخون: لما بقى مسلم وحده يتلذذ في أزقة الكوفة لا يدري إلى أين يتوجه انتهى به السير الى باب امرأة يقال لها طوعة، أم ولد كان للأشعث بن قيس أعتقها

وتزوجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالا كان مع الناس، وكان هذه المرأة على الباب تنتظره فلما رآه مسلم عليه السلام استقاه فسقته فجلس على الباب لا تطاوعه نفسه أن يتدئها بطلب الإذن في الدخول للدار، ولا يعرف موضعا يؤيه من عادية الطاغي، ولا من يأخذ الى الخلف من صحبه والشوارع فيها الحرص، وقد فرّق الخوف جل الناهضين معه.

فالتفتت اليه قائلة: ألم تشرب؟ فأجابها بصوت منكسر وزفرت متصاعدة: نعم قد شربت، قالت: إذا لماذا تذهب إلى أهلك؟ فسكت عنها إذ لم يكن له أهل ولا يعرف من يؤيه، ولكنها لم تقتنع بذلك لأنها امرأة مصونة متأنف من وقوف الأجنبي على بيتها فقالت له: إني لا أحل لك الجلوس هنا ولا يصلح لك.

فعندها رق وتلاين وقال: يا أمة الله مالي في هذا المصر منزل، ولا عشيرة فهل لك الى أجر ومعروف ولعلي مكافئك به بعد هذا اليوم.

فاستفتنهما هذه الكلمة الغالية لأن الأجر من أعمال الصالحين والمعروف لا يكافي عليه إلا أهله فقالت مستفهمة: وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل كذبي هؤلاء القوم وغروني. فلما سمعت باسمه شعرت بزلفى الأبد، وسعادة لا يتوقق لها إلا من أودع الله تعالى فيه نور الايمان، فأعادت عليه السؤال عن اسمه متأكدة في الحصول على الغاية الثمينة وقالت له: أنت مسلم؟ قال: نعم، فرحبت به وامتلأ قلبها سرورا بالحضوة بضيافة مثل داعية ابن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأدخلته بيتاً غير الذي يأوي اليه ابنها وعرضت عليه الطعام فأبى.

ولما وافى ابنها المنزل ورآها تكثر الدخول لذلك البيت استراب منه فاستفهمها عنه فأعرضت وألح عليها، فلم تحبره إلا بعد أن أخذت عليه العهد أن لا يعلم أحدا بما في البيت، فبات الغلام فرحا بجائزة ابن زياد ^(١).

مسلم في اليوم الثاني:

كانت هذه الليلة أطول ليلة مرت على مسلم عليه السلام يرقب آناءها ويعدد دقائقها وثوانها، ينظر بعين البصيرة الى زوايا البيت وهو يعلم أنه مآتي لا محالة ولكن كيف يؤتى ومن أين يتوقع الهجوم عليه، وكيف يدافع ولا يبصر إلا ناحية واحدة

(١) مقاتل الطائيين ص ٤١ إيران.

شدَّ إليها الرحال منذ خرج من المدينة بأمر السبط الشهيد، ألا وهي إظهار الدعوة إلى حُكم الكتاب المجيد وسنة الرسول وانقاذ الأمة من مخالب الضلال وتعريفها سبيل الرشد من الغي، ومما رؤياه عمه أميرالمؤمنين في المنام يقول له:

« أنت معي غدا فالعجل العجل ^(١) ».

فعرفت نفسه المطمئنة المهمة أن في صباح هذه الليلة اللقاء والفناء الذي فيه البقاء الأبدى، فلم تبعثه الحالة إلا إلى النشاط والبسالة والثوق بازوف الموعد.

فلما انفلق عمود الفجر وانفتل من صلاته ودعائه ونوافله تأهب لمجاهدة من مرق عن الدين وأعرض عن وصايا النبي في أهله وذويه وقال لطوعة: « قد اديت ما عليك من البر والإحسان، وأخذت نصيبك من شفاعة رسول الله » وقص عليها الرؤيا ^(٢).

أما ابن العجوز فذهب الى القصر وأعلم عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بمكان مسلم عليه السلام في بيتهم، فأخبر عبدالرحمن أباه، ووضح الأمر لابن زياد، فدعا الغلام وطوقه بطوق من ذهب ^(٣) وأمر ابن الأشعث أن يذهب اليه في سبعين من قيس ليأتيه به.

فلما سمع مسلم عليه السلام وقع حوافر الخيل ولغظ الرجال علم أن هذا طليعة الشر ^(٤)، فخرج اليهم بجأش طامن، وجنان راسخ بهضب يهزأ الرواسي وحشو الردى منه فروسية وشجاعة، وملء اهابه بشر ومسرة فاستقبلهم كمي آل أبي طالب في جحفل مجر من عزمه، أو حشد لهم من بأسه والقوم سبعون دارعا وهو واحد في ذلك المأزق الحرج من نواحي البيت فلم يفتأوا يرجفوا عليه الدار وهو يكردهم غير مكترث بعددهم ولا بعدتهم.

الا تعجب من مكثور أطلعت عليه أعداؤه حيث لا متسع فيه لكر أو فر في مضائق الشوارع ومرتبك الأزقة والجراح يؤلمه والعطش يرمضه، وهناك جلبة الصاحبين وتشجيع المنشطين، وهلهلة النساء كما يقتضيه طبع الحال عند العرب، وهم على يقين

(٢) نفس المهموم ص ٥٦ عن كامل البهائي.

(٣) نفس المهموم ص ٥٦.

(٤) رياض المصائب ص ٢٦٥.

(٥) مقاتل الطالبين ص ٤١.

بالمدد أن أعزوتهم القوة.

وصريحة الهاشميين خالي من ذلك كله، ولكن سل القوم والموقف كما وصفناه، هل ألم بابن عقيل حور، أو داخله فرق، أو فترت منه عزيمة، أو تثبّط من إقدام؟ لا ومن ترك «الجدّيدين» يرتلان صحيفته البيضاء على رؤوس الأجيال حتى يرث الله الأرض ومن عليها. ولم يشعروا أهو مسلم ينساب عليهم بصارمه الذكر، أو عمه أمير المؤمنين يشق الصفوف ويترد الألوّف، أو أن زورعة الحمام أخذتهم من نواحيهم فقتل من السبعين أربعين وهو يرتجز^(٦):

هو الموت فاصنع وبك ما أنت صانع فأنت بكأس الموت لاشك جوارع
فصبراً لأمر الله جل جلاله فحكم قضاء الله في الخلق ذابح
وكان من قوته يأخذ الرجل من محزومه ويرمي به فوق البيت،^(٧) والمرأة الطاهرة « طوعة
« تحزّضه على القتال^(٨) فاضطرهم البؤس واليأس من الظفر الى الاستمداد، فأنفذ ابن
الأشعث الى ابن مرجانة يستمدّه الرجال فبعث اليه: إنا أرسلناك الى رجل واحد لتأينا به
فثلم في أصحابك هذه التلمة فكيف لو أرسلناك الى غيره؟^(٩)

فأرسل إليه ابن الأشعث: « أيها الأمير أتظن أنك أرسلتني الى بقال من بقالي
الكوفة، أو جرمقان من جرامة الحيرة؟ وإنما وجهتني الى سيف من أسياف محمد بن عبدالله
« فأمدّه بمخمّسة فارس^(١٠).

إن ابن مرجانة يعجب من هذه البسالة الطالبية وما لهم من القسط الأوفر منها، ولا
تزال أنباء مواقفهم في الحروب تترّ في مسامعه كما أن صداها لم ينقطع عن اذن الدهر
ومسامع الأجيال والاندية تلهج بحديث النبي:

« لو ولد الناس كلهم أبوطالب لكانا * شجعانا »^(١١)

لكنّ طيش الملك وغرور الحاكمية أخذاه به الى الاستخفاف بسرّي مضر من أنه

٦ مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٢١٢.

٧ نفس المهموم ص ٥٧.

٨ رياض المصائب ص ٢٦٥.

٩ مقتل محمد بن أبي طالب.

١٠ رياض المصائب ص ٢٦٦.

* كذا في المتن ولكن الصحيح لكانوا بدل لكانا.

١١ غرر الخصاص للوطواط ص ١٧ في باب حفظ الجوار.

واحد فكيف يتلم ذلك الجمع.

نعم هو واحد بالذات كثير في العزم والبأس.

فتجمهروا عليه من كل الجهات وصرخة آل أبي طالب لا يكثرث بجمعهم ولم ترعه
كثرتهم، فأوقع فيهم الموت الزوام، واختلف هو وبكير بن حمران الأحمري بضربتين، ضرب
بكبير فم مسلم - عائلاً فقطع شفته العليا وأسرع السيف الى السفلى ونصلت لها ثنيتان،
وضربه مسلم على رأسه ضربة منكرة، واخرى على حبل العاتق كادت أن تطلع الى جوفه ^(١٢)
فمات منها ^(١٣).

وأخذ يقاتلهم وحده في ذلك المجال الضيق حتى أكثر القتلى والناس من أعلى
السطوح يرمونه بالحجارة، ويقلبون عليه القصب المضرم بالنار ^(١٤) وهو يرتجز في حملاته ^(١٥):
أقسمت لا أقتل إلا حمراناً وإن رأيت الموت شيئاً نكراً
كل امرئ يوماً ملاق شمراناً ويخلص البارد سخناً مراناً
رد شعاع النفس فاستقراناً أخفاف أن أكذب أو أغراناً
ولما أنختته الجراح وأعياه نرف الدم استند الى جنب تلك الدار فتحاملوا عليه يرمونه
بالسهام والحجارة فقال:

« ما لكم ترموني بالحجارة كما ترمى الكفار وأنا من أهل بيت الأنبياء
الأبرار ألا ترعون حق رسول الله في عترته ^(١٦) ». »

وحيث أعوزتهم الحيل والدابير الحربية لالقاء القبض عليه أو التوصل الى قتله، أو تحري
منجاة من سيفه الرهيف قابله بالأمان عساه يكف عن القتال فيتسنى لهم

(١٢) الطبري ج ٦ ص ٢١٠.

(١٣) مقتل الخوارزمي.

(١٤) ابن الأثير ج ٤ ص ١٣.

(١٥) في اللهوف ص ٣٠ صيدا، الأبيات لحمران بن مالك النخعي قالها يوم القرم، وعند ابن نما « القرن » ويشهد
له ما في المعجم مما استعجم ج ٣ ص ١٠٦٨ قرن اسم جبل كانت فيه وقعة لغطفان على بني كنانة فهو يوم قرن،
وفي تاج العروس ج ٩ ص ٣١٠ يوم أقرن كاملس يوم لغطفان على بني عامر وفي معجم البلدان ج ٧ ص ٦٤ قرن
اسم جبل كانت به وقعة لبني قرن على بني عامر بن صعصعة، وفي نهاية الارب للقلقشندي ص ٣٢١ بنو قرن
بطن من مراد وهم بنو قرن ابن رومان بن ناجية بن مراد منهم أو يس القرني الشهور.

(١٦) مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٢١٢.

بعض ما يرومونه، فقال له ابن الأشعث: أنت آمن، إلا عبيد الله بن العباس السلمي فغنه تنحى وقال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل (١٧).

أما ابن عقيل عليه السلام فلم تفته خيانتهم ونقضهم العهود وأهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة فلم يعبء بأمانهم فقال: « لا والله لا أؤسر وبى طاقة، لا يكون ذلك أبدأ » وحمل على ابن الأشعث فهرب منه، ثم تكاثروا عليه وقد اشتد به العطش فطعنه رجل من خلفه فسقط الى الأرض وأسر (١٨).

وقيل: أنهم عملوا حفيرة وستروها بالتراب وانكشفوا بين يديه حتى إذا وقع فيها أسروه (١٩).

ولما أركبوه البغلة وانتزعوه سيفه دمعت عينه، فقال له عمرو بن عبيد الله بن العباس السلمي: ان الذي يطلب مثل الذي تطلب اذا نزل به مثل ما نزل بك لم يبكي، فقال عليه السلام: « ما على نفسي أبكي ولكن أبكي لأهلي المقبلين اليكم، أبكي للحسين وآل الحسين (٢٠) . »

تفيدنا هذه الجملة درسا آخر من نفسية مسلم وقوة إيمانه وثبات جأشه وقداسته نفسه؛ فان هذا البكاء لم يكن لجروحه الدامية أو عطشه المبرح لما ألم به من الضرب والطعن وهو في الحالة نفسها مكتورة وأنه سوف يؤدي به الظلوم الغاشم في منتأى عن أهله وولده. لكن الذي أبكاه أمام ذلك الجمع المحارب أمر ديني وطاعة للمولى نظير الغاية التي أوقفته هذا الموقف وهو ما سيجري على حجة الوقت الواجب على العباد الإنقياد له والخضوع لأمره، وان سيد شباب أهل الجنة سيرد هذا المورد متى حلّ بين ظهرائي أهل الكوفة الطغاة وهو لا يريد أن تشوك سيدة شوكة ولا يستهين أن يصيبه أي أذى، وإنما وقف هذا الموقف للحصول على مرضاة إمامه والدعوة إليه والدّب عنه، ولم يبرح هذه نواياه حتى نسي نفسه ولم ينس أبي الضيم عليه السلام فطفق يبكي لما يصيبه وهو

(١٧) ابن الأثير ج ٤ ص ١٣.

(١٨) ابن شهر آشوب في المناقب ج ٢ ص ٢١٢.

(١٩) المنتخب للطريحي.

(٢٠) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢١١.

مرتت بالجراح وفي آخر رمق من الحياه الله من شههم سيظ الإيمان بلحمه ودمه، وعاد مزيج نفسه الكريمة.

وفي نص سبط ابن الجوزي: أن ابن الأشعث سلب مسلم بن عقيل درعه وسيفه فقال بعض الشعراء يؤنبه على فعلته هذه وتركه نصره هاني (٢١):
وتركت عمك لم تقاتل دونه فشلا ولو أنت كان منيعا
وقتلنا وافد آل حـزب محمد وسلبت أسيافا له ودروعا
ولما جيء به الى القصر تساند الى الحائط وقد أخذ الضعف لنزف الدم وشدة الظماء
فراى قلة مبردة فطلب منها ما يبل غلته، فقال له مسلم بن عمرو الباهلي: أتراها ما أبردها
لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنم!
فكبرت هذه الكلمة على ابن عقيل أن تصدر من رجل يدعي الإسلام ويتشهد
الشهادتين ثم لا تسمح نفسه بيذل الماء الذي هو مباح لعامة الحيوانات ولا يمنع منه حتى
الكافر، والشريعة تنادي بأعلا صوتها:

« الناس شرع سواء في الماء والنار والكلاء »

ثم أي رجل يحمل أقل شيء من العاطفة يشاهد إنسانا بتلك الحالة المشجية ثم يرضن عليه بشرية من ماء، أنه لخارج عن الحدود البشرية ومستوى الانسانية.
ومن هنا تعجب مسلم عليه السلام واستفهم عن حسبه فقال له: من أنت؟ قال: أنا ابن
من عرف الحق إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته وخالفته، أنا
مسلم بن عمرو الباهلي!
فقال ابن عقيل:

« لأمك الثكل ما أجفأك وأفظك وأقسى قلبك وأغلظه أنت يا ابن باهلة

أولى بالحميم والخلود في نار جهنم. »

وعلى هذا الحوار بعث عمرو بن حريث غلاما له يدعي سليما فأتاه بالماء (٢٢) وفي
نص آخر أرسل عمارة بن عقبة بن أبي معيط غلامه قيسا وأتاه بالماء (٢٣) وهل شرب ابن
عقيل من الماء فيخفف من الغلوب ويطفئ أوار الظمأ؟ لا! فإنه كلما أدنا القدر منه

(٢١) تذكرة الخواص ص ١٣٩.

(٢٢) الإرشاد للشيخ المفيد.

(٢٣) الطبري ج ٦ ص ٢١١.

امتلاً دماً للضربة التي على شفثيه، وفي الثالثة امتلاً دماً وسقطت في القدرح ثناياه فتركه وقال:
« لو كان من الرزق المقسوم لشربته (٢٤) »

وهذا من أشد تمكن القداسة في ذاته الملكوتية التي هي قطعة ذلك الجامع المنبسط على رجالات بيت الوحي، وهو روح الطهارة والعصمة عن الرذائل. فتلك ذات لم تمازجها دنيّة ولا ألمت بها ضعة ولا وصمت برذيلة فراق داعية السبط الشهيد ﷺ أن لا يعلق به شيء لا يتفق مع عنصره الزاكي وذاته المطهرة ولم يقاربه طيلة عمره، ألا وهو شرب الماء المشوب بالدم وان كان يجوز له ذلك.

لأن الله تعالى اختار لهذه النفوس القدسية المتفانية في نيل مرضاته الداعية الى كلمته وبرهانه حتى قاست ما لا يدركه العقل من كوارث ومحن في سبيل طاعته أشر الموت وهو القتل ممنوعين من الورود لتكون الحجة ألزم على اولئك المتمرّدين على قدس المولى سبحانه الخارجين على حدود سننه وتعاليمه.

(٢٤) المصدر ص ٢١٢.

في قصر الإمارة

لقد جرى من الكفور الملحد نغل زياد الظلوم المعتدي
ما قد جرى من فاحش الخطاب وممن قبـيح أـلـرد والجواب
وغـير ضائـر عـواء الكلب إذا عوى على النجوم الشهب
وكيف يرجى من عدو الله في وليه شـيء مـن التعسف

أدخل ابن عقيل عليه السلام على ابن زياد وهو على سرير الطغيان والجور ومسلم أسير
مكتوف لا يجد أحدا ينجده ولا من يقف دونه، فلم يتظاهر بالخضوع لابن مرجانة ولا
استلان له واستعطفه بالسلام عليه، ولما اعترضه الشرطي بقوله: ألا تسلم على الأمير؟ قال:
« إنه ليس لي بأمير ^(١) » ويقال: انه قال:

« السلام على من اتبع الهدى، وخشي عواقب الردى، وأطاع الملك
الأعلى ^(٢) ».

أراد بهذه الكلمة تعريف الحضور بأنه مقاوم للسلطة الغاشمة ومناوى لهذا الجائر حتى
عند تضائل قواه وانفلات الأمر من يده وعند منصرم العمر، ولعل بذلك يتجدد المقت من
الأمة على ابن مرجانة، وتخدم القلوب عليه، وعلى من ولاه أمر البلاد، فيستطيع حينئذ أن
يقول القائل: ان داعية الصلاح رافض لحكومة الضلال

(١) المقبولة الحسينية ص ١٤ لشيخنا الحجة الشيخ هادي كاشف الغطاء.

(٢) اللهوف لابن طاووس ٣٠.

(٣) المنتخب للطريحي.

حتى في أخرج المواقف، ولا يهون عليه شيء من أمرها، فلا يفوت أهل الكوفة العلم بمشروعية هذه الولاية، وأن الأخوة التي شرفه بها سيد الشهداء أخوة شرف وإيمان والثقة التي فاز بها كما في صك الولاية لا يدرك مداها.

ولم يقتنع مسلم عليه السلام بكل ذلك حتى أخذ يعرف الناس في ذلك المجلس نفسية عبيد الله وأبيه ومن أجلسه هذا المجلس لتتمّ الحجة فلا يعتذر أحد بالغفلة والجهل، وأن لقوة الجور مفعولا آخر.

فإنه لما قال له ابن زياد: إيهأ يا ابن عقيل أتيت الناس، وأمرهم واحد فشئت أمرهم، وفرقت كلمتهم، وحملت بعضهم على بعض! قال:

« كلا لست أتيت لذلك، ولكن أهل المصر زعموا أن أبك قتل خيارهم، وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو الى حكم الكتاب. »

قال ابن زياد: ما أنت وذاك يا فاسق أو لم تكن تعمل فيهم بذلك وأنت بالمدينة تشرب الخمر.

قال مسلم:

« أنا أشرب الخمر؟ ان الله ليعلم أنك غير صادق، وأنت تقول بغير علم، وإني لست كما ذكرت، وأنت أحق بشرب الخمر مني، من ولغ في دماء المسلمين ولغا، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها، ويقتل النفس بغير النفس ويسفك الدم الحرام، ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئا. »

فقال ابن زياد: إن نفسك تمنيك ما حال الله دونه ولم يرك أهله.

فقال مسلم: فمن أهله؟

فقال ابن زياد: أمير المؤمنين يزيد.

قال مسلم: الحمد لله على كل حال، رضينا بالله حكما بيننا وبينكم.

فقال ابن زياد: كأنك تظن أن لكم في الأمر شيئا.

فقال مسلم: والله ما هو الظن ولكنه اليقين.

فقال ابن زياد: قتلي الله ان لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام!

فقال مسلم:

أما أنك أحق من أن تحدث في الإسلام ما لم يكن، وأنت لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة لأحد من الناس أحق بها منك.

فشتمه ابن زياد وشتتم حسيناً وعلياً وعقيلاً!

لقد نضحت آنية ابن مرجانة بما فيها من فحش وخنا، وأسمع مسلماً ما لا تحمله الجبال الرواسي، فما إستهان، ولا استلان ولا تكعكع عن ابداء الحقيقة للناس، وايقافهم على مخازيه، ومخاريق أبيه، وبوائق من استعملهما حتى أخرج الموقف وسدّ المذاهب عليه فلم ير الدعي وسيلة لمقابلة ابن عقيل إلا بسب أميرالمؤمنين ذلك الذي يقول فيه رسول الله:

« يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت وما عرفني إلا الله وأنت وما عرفك إلا

الله وأنا ^(٤). يا علي من سبك فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ^(٥) ».

ههنا لم يطلق مسلم صبراً وان صبر قبل ذلك على مثل حز المدى فقال لابن مرجانة:

« فافض ما أنت قاض يا عدو الله. »

كتم السرّ:

كم السر من لوازم المروءة، فإن في إفشائه اما فضيحة على من أذيع عنه ان كان ذلك المذاع من الرذائل غير متجاهر بها، والله سبحانه يجب الستر على المؤمنين ابقاءً لحيثياتهم في الجماعة، وكلاءة لعضويتهم فيها، فإن الخط من الكرامة يوجب سقوط محله بين الناس، ويعود منبوذاً بينهم فلا يصغى لقوله، ولا يحترم مقامه، فيختل التكاتف، والتعاون على حفظ النظام، ويكون ذلك مبدأت لتجري الغير كما هو مقتضى الجبلة البشرية، ومثالا لنفرة أناس ممن يترفعون عن أمثالها، فتسود المنابذة، وتحتدم البغضاء، واذا كان المولى سبحانه وهو القابض على ازمة الخلق القادر على كشف ما انطوت عليه ضمائرهم يستر عليهم ويفيض ألطافه مع التناهي، وينادي كتابه العزيز: « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم ».

٤) دار السلام للنوري ج ٢ ص ٣٣٨.

٥) تقدم في الأبحاث السابقة رد سعد على معاوية لما أراد منه أن يسب علياً.

ولما سأل رسول الله ﷺ ربه جل شأنه أن لا يحاسب أمته بحضرة الملائكة والأنبياء فيطلعوا على عيوبهم قال تعالى:

« يا حبيبي أنا أراف بعبادي منك وإذا كرهت كشف عيوبهم عند غيرك، فأنا أكره أن أكشفها عند فأحاسبهم وحدي بحيث لا يطلع على عثراتهم غيري ^(٦) ». »

فإفشاء السر وإذا عته ممنوع منه سواء كان فيه العيب والنقص على الشخص بخروجه عن قانون الشريعة أو لم يكن فيه العيب؛ لأن في غداة السر إيذاء له وهتكاً لحرمة وخيانة لما استودع له، فإن الحديث بين الناس أمانة. ^(٧) غدا فهو محرم بجميع أقسامه سواء كان بالغبية أو النميمة أو بالإفضاء لمن لا يرضى صاحب السر عليه غيره لكونه إيذاء له، فلا يوصف به مؤمن فاضل، ولا انسان كامل إلا من ضربت الحسة في عنصره، ومدت الدناءة فيه عروقها.

ومن هذا تعرف كيف بلغ اللؤمن ورداءة المنبت بعمر بن سعد حين أفضى بالسر الذي أودعه عنده مسلم بن عقيل، وذلك أن ابن عقيل طلب من ابن زياد أن يوصي الى بعض قومه، فأذن له، فنظر الى المجلساء فرأى فيهم ابن سعد فقال له: « أن بيني وبينك قرابة، ولي اليك حاجة، ويجب عليك نبح حاجتي وهي سر » فأبى أن يمكّنه من ذكرها، فقال ابن زياد: لا تمتنع من النظر في حاجة ابن عمك، فقام معه بحيث يراهما ابن زياد فأوصاه مسلم ^(٨) أن يقضي من ثمن سيفه ودرعه، دينا استدانه منذ دخل الكوفة يبلغ ستمائة درهم ^(٩)، وأن يستوهب جثته من ابن زياد، ويدفنها، وأن يكتب الى الحسين بخبره. فأفشى ابن سعد جميع ذلك الى ابن زياد فقال ابن زياد: لا يخونك الأمي ولكن قد يؤتمن الخائن ^(٩).

لم يفتم مسلما ما عليه ابن سعد من لؤم العنصر، وأنه سيفشي بسرّه بين الملأ،

(٦) جامع السعادات ص ٣٣٩ طبع إيران.

(٧) المصدر ص ٣٤٠.

(٨) في الأخبار الطوال ص ٢٤١ يبلغ ألف درهم، وفي تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢١٢ يبلغ سبعمائة درهم.

(٩) الإرشاد.

لكنه اراد تعريف الكوفيين بأن هذا الذي يعدون من كبرائهم ويتبجح بأن أباه فاتح البلاد هذا حده من المروءة، وموقفه من الحفاظ فلا يغتر به أحد إذا تَحَيَّز الى فئة أو جنح الى جانب، فإنه لا يهوى إلا مثله.

وهناك دقيقة اخرى لاحظها مسلم في هذه الوصية، وهي الإرشاد الى أنه ومن يعقبه منالرهط الهاشمي لم يقصد هذا المصر لاستنزاف أموالهم، وإنما جاؤا منقذين وملبّين لدعوتهم، ونشر الإصلاح فيهم، وأول شاهد على ذلك أنه أيام إقامته بالكوفة لم يمدّ يده الى بيت المال على أنه جاء واليا يتصرف كيف شاء وتحت يده ما يجمع من المال إلا أنه قضى أيامه البالغة أربع وستين يوما بالإستدانة، وهكذا ينبغي أن يسير أولياء الأمور فلا يتخذون مال الفقراء مغنما، وأين من يفقه هذه الأسرار؟

الشهادة:

لما أكثر مسلم عليه السلام من الطعن على ابن زياد في حسبه ونسبه أمر رجلا شاميا ^(١٠) أن يصعده الى أعلا القصر، ويشرف به على موضع الجزارين ^(١١)، ويضرب عنقه، ويرمي بجسده ورأسه الى الأرض. فأصعده الشامي، ومسلم يسبح الله ويكبّره ويستغفره ويقول: « اللهم أحكم بيننا وبين قوم كذبونا وغررونا وخذلونا وقتلونا ^(١٢) » ثم صلى ركعتين ^(١٣) وتوجه نحو المدينة وسلم على الحسين ^(١٤) فضرب الرجل عنقه ورمى بجسده الى الأرض كما أمره ابن زياد ^(١٥) ونزل مدعورا فسأله ابن زياد عما دهاه قال: رأيت ساعة قتله رجلا أسود سيء الوجه حذائي عاضا على اصبعه، فقال له: لعلك دهشت! ^(١٦) قصدا لتعمية الأمر على الجالسين حوله لئلا يفشوا الخبر فتزداد عقيدة الناس

١٠) مقتل الخوارزمي. ومنه يعرف الإضطراب في نقل ابن جرير فإنه نص على أن بكير الأحمري هو الذي أصعده الى أعلا القصر، وقبل هذا ذكر أن مسلما ضربه على عاتقه حتى كاذت أن تطلع الى خوفه، ومثل هذا الجريح هل يستطيع القيام بقتله.

١١) في ارشاد الشيخ المفيد موضع الحذائين.

١٢) الطبري ج ٦ ص ٢١٣.

١٣) رياض المصائب ص ٦٨.

١٤) أسرار الشهادة ص ٢٥٨.

١٥) ابن الأثير ج ٤ ص ١٥.

١٦) اللهوف لابن طاووس ص ٣١.

بداعية الحسين عليه السلام، ولعل الأمر ينتكث عليه لأن النفوس متكهبة بولائهم ولهم العقيدة الراسخة بفضلهم الكثار.

وهنا نقل آخر في قتله أنه دفعه الى الأرض على أم رأسه فتكسر وكانت فيها شهادته،^(١٧) ولأنفراد ناقله ونص المورخين على الأول مما يبعده.

ثم أمر ابن زياد بهاني بن عروة فأخرج مكتوفاً الى مكان من السوق يباع فيه الغنم فنادى:

« وامذحجاه ولا مذحج لي اليوم، وامذحجاه ولا مذحج لي اليوم. »
فلما رأى أن أحدا لا ينصره انتزع يده من الكتاف ونادى:
« ألا عصا أو سكين أو عظم أو حجر يذبّ به رجل عن نفسه. »
فوثبوا عليه وأوثقوه كتافاً فقبل له: مدّ عنقك قال:
« ما أنا بسخيّ بها ولا معينكم على نفسي! »
فضربه رشيد مولى لابن زياد تركي فلم تعمل فيه فقال هاني:
« الى الله المعاد، اللهم الى رحمتك ورضوانك. »
ثم ضربه أخرى فقتله.

وهذا العبد رآه عبدالرحمن بن حصين المرادي مع ابن زياد في وقعة « الخازر » فثار بهاني وحمل عليه بالرمح فقتله^(١٨).

(١٧) تظلم الزهراء ص ٢٦٨.

(١٨) الطبري ج ٦ ص ٢١٤.

بعد الشهادة

غير خاف أن الغاية العقلية من الحرب والقتل، محصورة بكف ضرر الموّدى به، واتّقاء شرّه، والتقصير من مدى تأهّبّه لا يذاء المقاتل، ونصب العراقيل دون مسعاه، فمتى غلب عليه بازهاق نفسه أمن القاتل من بلواه، واطمأن مما كان يحذر منه، وحينئذ تكون الزيادة على القتل بالهتك والمثلة، خروج عن ناموس المروءة والعاطفة البشرية، ولا يأتي به إلا من كان دينيّ الأصل لثيم العنصر؛ لأن الضرورات تقدّر بقدرها ولا شيء أوفى لقمع الخطر والضرر من القتل، إذا فالزيادة مذمومة عند العقلاء، مبعوضة عند الشارع حتى في الحيوانات، ففي حديث النبي ﷺ:

« إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور »

بل جاء النبي عن ضرب وجه الدابة لكون الزجر يحصل بما دونه. ولذلك لم يذكر أحد من المؤرخين أن النبي في مغزبه مثل المشركين ولما تمكّن أميرالمؤمنين عليّ من عمرو بن عبدود لم يمثّل به كما لم يسلبه مع ما عليه من الكفر والإلحاد، وفي وصيته للحسن عليّ لما ضربه ابن ملجم:

« ولئن قتلت فضربة مكان ضربة، ولئن عفوت فأنت ولي الدم، ولا تمثّلنّ

بالرجل؛ فيأني سمعت رسول الله يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور! »

هذه وصايا الشريعة المطهرة باحترام الميت ولكن هل من مسلم يفقه هذه الدرر

(١) كتاب سليم الهلاليّ.

الثمينة. والعجب ممن يتسّم منبر الدعوة الإلهية ثم يمشي مترددا في حنادس الظلم ما شاء له الهوى، ولا عجب من الامويين وعمالهم إذا خالفوا قوانين الإسلام، فإنهم متى أسلموا ليهتدوا، وإنما استسلموا فرقا من البوار أو تحكما في الأموال والنفوس.

وليس بالغريب إذا أمر ابن زياد بسحب مسلم وهاني من أرجلهما في الأسواق^(٢)، ثم صلبهما في الكناسة منكوسين^(٣)، وأنفذ الرأسين الى يزيد بن معاوية مع هاني بن أبي حية الوداعي والزبير بن الأروح التميمي وكتب معهما:

أما بعد فالحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه، وكفاه مؤنة عدوه وأخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن مسلم بن عقيل لجأ الى دار هاني بن عروة المرادي، وإني جعلت عليهم العيون ودستت اليهما الرجال، وكدتكما حتى استخرجتكما، وأمكن الله منهما، فقدّمتهما وضربت عنقيهما، وبعثت اليك برأسيهما مع هاني بن أبي حية الوداعي، والزبير بن الأروح التميمي، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة، فليسألهما أمير المؤمنين عما أحب من أمر فإن عندهما علما وصدقا وفهما وورعا، والسلام.

فكتب اليه يزيد:

أما بعد فإنك لم تعد أن كنت كما أحب عملت عمل الحازم، وصُلت صولة الشجاع الرابط الجأش، فقد أغنيت وكفيت وصدقت ظني بك ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك فسألتهما وناجيتهما، فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت، فاستوص بهما خيرا، وانه قد بلغني أن الحسين بن علي قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح واحترس على الظن وخذ على التهمة غير أن لا تقتل إلا من قاتلك، واكتب إليّ في كل ما يحدث من الخبر، والسلام عليك^(٤).

ثم أمر يزيد بالرأسين فنصبهما في درب من دروب دمشق^(٥).

(٢) المنتخب للطريحي.

(٣) ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٢١٢.

(٤) الطبري ج ٦ ص ٢١٤.

(٥) مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٢١٢.

تاريخ الشهادة

الأقوال في يوم شهادة مسلم ﷺ على ثلاثة:

(الأول) يوم الثالث من ذي الحجة سنة ستين؛ نص عليه أبو حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال ص ٢٤٢، ويظهر من ابن طاووس الموافقة له فإنه قال في اللهوف ص ٣٣ طبعة صيدا: توجه الحسين من مكة يوم الثلاثاء لثلاث مضين من ذي الحجة، وقال بعد ذلك: كان خروجه من مكة في اليوم الذي قتل فيه مسلم.

(الثاني) يوم الثامن من ذي الحجة؛ قال بن الوطواط في غرر الخصاص ص ٢١٠ وهو الظاهر من تذكرة الخواص ص ١٣٩ وتاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٩٠ قالا: قتل مسلم لثمان مضين من ذي الحجة، وتذكير العدد يراد منه الليلة لنص أهل العربية أن العدد يذكر مع المؤنث ويؤنث مع المذكّر.

(الثالث) يوم عرفة؛ نص عليه المفيد في الإرشاد، والكفعمي في المصباح، والمجلسي في مزار البحار ص ٩٩ وهو الظاهر من ابن نما في مثير الأحزان، وتاريخ الطبري ج ٦ ص ٢١٥، ومروج الذهب ج ٢ ص ٩٠. قالوا: وكان ظهور مسلم بالكوفة يوم الثامن من ذي الحجة والمفروض أنه قُتل في ثاني يوم خروجه.

وحكى المسعودي قولاً في مروج الذهب أنه خرج يوم التاسع من ذي الحجة وإذا كان قتله في ثاني يوم خروجه تكون شهادته يوم الأضحى.

وعلى كل فمدة بقائه بالكوفة أربع وستين يوماً تقريباً، لأنه كما مر عليك دخل الكوفة في الخامس من شهر الشوال.

المرقد الأخير

لقد عرف الناس مسلم بن عقيل عليه السلام في بيته وحسبه ومروءته وفضائله منذ عهد الصبا الى أن بلغ مبالغ الرجال المحنّكين، وقد وعوا كلمة الحسين عليه السلام في صكّ ولايته لكن ابن مرجانة من جراء ما تردى به من لؤم العنصر، وخبث المنبت، ودعارة الطبع حسب أنه سوف يحط شيئا من كرامته الصوريّة عساه يتوصل به الى تحطيم مبدئه، وإخماد ذكره، فأمر بمسلم وهاني بعد القتل أن يُسحبا من أرجلهما في الأسواق والجواد قضية لؤم الغلبة ودناءة المحتد، وبعد أن بلغ الغاية فيما حسب، أمر بدفنهما بالقرب من « دار الإمارة » لتستمر رقابة الشرطة عليهما فلا يقصدهما أحد بالزيارة، ولا يحضر هناك مؤبّن لهما ولا تلم بهما النوادب لأنه يعلم أن الكوفة بطبعها الأولى علويّة الرأي على العكس من البصرة والشام فإن الاولى عثمانية والثانية أموية.

والكوفة وان تأثرت بالسياسات الزمنية لكنها في نفس الحالة قد تراجعها نفسها بمرتكزاتها الاولية فيعروها الندم فتتحول تلکم الهواجس ندبا وتأيينا ويتسبب منهما فك عرى الطاعة للسلطان، ويعود القبول فيما ارتكبه « الوالي » هياجا في الأفتدة وحراب وجلادا فينتقض فتله ويتلاشى كل ما دبره من إطفاء النائرة والحصول على الغاية. ولقد خاب الدعي وفشل لئن أخذ فورة مسلم أو قل ونهضة سيد الشهداء فيما زعم ذلك اليوم ولم يقف في وجه المنكر الذي ارتكبه أيّ أحد غير العقيلة زينب وبنات أميرالمؤمنين عليه السلام فلقد وافاه المستقبل بما كشف عن بوارده وبوار من دعا اليه من

طواغيت الشام يوم قام التوابون في وجهه، ويوم وثبة غلام ثقيف الذي أخبر سيد الشهداء يوم الطف عنه إذ قال: « وكأني بغلام ثقيف يستقيكم كأسا مصبرة » فأجهزت عليه ضربة ابن الأشتر وألحقته بأميته الذي دعا إليه.

وان ما ذكرناه من الهاجسة التي حسب لها الوالي حسابه ولها وضع القبرين بالقرب من قصره شيء مطرد عنه الولاية والحكام فإنهم لا يدعون أحدا يقرب ممن نكّلوا بهم إذا كان لهم شأن بين الأمة حذرا من تأثر النفوس واحتدام القلوب بتذكّر ما جرى عليهم فتثور العواطف وتصبح الحالة مضطربة من جميع جهاتها.

ويشهد لذلك حديث الحسين بن بنت أبي حمزة الشمالي فإنه يعطينا صورة واضحة عما عليه الأمويون من الجدل في منع الناس من اتيان قبر الحسين، ولو لم يكن السبب الوحيد ما أشرنا إليه من خوف الأمراء من اضطراب الحالة عليهم وهياج الأمة عندما يتذكرون الفواحج الجارية عليه وإلا فأين الحسين وابن خلافة المروانيين.

قال الحسين:

خرجت في آخر دولة بني مروان الى زيارة الحسين عليه السلام مستخفيا من أهل الشام ولما وصلت كربلاء وأردت الدخول على القبر خرج إليّ رجل ومنعني منه فقلت: يا هذا لا تحل بيبي وبين القبر فغني أخاف إذا طلع الصبح يقتلوني أهل الشام فقال الرجل: ان موسى بن عمران استأذن ربه في سبعين ألفا من الملائكة لزيارة الحسين فهم من أول الليل الى طلوع الفجر، وبعد الفجر جئت الى الزيارة فلم أر أحدا ^(١).

وجاء دور الرشيد فزاد على ما عليه المروانيون فإنه قطع السدرة التي هي عند قبر الحسين والزوار يستظلون تحتها وقد لعن النبي قاطع السدرة ثلاث مرات، فلم يفهم الناس معنى الحديث الى أن قطعها الرشيد ^(٢).

وحديث المتوكل العباسي متواتر عند المؤرخين فقد وضع المسالح لذلك وفي سنة ٢٤٧ أرسل قائدا ومعه جند لمنع الناس من اتيان قبر الحسين فرأى خلقا مجتمعين عنده و

(١) كامل الزيارة ص ١١١.

(٢) أمالي ابن الشيخ الطوسي.

لهم سوق كبير فنأدى: برئت الذمة ممن بقى هنا؛ فتفرق الناس، وفي هذه السنة أأرى الماء على القبر لأطفاء نور الله وأبى الله إلا أن يتم نوره، فحار الماء واستدار على قبل المنحور على مجزرة الدعوة الإلهية ممنوعاً من الورد.

وهذا كله حذراً على الدست الذي اغتصبوه من آل رسول الله، فإنهم علموا أن ذلك الاجتماع يوجب التعريف بمبدأ الحسين وسلفه أما بكلمة تلقى أو قريض يرتل، أو انشودة يصدق بها، أو نوادب تجيش الأفئدة وتستفزّ الحلوم، وفي خلال ذلك يعرف فضل العترة الطاهرة، ووصايا الرسول بهم وأوامره بالأخذ بحجزهم، والتنديد بظالمهم، والبراءة منهم، فيعتكر حينئذ صفو الخلفاء، ويقلقجوهم الهادئ وربما تكلفهم الحالة مقاسات معارك دامية. هكذا صوّرت لهم أحلامهم وما صوّرت إلا حقيقة ناصعة كفلق الصباح فمعنوا الناس من المثل في « مجزرة الحقائق » ومشهد الطف.

لكن شيعة الحسين من ناحية تحفظهم على المبدأ القويم، وتهالكم في القيام بوصايا النبي بآله الأظهرين، وظنوا أنفسهم على كل ما يجري عليهم من القتل، وقطع الأيدي، الارهاب دون مقصدهم الرأقي، وضالته المنشودة، فلم يتركوا المثل عند المرقد الأقدس. وقد روى الشيخ الطوسي في « الأمالي »: ان في سنة ٢٣٧ أنفذ المتوكل قائداً من قواده، ومعه جند يمنع الزائرين، فرأى خلقاً كثيراً، وثار اليه الناس وقالوا: لو قتلنا بأجمعنا لما أمسك من بقى منا زيارته، فكتب بذلك الى المتوكل فأمره بالكف عنهم مخافة أن يتسبب ما لا يحمد عقباه.

ثم أن الشيعة لم يقتصروا على أداء حق الحسين في الزيارة فقط، بل طفقوا يعقدون الأندية والمحتشدات سرية وعلنية حسب مقتضيات الظروف والأحوال لتذكّر ما جرى على آل الرسالة من القساوة الشائنة فلاقوا من أعدائهم القتل والنهب والحرق، فلم يباليوا بكل ذلك حتى تسنى لهم الحصول على طلبتهم من تدمير صروح النعرة الأموية في شتى الوسائل. ثم لاتزال الشيعة يكثر عددها، ويقوى أمرها حتى جاء منهم ملوك ووزراء وولادة وعلماء مجاهدون، فتفننوا في توسيع دائرة الذكريات الى حفلات تعقد في الأفراح والأحزان، ومواكب تجول في الطرقات فيها تمثيل تلك المأسات الدامية الى أن نمت بذرة

الحق فأثمرت الولاء الأكيد لأهل البيت وفي القلوب عداً محتدم للأمويين نسبا ومذهبا،
فنسيتهم الأمة إلا عند كل سبة، فكأن وعاء الدهر لم يقل منهم أحداً أو أنهم حديث أمس
الداير.

وهذا الذي ذكرناه في دفن مسلم وهابي حول القصر اعتبار لم يبعد عن الحقيقة،
ولسنا نعتمد عليه فقط في إتيان هذا المشهد المطهر، وإنما المستند الوحيد هو سيرة العلماء
والصلحاء، والشيعية عامة المتصلة بزمان المعصومين في المثول بهذا الموضع المقدس الذي لم تنزل
الكرامات تصدر ممن ثوى فيه، فلم يؤمّه مريض إلا عوفي ولا طالب حاجة إلا قضيت، ولا
تجرأ عليه متمرّد باليمين الكاذبة إلا عاد بالخيبة والخسران وهذه السيرة دليل قطعي في كل
مشهد ولولاها فأى مشهد يمكننا تعيينه من دون نقاش.

زوجاته وأولاده

تزوج مسلم عليه السلام رقية بنت أمير المؤمنين عليه السلام فولدت له عبدالله وعلياً ^(١)، ومحمد من أم ولد ^(٢)، وأما مسلم وعبدالعزیز لم يعین ابن قتیبة أمهما، وله بنت اسمها حميدة أمها أم كلثوم الصغرى بنت أمير المؤمنين ^(٣)، وحيث لا يصح الجمع بن الاختين فلا بد من فراق احدهما أو موتها، وتزوج حميدة ابن عمها وابن خالتها عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب، وأمه زينب الصغرى بنت أمير المؤمنين، وكان شيخاً جليلاً محدثاً فقيهاً عدده الشيخ الطوسي من رجال الامام الصادق عليه السلام وحزم الترمذي بصدقه ووثاقته، وخرّج حديثه في جامعه، كما احتج به أحمد بن حنبل والبخاري وأبو داود وابن ماجه القزويني مات سنة ١٤٢ ^(٤) وولدت حميدة محمداً أعقب من خمسة القاسم وعقيل وعلي وطاهر وابراهيم ^(٥). فأولاد مسلم الذكور خمسة؛ عبدالله ومحمد استشهدا يوم الطف، وأثنان قتلا بالكوفة، ولم نقف على شيء من أمر الخامس.

وكان من حديث المقتولين بالكوفة ما يحدث به الشيخ الصدوق عن رجاله قال: اسر طفلان من عسكر الحسين، فجيء بهما الى ابن زياد، فدفعهما الى رجل، وأوصاه

(١) المعارف ص ٨٨.

(٢) مقاتل أبي الفرج ص ٣٧ ط ايران.

(٣) عمدة الطالب ص ١٦ ط نجف.

(٤) تهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٥.

(٥) عمدة الطالب ص ١٧.

بالتضييق عليهما حتى في الطعام والشراب، فمكثا في الحبس سنة فقال أحدهما للآخر: لقد طال الحبس بنا ويوشك أن تفتى أعمارنا، فاذا جاء الشيخ، فأعلمه بمكاننا من رسول الله لعله يوسّع علينا.

ولما جاء الرجل سألاه هل تعرف محمد بن عبد الله؟ قال: هو نبيي. ثم سألاه عن جعفر الطيار، قال: إنه الذي أنبت الله له جناحين يطير بهما مع الملائكة. فسألاه عن علي بن أبي طالب، قال: إنه ابن عم رسول الله.

فقالا له: نحن من عترة رسول الله نبيك، ومن أولاد مسلم بن عقيل وقد ضيّقت علينا حتى في الطعام والشراب.

فانكبّ الرجل عليهما يقبلهما، ويعتذر من التقصير معهما مع ما لهما من المنزلة من رسول الله، ثم قال لهما: اذا جنّ الليل أفتح لكما باب السجن، وخذا أيّ طريق شئتما، ولما أن جاء الليل أخرجهما وقال: سيرا في الليل، واكمنا في النهار حتى يجعل الله لكما من أمره فرجا.

فهرب الغلامان، ولما أن جن عليهما الليل انتهيا الى عجوز كانت واقفة على باب دارها تنتظر خنتا لها، فوقفا عليها وعرفاها بأخما غريبان من عترة رسول الله لا يهتديان الى الطريق واستضافاها سواد هذه الليلة.

فأدخلتهما البيت وقدمت لهما الطعام والشراب فأكلام وشربا وباتا راجيين للسلامة، واعتنق أحدهما الآخر وناما، وفي تلك الليلة أقبل ختن العجوز وقد أجهده الطلب للغلامين وقص على العجوز هرب الغلامين من سجن ابن زياد، وانه نادى عسكره من أتاه برأسيهما فله ألفا درهم.

فحدّثته العجوز من العذاب الأليم، ومخاصمة جدّهما محمد، وأنه لافائدة في دنيا ولا آخرة معها، فارتاب الرجل من هذا الوعظ، وظن الغلامين عندها، ولما ألح على أن تخبره بما عندها وهي كاتمة عليه أمرهما أخذ يفحص البيت عنهما فوجدهما نائمين، فقال لهما: من أنتما؟ قالوا: إن صدقناك فلنا الأمان؟ قال: نعم، فأخذنا عليه أمان الله وأمان رسوله ثم جعلنا الله عليه شهيدا ووكيلا فأوقفاه على حالهما.

وعند الصباح أمر غلاما له أسود أن يأخذهما الى شاطئ الفرات ويذبحهما ويأتيه برأسيهما.

فلما أخذهما الغلام قالوا له: يا أسود ما أشبه سوادك بسواد بلال مؤذن رسول

الله أتقتلنا ونحن عترة نبيك، وقصّا عليه قصّتهما في السجن وما لاقياه من النصب حتى أضافتهما العجوز.

فرّق الغلام لهما واعتذر منهما ورمى السيف وألقى نفسه في الفرات وعبر الى الجانب الآخر فصاح به مولاه: عصيتني؟ فأجابه: أنا في طاعتك ما دمت لا تعصي الله فاذا عصيت الله فأنا بريء منك.

فلم يتعظ الرجل ولا رقت لهما بل دعا ابنه وقال له: إنما أجمع الدنيا حلالها وحرامها لك، والدنيا محرض عليها فاضرب عنقي الغلامين لأحضى برأسيهما عند ابن زياد، ولما وقف عليهما الولد قال له: يا شاب أما تخاف على شبابك من نار جهنم ونحن عترة رسول الله محمد. فرّق الولد لهما وفعل مثل العبد.

فقال الرجل: أنا أتولى ذبحكما، فقالا له الغلامان: إن كنت تريد الال فانطلق الى السوق وبعنا ولا تكن ممن يخاصمك محمد في عترته، فما ارعوى عن غيئة، قال له: انطلق بنا الى ابن زياد ليرى فينا رأيه، فأبى. قالوا: ألم ترع حرمة رسول الله في آله، فأنكر قرابتهما من النبي، فاستعطفاه لصغر سنهما فلم يرق قلبه.

فطلبوا منه أن يصليا لربهما سبحانه فقال: صليا إن نفعتكما الصلاة، وبعد أن فرغا رفعا أيديهما الى الله سبحانه وهما يقولان: يا حي يا حلیم يا أحکم الحاكمين إحکم بيننا وبينه بالحق.

فقدّم الأكبر وذبحه فتمرّغ الأصغر بدمه وقال: هكذا ألقى رسول الله وأنا مخضّب بدم أخي، ثم ضرب عنقه ورمى بيدئهما في الفرات وأقبل بالرأسين الى ابن زياد وقصّ عليه ما شاهده منهما.

فاستجاب الله تعالى دعاءهما وحرمه الدنيا والآخرة إذ قال ابن زياد له: إن أحكم الحاكمين حكم بقتلك، وأمر به فأخذ الى الموضع الذي قتل فيه الغلامين فضربت عنقه ونصب رأسه على قناة والصبيان يرمونه بالحجارة ويقولون: هذا قاتل ذرية رسول الله^(٤).

وحكى في رياض الأحزان ص ٣ عن المناقب أنهما من ولد جعفر الطيار اسم أحدهما محمد والآخر ابراهيم.

(٦) أمالي الصدوق ص ٥١ مجلس ١٩.

وأنّ السيرة بين الشيعة على المثل بمشهدهما الواقع بالقرب من « المسيب » تفيد القطع به، وبناء على ما أفادته الرواية من القاء بدنهما في الفرات يكون هذا الموضع أما محل القتل وأما انهما دفننا هناك.

والتأمل في الرواية يفيد بأنهما لم يأتيا دار العجوز في الليلة التي هربا فيها من السجن، فإن غاية ما تنص عليه أن ختن العجوز قال لها: ان ابن زياد نادى في عسكره يهرب الغلامين، وجعل لمن أتاه برأسيهما ألفي درهم، وقطعا لم يعلم ابن زياد يهربهما في تلك الليلة فلا بد أن يكون في صاحبها، كما لم يعلم مجيء ختن العجوز الى الدار هل هو في الليلة الثانية أو بعدها لأنه كان بصدد التفتيش عنهما، فالتشكيك في الرواية من جهة بعد الموضع الذي قتلا فيه عن الكوفة التي هي محل حبسهما إنما يتجه لو فرض قبض الرجل عليهما في الليلة التي هربا فيها، وأما احتمال عثوره عليهما فيما بعدها بأكثر فلا.

ثم أن الرواية لم تنص أيضا على كون الحبس في نفس البلد فاحتمال بعض العلماء على أن يكون ابن زياد دفعهما الى الرجل على أن يحبسهما ولو في بيته الخارج عن الكوفة وأنه لم يكن بعيدا عن موضع قتلهما بكثير متجه.

ولو انا ماشينا من ينكر هذه الرواية لبعض الاحتمالات فلا نوافقه على الإلتزام ببطلان نسبة هذا المشهد الى ولدي مسلم عليه السلام، فإن سيرة الشيعة، والشهرة بينهم تحقق كون المشهد المعروف لولدي مسلم على الاجمال ولم يحصل الشك في أدوارهم اتباعا للخلف على طريقة السلف حتى كثرت زرافات الزائرين لهما تقريبا الى الله تعالى مع النذور المهداة إليهما، والعمارة المتجددة حول القبرين على نحو غير واحد من المشاهد المحقق ثبوتها، وكل هذا بمشهد من العلماء فلا يعتنى حينئذ بمن تأخذه الوسوسة الى مناحي ممقوتة كما هو شأنه في جملة من المظاهر والمشاعر.

الاحتفال بأمر مسلم

إنّ الاشارة بذكر عظماء الرجال مما جرى عليه العقلاء شكرا لجميلهم الذي أسدوه الى الأمة وتنشيطا لمن بعدهم وتشويقا لهم على أن ينهضوا بمثل أعمالهم، وحتى يكون ذلك فاتحة لنشر تعاليمهم، وتلقي علومهم، واقتفاء آثارهم في الأخلاق والحكمة والتذكير بمبادئهم الملائمة للإصلاح، وتوطيد السلام والوئام، وما فيه جمام النفس وهدوء المجتمع، وسعادة البشر دنيا وآخرة.

ولو علم الناس ما في الأخذ بالتعاليم الأحمديّة، وأن الاحتذاء على أثر آل محمد يعود عليهم بالزلفى المباركة لسروا اليهم، وانسابوا الى ساحتهم ولو حبواً على الركب فإن عندهم المثل العليا، والحكم البالغة، والغرائز الكريمة والتعاليم الكافلة لرقى الجامعة الإسلامية، وتهديب أفراد المجتمع الحافظ لها عن الملائمة والتقهقر، ولعادت أمة الإسلام أرقى الأمم، وأطولها باعاً، وأبسطها يداً، غير أن حسنة الطباع، وقصر النظر وضؤولة التفكير وقفت بهم عن السعادة في الحياة.

وغير خفيّ أن داعية الحسين مسلم بن عقيل من أولئك الرجال الذين يجيب أن يخلّد ذكرهم ويقتصّ أثرهم فهو صريخة هاشم، وسريّة من سروات المجد من آل محمد، وقد استصلحه سيد الشهداء للنيابة عنه في الكوفة ثقة منه بعلمه وتقواه وعقله وبسالته وكرمه، فأقبل عليه ناشراً لواء العدل ليكتسح الجور ويكبح جماح الضلال بيد أن نزعات الباطل حالت دون إقامته الأمت وتثقيفه الإود، فاستشهد دون إكمال رسالته، ولكنه خلف من بعده هتافاً عالياً يسمع الصخر الأصم، وعقيرته مرتفعة بين لابتى العالم تعيها إذن واعية بأن الحق في دعوة سيد الشهداء، وأن الباطل فيمن ناوأه،

وانّ مبدأ صحيحا كهذا يجب أن يضحى دونه النفس والنفيس، ويرخص في سبيله ذلك الدم الغالي الزاكي « دم مسلم بن عقيل » ومن يحذو حذوه من المجاهدين أعضاء الحفاظ الديني وراود الصالح المدني.

المآثم:

فمن الاحتفال بأمره الكاشف عن الخضوع لخطّته والمصافقة على ارتياد مبدئه عقد المآثم له، وتذكار ما تلفع به من مكارم الأخلاق، وما جرى عليه من الكوارث على حد فضله الكثار، وقد قابل تلكم المحن بالصبر والثبات فلم يعط سرىّ هاشم وليث أبي طالب المقادة عن ذلة، ولا نكص على عقبه فرقا، ولم يفتأ مكافحا كما شاء له الحفاظ حتى أمسى رافلا بحلة الشهادة بين ذلك الجليل القدسي الزاهر.

فعلى مثل مسلم فليبك الباكون، وليضحّ الضاحون، كيف لا وقد بكى عليه الرسول الأعظم ﷺ قبل أن يُقتل وعد البكاء عليه من علائم الإيمان كما في حديث ابن عباس:

انّ أمير المؤمنين عليا عليه السلام قال لرسول الله: « أتحب عقيلاً؟ » قال:

« اي والله أحبه حبين حبا له وحبا لحب أبي طالب له، وإن ولده لمقتول

في محبة ولدك تدمع عليه عيون المؤمنين وتصلي عليه الملائكة المقربون »

ثم بكى رسول الله وقال: « الى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي ^(١) ». »

وهذا النص كاف في رجحان البكاء عليه لمن يتطلبه بالخصوص فإن إخبار النبي عن

بكاء المؤمنين عليه وارد لبيان كونه محبوبا له لأنه ربّته على شهادة مسلم المسببة عن محبة

الحسين، ثم قرن البكاء بصلاة الملائكة المقربين، وهل يصح القول بأن صلاة الملائكة عليه

غير محبوبة لله سبحانه؟ فإذا بكاء المؤمنين وصلاة الملائكة على مسلم المترّتان على شهادته

مما يرغب فيه الرسول وهو محبوب لله سبحانه.

ولفظ الحديث وان لم يذكر فيه مسلم صريحا لكننا نعلمه من أفراد لفظ القتل في قوله

« وان ولده لمقتول » ولو كان يريد أولاد أجمع لقال: « وان ولده لمقتولون » ثم

(١) المجالس، مجلس ٢٧ ص ٢٧.

تعقيبه بالضمائر المفردة شاهد آخر.

على أن النبي بكى عليه قبل شهادته وبكاؤه حجة في الرجحان ولو لم يقترن براجح آخر، فكيف وقد قرنه بالشكوى الى الله تعالى مما تلقاه عترته من بعده.

ثم أن الأحاديث العامة في البكاء لمن تذكّر مصابهم وما جرى عليهم من الظلم كافية في رجحان البكاء عليه؛ ففي بعضها عن الصادق عليه السلام:

« من دمعت عينه فينا دمعة لدم سُفك لنا أو حق لنا نقصناه، أو عرض

انتهك منا أو لأحد من شيعتنا بؤاه الله بما في الجنة حقبا. »

ويقول لفضيل:

« من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له

«

وفي حديث الأربعمائة أن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

« إن الله تعالى اطلع الى الأرض فاختارنا واختار لنا شيعة ينصروننا،

ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، يبذلون أموالهم وأنفسهم فينا أولئك منا

والينا. »

ومن هذا العموم نستفيد رجحان البكاء على أولاد المعصومين أيضا ممن كانت نهضته

وهتافه بين الأمة لإحياء أمر الأئمة والدعوة اليهم حتى جرى عليهم من الظلم بازهاق

النفوس والتكليل بالحبوس ما تسيخ له الجبال. فاستدرار الدموع لمظلومية هؤلاء المتسببة عن

مظلومية أهل البيت يكون مشمولا لهذه الأحاديث قطعاً.

الزيارة:

ومن الإحتفال بأمر مسلم عليه السلام قصد مشهده بالزيارة خصوصا يوم مقتله وهو التاسع

من ذي الحجة وتلاوة ألفاظ الزيارة المأثورة التي نص عليها العلماء الثقات كابن المشهدي

الذي هو من أعيان القرن السادس، والشريف النقيب رضي الدين ابن طاووس الذي هو من

أعيان القرن السابع. فقد ذكر الأول في « المزار الكبير » والثاني في « مصباح الزائر » اذنا

للدخول في الحرم المطهر وأوله:

« الحمد لله الملك الحق المبين، المتصاغر لعظمته جبايرة الطاغين،

المعترف برؤيته جميع أهل السموات والأرضين، المقر بتوحيده سائر

الخلق أجمعين، وصلى الله على سيد الأنام وأهل بيته الكرام صلاة تقرّبهما
أعينهم، ويرغم بها أنف شانتهم من الإنس والجن أجمعين.
سلام الله العلي العظيم، وسلام ملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين،
وأئمة المنتجبين، وعباده الصالحين، وجميع الشهداء والصدّيقين والزاكيات
الطيبات فيما تغتدي وتروح عليك يا مسلم بن عقيل بن أبي طالب، -
الى قوله - : قتل الله أمة قتلتكم بالأيدي والألسن.

وأما الزيارة في داخل الحرم فأولها:

السلام عليك أيها العبد الصالح، المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن
والحسين عليهما السلام، الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله، -
الى قوله - : فجمع الله بيننا وبين رسوله وأوليائه في منازل المحبتين فإنه
أرحم الراحمين.

وبعد الفراغ من الزيارة يصلي ركعتين ويهديهما له. ويقول بعد الفراغ منهما:

اللهم صل على محمد وآل محمد، ولا تدع لي ذنبا إلا غفرته - الى قوله -
: إلا قضيتها يا أرحم الراحمين.

وعند وداعه يقف على القبر ويقول:

أستودعك الله وأستريحك، وأقرأ عليك السلام - الى قوله - : فيأني قد
رضيت بذلك يا رب العالمين.

وقد اتفق هذان العالمان على هذه الآداب والسنن في مزاريهما اللذين لم يزالا
مخطوطين حتى اليوم، إلا في إبتداء سلام الإذن فقد ابتدأ ابن المشهدي من قوله: سلام الله
العلي العظيم وسلام ملائكته المقربين.

ومن أراد الوقوف عليهما فلينظر مزار البحار للمجلسي - أعلا الله مقامه - فقد
طابقنا « المزارين » مع ما نقله عنهما فلم يكن فيه تغيير ^(٢).

وإن في ذلك من التّنوية بمقامه الرفيع وموقفه الشامخ وفضله الجم، ومصائبه المؤلمة ما
يلين الأفئدة ويستدرّ الدموع، ويوصل إلى ما وصفناه من الغايات الكريمة، وظاهر تلكم
الآداب والسنن كونها مأثورة لأن سردها مرتبة كما في زيارات المعصومين عليهم السلام لا يمكن
صدوره من علماء الدين بلا تخريج عن الأئمة بحيث يكون

(٢) تقدم في العنوان المتعلق بمآني بن عروة ما ذكره من الزيارة المتعلقة به والصلاة بعدها.

الداعي الى ترتيب تلك الآداب محض الإستحسان والمناسبة، لأن في الإقدام على هذا بعنوان أنه من الشريعة يستلزم الوقوع في ورطة البدعة التي لا تقال عثرتها، وحاشا علماء المذهب الصحيح ارتكاب ما لم يرد من الشرع؛ كيف وهم يقرؤون ليلهم ونهارهم قول الرسول ﷺ:

« كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. »

ومما يشهد لذلك أن الشيخ الكليني يقول في خطبة كتاب « الكافي »: « قلت أنك تحب أن يكون عندك كتاب كاف يجمع جميع فنون الدين بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليه السلام، والسنن القائمة التي عليها العمل وبها يؤدّي فرض الله وسنة نبيه، وقد يسر الله وله الحمد تأليف ما سألت. »

وقال الشيخ الصدوق في أول « من لا يحضره الفقيه »: « إني لم أقصد قصد المصنفين في ايراد جميع ما رووه بل قصدت الى ايراد ما أفنى به، وأحكم بصحته، وأعتقد أنه حجة فيما بيني وبين ربي تقدس ذكره، وجميع ما فيه مستخرج من كتب مشهورة عليها المعول وإليها المرجع. »

وقال ابن المشهدي في أول « المزار الكبير »: « إني جمعت في كتابي هذا من فنون الزيارات للمشاهدة، وما ورد من الترغيب في المساجد المباركة والأدعية المختارة، وما يدعى به عقيب الصلوات، وما يناجى به القلم تعالى من لذيذ الدعوات، وما يلجأ اليه من الأدعية عند المهمات مما اتصلت به من ثقات الرواة الى السادات الأطهار عليه السلام. »

وقال الشريف النقيب ابن طاووس في آخر « مصباح الزائر »: « ان ما وقع اختياره عليه في الكتاب وصل على الوجه الذي استحسنته وأعتمد عليه من جهة الرواية. »

وان ما ذكرناه في ترجمة الشريف المطبوعة في كتابه « الملاحم » تفيد القارئ معرفة بجلالته وسعة اطلاعه ومقامه عند العلماء، واما ابن المشهدي فهو أبو عبدالله محمد ابن جعفر بن جعفر المشهدي الحائري، ووصفه بهما صاحب المعالم في إجازته الكبيرة، كان - أعلا الله مقامه - جليلا في الطائفة، متبحرا في أخبار أهل البيت، واسع الرواية، عظيم المنزلة بين العلماء، متكرر الذكر في الإجازات. »

روى عن جماعة يزيدون على اثنين وعشرين منهم يحيى بن البطريق، والشيخ

ورّام صاحب « تنبيه الخاطر »، وهبة الله بن نما الحلبي، والسيد عز الدين ابن زهرة، وشاذان بن جبرئيل القمي الى غيرهم.

وروى عنه محمد بن جعفر بن هبة الله بن نما بن علي بن حمدون الحلبي المعروف بابن نما على الإطلاق، وذكر أن والده أجاز له أن يروي كتاب المقنعة للشيخ المفيد عنه، عن محمد بن جعفر بن المشهدي، وكان ابن المشهدي يقول: قرأتها ولم أبلغ العشرين على الشيخ أبي منصور محمد بن الحسن بن منصور النقاش الموصللي، وهو طاعن في السن وأخبره: أنه قرأها في أول عمره على الشريف النقيب المحمدي الموصللي وهو طاعن في السن، وأخبره: أنه قرأها في أول عمره على المصنف الشيخ المفيد - أعلا الله مقامه - .

ولم نقف على تحديد عمر ابن المشهديّ بالتحقيق غير أنه أرتخ سماعه في مجلس عماد الدين الطبري بسنة ثلاث وخمسين وخمسمائة في مشهد أمير المؤمنين، وإجازته من ابن الحمد النحوي في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، وقراءته على الشيخ عربي بن مسافر، وهبة الله بن نما بن علي بن حمد في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة في ربيع الأول فهو من علماء القرن السادس.

له كتاب المصباح وإيضاح المناسك والمزار الكبير الذي ينقل عنه السيد ابن طاووس في كتبه، والسيد عبدالكريم في « فرحة الغري »، وصاحب المزار القديم وهو من مصادر « بحار الأنوار » لشيخنا المجلسي - أعلا الله مقامه - .^(٣)

الشعر:

ومن الاحتفال بأمر مسلم ﷺ تأيينه بسرد مآثره وبث فوادحه لتكون خالدة مع الدهر يرتل سطور نفضته الجديدان، وتسير بها الركبان وتضمها طيات الكتب وصحائف الجوامع، وتشدو بها خطباء المنابر، وتصيخ إليها الأسماع، وتعيها إذن واعية، فتتأثر بها النفوس، وترق لها القلوب، وبها يكون الولاء لمسلم ﷺ مزيج روحية المألأ المستتبع لتحري مبادئه الصحيحة التي ضحى نفسه لانتشارها، وتمهيد الطريق اليها، وأول من وقفنا عليه مما رُثي به قول شاعره:

(٣) المستدرک للنوري ج ٣ ص ٣٦٥ و٤٧٧ وإجازة صاحب المعالم الكبيرة في البحار ج ٢٥ كتاب الإجازات.

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري
إلى بطل قد هشم السيف أنفه
أصابهما أمر الأمير فأصبحا
ترى جسدا قد غير الموت لونه
فتى هو أحيا من فتاة حيية
أيركب أسماء الهماليج آمنة
تطوف حوالبه مراد وكلهم
فإن أنتم لم تتأروا بأخيكم
إلى هانيء في السوق وابن عقيل
وأخر يهوي من طمار قتييل
أحاديث من يسري بكل سبيل
ونضح دم قد سال كل مسيل
وأقطع من ذي شفتين قتييل
وقد طلبته مذحج بذحول
على رقبة من سائل ومسول
فكونوا بغيا أرضيت بقليل

وهذه الأبيات نسبتها في رياض المصائب ص ٢٦٨ الى الفرزدق، وفي اللهوف ص ٣٢ صيدا، وكامل ابن الأثير ج ٤ ص ١٥ قيل: أنها للفرزدق، وزاد في اللهوف: أن بعضهم يراها لسليمان الحنفي، ونسبها الدينوري في الأخبار الطوال ص ٢٤٢ الى عبدالرحمن بن عبدالله الأسدي، وفي البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ١٥٧ نسبتها إلى الشاعر، وفي نقله أنها قصيدة ولكنه ذكر منها خمسة أبيات، وعند ابن الأثير في الكامل، وأبي الفرج في المقاتل، والشيخ المفيد، وابن نما: أنها لعبد الله بن الزبير الأسدي (٤).

ولكن في نص الأغاني ج ١٣ ص ٣١: أن عبدالله بن الزبير من شيعة بني أمية وذو الهوى فيهم والتعصب والنصرة على عدوهم، وأنه لايمالي أحدا عليهم ولا على عمالهم، وكان عبيدالله بن زياد يصله ويكرمه ويقضي ديونه وله فيه مدائح منها:

اليك عبيدالله تموى ركبنا
وقد ضمرت حتى كأن عيونها
فقلت لها لا تشتكي الأيمن أنه
إذا ذكروا فضل امرئ كان قبله
وإنك لو نشفي بك القرح لم يعد
تصافي عبيدالله والمجد صفوة
وأنت إلى الخبيرات أول سابق
تعمّف مجهول الفلاة وتداب
نطاف فلاة ماؤها متصّبب
أمامك قرم من أمية مصعب
ففضل عبيدالله أنرى وأطيب
وأنت على الأعداء ناب ومخلب
الحليفين ما أرسى ثبير ويشرب
فأبشر فقد أدركت ما كنت تطلب

(٤) في كامل ابن الأثير ج ٤ ص ١٥ الزبير بفتح الزاء المعجمة وكسر الباء الموحدة.

ويقول في مدح أسماء بن خارجة وكان يكرمه ويصله:

فمن مثل أسماء بن حصن اذا عدتْ
شأبيبه أم أي شـيء يعادلـه
وكنت إذا لاقيت منهم حطيطة
لقيت ابا حسان تندي أصائله
تضيّقه غسان يرحون سـيـبه
وذو يمن اجيوشـه ومقاولـه
فتى لا يزال الدهر ما عاش مخضبا
ولو كان بالموتان يجدي راحله
فأصبح ما في الأرض خلق علمته
من الناس إلا باغُ أسماء طائله
تراه اذا ماجتـه مهتللاً
كأنك تعطيه الذي أنت نائله
ولو لم يكن في كفه غير روحه
لجادَ بما قليتـه الله سائله
ترى الجند والأعراب يغشون بابـه
كما وردت ماء الكلاب نواهلـه
اذا ما أتوا أبوابه قال مرحباً
لجوا الباب حتى يقتل الجوع فائله
ترى البازل البختى فوق خوازمه
مقطعـه أعضـاؤه ومفاصلـه
إذا ما أتوا أسماء كان هو الذي
تحلبُ كفاؤه الندى وأنامله (٦)

وهل يستطيع أحد بعد مدائحه وعقيدته وتزعتة الأموية أن ينسب الأبيات إليه خصوصاً، وقد ذكر أبو الفرج أن أسماء بن خارجة له ذكر قبيح عند الشيعة يعدونه في قتلة الحسين، ومعاوناً لعبيدالله بن زياد على هاني بن عروة حتى قتله، ونصره على مسلم بن عقيل وذكر ذلك شاعرهم فقال (٧):

أيركب أسماء الهماليج آمننا
وقد طلبته مذحج بقتيل
فنسب هذا البيت وهو في جملة تلك الأبيات الى شاعر الشيعة وقد عرفت أن عبدالله بن الزبير أموي الرأي ومادحا ليزيد بن معاوية وليس من شيعة آل علي.

نعم، نسبة تلك الأبيات الى الفرزدق قريبة جداً لتشيّعه وموالاته الأكيدة لآل علي عليه السلام والذب عنهم وهجاء من عاداهم، وكونه حاجاً بأمه سنة ستين لا يدفع نسبتها إليه؛ إذ من القريب أنه أنشأها بعد رجوعه من الحج وقد بلغه فعل الدعي ابن مرجانة بعثرة الرسول ومن آواهم ولجى دعوتهم.

(٥) الجيشان لقب عبدالرحمن بن حجر بن ذي رعين واليه ينسب الجيشانيون والمقاول جمع مقول كثير يقال لملك اليمين أو ملوك حمير خاصة: القاموس وتاج العروس.

(٦) الأغاني ج ١٣ ص ٣٣ و ص ٣٧.

(٧) الأغاني ج ١٣ ص ٣٥.

وقد أكثر العلماء والأدباء باللغة الفصحى والعامية في التعريف بما لابن عقيل من نفسية قدسية، وما حواه من فضائل وفواضل أهله للنيابة الخاصة عن خليفة الله في أرضه، وما أبداه من بسالة حينما كشفت الحرب عن ساقها وكشرت عن نابها فقابل بمفرده أولئك الجماهير من أعدائه « في موقف لو به أرسى سهلان لزالا » حتى أكثر القتلى وضجت الكوفة بأهلها، وكان لهتافه المعرب عن ثباته وإيمانه دويًّا في أرجائها.

ومن بادر للفوز بالرضوان الأكبر سيد العلماء المحققين وقدوة الفقهاء الراسخين الآية

الكبرى السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي أعلا الله درجته ونور ضريحه، فقال (٨):

عـين جـودي لمـسلم بـن عـقـيل	لرسول الحسين سبط الرسول
لشـهيد بـين الأعدـادي وحـيد	وقتيـل لنصـر خـير قـتـيل
جـاد بـالنفس للحسـين فـجـودي	لجـواد بـنفسه مـقتـول
فقلـيل مـن مـسلم طـل دمع	لـدم بـعد مـسلم مـطلـول
أخـير الطهـر أنـه لقتـيل	في وداد الحسـين خـير سـليل
وعليـه العيـون تـسـبل دمعـا	هـو للمؤمـنين قصـد السـبيل
وبكـاه النبي شـجوا بـفيض	مـن جـوى صـدره عليـه هـطـول
قـائلًا: إنـي إلى الله أشـكو	مـا تـرى عـترتي عـقـيب رحـيلي
فابـك مـن قـد بكـاه أحمد شـجوا	قـبل مـيلاده بعهد طويـل
وبكـاه الحسـين والآل مـا	جاءتـهم نعيـة بدمعـهمـول
كـان يومـا على الحسـين عـظيـما	وعلى الآل أي يـوم مـهـول
مـنذرا بـالنـذي يـحل يـوم	بعده في الطفـوف قـبل الخـول
ويـح ناعـيه قـد أتى حيث يـرجى	أن يـجيء البشـير بالمـأمول
أبـدل الدهر بالبشـير نعيـا	هـكذا الدهر آفة مـن خـليل
فأحـثوا الركب للثـار لـكن	ثـاروه بـكل ثـار قـتـيل
فـيهم ولـئـده وولـد أبيـه	كـم لهم في الطفـوف مـن مـقتـول
خصـه المصـطفى بـحـب	مـن أبيـه لـه وحب أصـيل

(٨) القصيدة طويلة زادت على الثمانين بيتا تعرض فيها مدح هاني بن عروة وشهداء الطف، انتخب منها ما أثبتناه الفاضل السيد حسين ابن العلامة السيد محمد تقي آل بحر العلوم.

قال فيه الحسين أي مقال
ابن عمي أخي ومن أهل بيتي
فأتاهم وقد أتى أهل غدر
تركوه لدى الهياج وحيدا
لست أنساه إذ تسارع قوم
وأحاطوا به فكان نذيرا
صال كالليث ضاربا كل جمع
وإذا اشتد جمعهم شد فيهم
فترأى القوم منه كرع عليّ

وقال في الإعتذار عن أداء الحق:

يابن بنت النبي ان فات نصري
فلولائي دليـل إني قتيـل
بأذلا مهجتي وذاك قـلـل
مقـولي صـارم ولبـيس كـليـلا
وقصارى فيه جهـد مـقـل
ما إلى رزئـك الجـليـل سـبـيل
إن يكـن لي بكـل عـضـو لـسـان

كشـف السـتر عـن مـقـام جـليـل
ثقتي قد أتاكم ورسولي
بأيعوه وأسرعوا في النكول
لعدو مطالب سب بذحول
نحوه من طغاة كل قبيل
باقتحام الرجال وقمع الخيول
بشبا حد سيفه المسلول
بحسام بقـرعهم مـفـلـول
عمه في النزـال عـنـد النـزول

يوم طعن القنا ووقع النصول
فيك لو كنت بدء كل قتيـل
في وداد البتـول وابـن البـتـول
وهو في ذا المصاب جـد كـليـل
منك يرحـو قـبـول ذاك القـليـل
فإلى « مسلم » جعلت سـبـيل
ما وفي لي « بمسلم بن عقيل »

ولحجة الإسلام آية الله الشيخ عبدالحسين صادق العاملي المتوفى سنة ١٣٦١هـ

بالنبطية:

سل كوفـة الجـند مُـذ ما حـت قباـلها
غداة زلت عن الإسلام فاتكة
فقام وهو بليغ الوعظ يندرم
لم أنسه وهو نائي الهم حين سرى
عجلان اقلقل أحشاه البسيطة في

تسد ثغر الفضـا في سـيلها العـرم
« بمسلم » حين أضحى ثابت القدم
بالمرهفين غراري صـارم « وفـم »
من يثرب يملا البيداء بالهمم
إرقالة من بنات الأيتق الرسم

علم بأن أمام السير سفك دم
أفديته من قادم للموت مبتسم
أشتهى له من ورود الماء وهو ظمي
ضربا وكل بغير المثل لم يهـم
موت زؤام وحتف غير منحرم
غداة أطمعه أحشاء كل كمي
من الشهادة ما قد نُحطَّ بالقلم
أفديته من ميسم بالسيف ملتئم
غداة في جسمه وجه الصعيد رمي
جموعهم بشبا الهنديّة الخذم
عنه غبار النفاكف لذي رحم
تحكي محيّا مخصوبا بفيض دم
كلا ولا ندبته الأهل من أمم
متربّ الجسم من قرن إلى قدم
من الصوارم أمضى مرهف خذم
ولا القنا بعده خفاقة العلم

لآية الله الحجة الشيخ محمد حسين الاصفهاني المتوفي سنة ١٣٦١ بالنجف:

صل على علي محمد وآله
على الإمام من بني عقيل
وحاز أفضى رتب الشهادة
خص بفضل السبق بين الشهدا
قرة عين المجد والشهامة
فإنه فاتحة السعادة
وهو دليل القدس والطهارة
عن معدة العزة والجلالة
نائبه الخاص على العموم

طوع « ابن فاطمة » أم العراق على
جذلان نفس سرى والموت غايته
يرى المنية من دون ابن حيدر
هامت به البيض تقبيلاً وهام بها
فكم تحلب من أخلاف صارمه
وكم تلمظ بالأبطال أسمره
كبا به القدر الجاري وحنان له
فراح ملتئما بالسيف ميسمه
وحلقت نفسه للخلد صاعده
لله من مفرد أمست توزعه
أضحى تريب الخيا الطلق ما مسحت
ما الشمس في بهجة الإشراق ناصعة
ما شد لحية من عمرو العلى أحد
نائبي العشيرة منبوذ بمصرعه
من مبلغ السبط أن الدهر فلّ له
لا البيض من بعده حمر مناصلها

ياربي الحمود في فعاله
وصل بالإشراق والأصيل
أول فساد فزاز بالشهادة
أول رافع لراية الهدى
درة تاج الفضل والكرامة
غرة وجه الدهر في السعادة
كفاه فخرا منصب السفارة
كفاه فخرا شرف الرسالة
وهو أخ ابن عمه المظلوم

وعينه كانت به قريرة
لساناه الداعي الى الصواب
منطقه الناطق بالحقائق
له من العلوم ما يليق به
يمينه في القبض والبسط معا
فارس عدنان وليث غابجا
بل هو سيف السبط سيف الباري
أشرق كوفان بنور رحما
بايعه من أهلها ألوف
ثباته من بعد غدر الغدره
بل هو في وحدته وغرته
له من الشهامة الشمام
أيامه مشهودة معروفة
كم فارس غدا فريسة الأسد
وكم كمي حد سيفه قضى
وكم شجاع ذهببت قواه
شد عليهم شدة الليث الحرب
بل عين عمه العلي قدره
ذكر يوم « خير وخذق »
تكاثروا عليه وهو واحد
رموه بالنار من السطوح
حتى إذا أتحنن بالجراح
لم يظفروا عليه بالقتال
فسأقه القضا إلى « الحفرة »
أصبح « مسلم » أسير الكفرة
كان أميرا فغدا اسيرا
أدخل مكتوبا علي ابن العاهرة

حيث رآه نافذ البصيرة
بمحكم السنن والكتابات
فهو ممثل الكتاب الناطق
بمقتضى رتبته ومنصبه
فما أجل شأنه وأفعاله
وسيفها الصقيل في حراجهما
وليث غاب غاب عترة المختار
مذحل فيها رب أرياب النهى
والغدر منهم شائع معروف
ثبات عمه أمير البرة
كعمه في بأسه وسطوته
ما جاز حد المدح والثناء
يعرفها أبطال أهل الكوفة
كم بطول فارق روح الجسد
على حياته كمحتوم القضا
وذاب قلبه إذا رآه
قمرت عيون آل عبدالمطلب
إذ هو بالبارق أحسى « بدرا »
بصولة تبيد كل فيلق
لا ناصر له ولا مساعدا
لروحه الفداء كل روح
واشنتد ضعفه عن الكفاح
فاتخذوا طريق الإحتيال
أو ذروة القدس من الحفرة
تعسا وبؤسا للسام الغدره
كذلك شأن الدهر أن يجورا
عذبته الله بنار الآخرة

رماه باطلا بما يدمي الحشا
حتى اشتفى من به بضرب العنق
فانكسرت عظامه وأحزنا
بالجبل يبا للذلل والهوان
بالسحب في الأسواق بالحبال
أجل رزه « مسلم » وأعظما
إليه « مسلم » بقلب موجع
على عميد الملة البيضاء
على فقيد الشرف الأصيل
لما استحلوا منه واستباحوا
على فقيد المجد والفتوة
وحق أن يكي دماً لما به
وكيف لا وهو غريب الغربا
فيها من ثلثة ملة

للعامة الحجة السيد رضا الهندي المتوفى سنة ١٣٦٢^(٩):

لما أنصفت بالبكا « مسلما »
وأحزن تذكره « زمزما »
وأبكى المقام وأشجى الحمى
لها الأرض خاضعة والسما
لينقذهم من عشاء العمى
إلى السهل يستدرج الأعصما
أن ينقضوا عهد المبرما
لحكم الدعي فما استسلما
في دار « طوعة » مستسلما
عزناً أبي الليث أن يقمما

أسمعه سباً وشتما فاحشاً
وما اشتفى من مسلم بما لقي
وبعده رماه من أعلا البنا
وشدد رجلاه ورجلا هاني
فأصبحت ملعبة الأطفال
فلتبعه عين السما دما فما
وقد بكاه السب حينما نعي
فارتجت الأرجاء بالبكاء
واهتزَّ عرش الملك الجليل
وناحت العقول والأرواح
ضربت دموع خاتم النبوة
بكاه عمه على مصابه
بكي على غربته آل العبا
ناحت عليه أهل بيت العصمة

لو أن دموعي استهلت دما
قتيل أذاب الصفا رزوه
وأورى الحجون بنار الشجون
أتى أرض كوفان في دعوة
فلبوا دعاءه وأتموا هداه
وأعطوه من عهدهم ما يكاد
وما كان يحسب وهو الوفي
فديتكم من مفرد أسلموه
وأجلاه غدرهم أن يحلل
فمذا أقموا منه في دارها

(٩) من مجموعة الخطيب الأستاذ الشيخ مسلم الجابري.

أبـان لهم كيف يضري الشجاع
وكيف تمسب أسود الشورى
وكيف تفرق شهب البرزة
ولما رأوا بأسه لا يطباق
أطلوا على شرفات السطوح
ولولا خديعهم بالأمان
وكيف يحس بمكر الأثيم
لئن ينسني الدهر كل الخطوب
أتوقف بين يدي فاجر
ويشتم اسمك الطاهرين
وتقتل صبرا ولا طالب
وترمى إلى الأرض من شاهق
فإن يحطموا منك ركن الحطيم
فلمست سوى المسك يذكو شذاه
فإن تحل كوفان من نادب
فإن ضبا الطالبيين قد
زهى منهم النقع في أنجم

وللعامة السيد باقر نجل آية الله الحجة السيد محمد الهندي - قدس الله ترتهما -
أبياتا سبعة، وصدرها الخطيب الفاضل الشيخ قاسم الملا الحلبي بثلاثة عشر بيتا وذيلها بأربعة
أبيات، وأتمها العالم الشيخ محمد رضا الخزاعي بتسعة أبيات.

الشيخ قاسم الملا:

لحيكم مهجتي جانحة
واستنشق الريح إن نسمت
وكم لي على حيكم وقفة
تعاين أشباح تلك الوجوه
وكم ظييات بها قد رعث
ونحوكم مقلتي طامحة
فبالأنف من نشركم نافحة
وعيني في دمعا ساجحة
فلا برحت نحوكم شاجحة
بقيصوم قلبي غدت سارحة

تقصت وممن لي بهما لو تعود
وعدت غريباً بتلك الدير
كما عاد « مسلم » بين العدى
رسول حسين ونعم الرسول
لقد بايعوا رغبة منهم
وقد خذلوه وقد أسلموه
فيا ابن عقيل فدتك النفوس
لبيك لها بمذاب القلوب

السيد باقر الهندي رحمته الله:

بكتك دما يا ابن عم الحسين
ولا برحت لها طلات العيون
لأنك لم ترو من شرية
رموك من القصر إذ أوثقوك
وسحبا تجرّ بأسواقهم
أقضي ولم تبكك الباقيات
لئن تقضي نجبا فكم في زود

الشيخ قاسم الملا:

وكم طفلة لك قد أعولت
يعزها السبوط في حجره
فأوجعها قلبها لوعنة
تقول مضى عم ميّ أبي

فكيف وقد ذهب رائج
أرى صفقتي لم تكن رائج
غريباً وكابدها جائج
إيهم من العترة الصالحة
فيا بؤس للبيعة الكاشحة
وغدرتهم لم تنزل واضحة
لعظم رزيتك الفادحة
فما قدر أدمعنا المألحة

مدامع شيعتك السافحه
تحبيبتك غادية رائج
ثنايك فيها غدت طائحه
فهل سلمت فيك من جارحه
ألست أميرهم البارحه
أمال لك في المصر من نائحه
عليك العشية من صائحه

وجرتها في الحشا قادحة
لتغدو في قربه فارحة
وحسنت بنكيتها الفارحة
فمن ليتيمته النائحة (١٠)

١٠) الى هنا من كتاب « سوانح الأفكار في منتخب الأشعار » للخطيب الأستاذ السيد محمد جواد شير.

الشيخ محمد رضا الخزاعي (١١):

تُكول تبييت بليـل اللّسـيع
وكمـ من كـمـي بأحشائه
دريت ابن عمك يوم الطفوف
تحفُّ بهـ منهم فتيـة
بـكـاك بماضي الشّـبا والـوعى
أفـام بضرب الطلـى مأمـاً
ونـادى عشـيرتـك الأقرين
وحـاض بهمـ في غمار الحـتوف
وقال لها: يا نـزـار التـزال

تعـج وعـن دارها نازحـة
تُركـت زناد الأسيـ قاذحـة
نعـاك باسـرته الناصـحة
صـباح وأحـسائـهم واضـحة
وجـوه المنايا بها كالحـة
عليـك وبـيض الضبـا نائحـة
خذ الثـار يا أسـرة الفاتحـة
ولكنهمـ بالصـبا طائحـة
فـحـرك في جـدها مارحـة

وقال العلامة الحجة ميرزا محمد علي الأوردبادي الغروي:

وإفـ بمنقطـع البيـان ثـناؤه
وعلى السـماك محلـه شـرفاً وإن
الباسـط العـدل المهيـب جـواره
قد أحـضـل الـوادي بمـرزم سـيبه
لم تـدر يـوم تـلجـت أنـواره
هو نـقطة الجـد الأثـيل تـألـفت
ولـه بـأعلام النبـوة مـفحـر
وبـعين جـار السـماء شـهادـة
ونـيايـة عـن سـبط أحمـد حازها
وأخـوة قـد شـرّفـتـه بموقـف
لم يـبغ غـير هـوى الحـسين ورهـطه
هو ذاك مـوئـا رأيهـ وعليهـ من
علم تـدقّق جانـباه فلم يـدع

بطلـ على الجـوزاء رفـ لـواؤه
ياك في الصـعيد يلقـه بوغـاؤه
والواسـع الـوفر الرحيـب فـناؤه
وأضـاء في النـادي الرهيـب بمـاؤه
أذكـاً تـضيء الأفـق أم سـمـاؤه
منها غـدات تكـثـرت أجـزائه
قد نـيطـ بالإيـمان فيـه بكـاؤه
خصـت بهـ وعليهـ حق جـزائه
فتقاعـست عـن حملها قـرناؤه
قد كان مشـكورا لديـه إـخـائه
وسـواه قـد شـطـت بهـ أهـواؤه
أمر الإمامـة ألقـيت أعبـاؤه
إمـا تدقّق سـاحلا دئمـاؤه

(١١) من مجموعة الخطيب الأستاذ الشيخ مسلم الشيخ محمد علي الجابري.

أرجحاًؤه وتأرجحت أجهـواؤه
فكأن موقوف زحفه هيجاًؤه
إلا أطل على الوجوه ذكاًؤه
تسري على مر الصبا فيحاًؤه
نسب قصير يستطيل سناًؤه
خانتته عند الملتقى أمراًؤه
يزدان من صرح الهدى أهماؤه
يوم التغابن بيعه وشراًؤه
الشرف الرفيع تقدست أسماًؤه
وزككت عناصره فجعل ثناًؤه
سرت بموقف مجده آباءؤه
فيه تقدس أرضه وسماًؤه
قطر الغمام بعدد أرنأؤه
فلنصرة الدين الحنيف مضاًؤه
أمر المنايا حكمه وقضاًؤه
ماضى الشبا وسميره سمراًؤه
أو ليلى حرب قد جلاه رواؤه
من بعدما التقم الرؤوس فضاًؤه
أو هز رحماً فالسما جرباًؤه
فأتى على بهم الوفي استقصاًؤه
لم يبق منهم مقبلاً إحصاًؤه
من شره وتغلغلست أرجحاًؤه
بكمين بأس هدهم بأساًؤه
أضحى يدير الأمر كيف يشاًؤه
جمع الألفوف غداة عز رفاًؤه
بمهند لا ينطفئ إيـبراًؤه
لـولي أمر لا يبرد قضاًؤه

وندى به وجه البسيط تـلجـث
وبسالة موروثمة من حيدر
وضرائب قدسية ما إن تـلـجـح
وشذئي نجر من ذوأبة غالب
وماآثر شعت سنا تمتد من
وأمرير مصر لم يخنه وإن يكن
يزهو به دست الخلافة مثلما
لله صفة رابح لما يـبـن
هو مسلم الفضل الجميع ومعقد
طابت أواصره فجم مديحه
قـرت به عينا « عـقـيل » مثلما
واحتل من كوفان صقع قداسة
كثرت مناقبه النجوم وكأثرث
سيف لهاشم صاغه كف القضا
شهدت له الهيجاء أن يمينه
إذ غاص في أوساطها وألـفـه
في يوم حرب بالقتام مجلل
ومأزق فيه النفوس تدكدكث
إن سل عضبا فالجبال مهيلة
وانصاع يزحف فيهم مستقصيا
يحصي مصاليت الكمأة بصارم
وارتج كوفان عليه بعاصف
فـرأوا هنا لك محمدا وضوءهم
ومبيد شوكتهم إذا حم الوغى
من فاتق رتق الصفوف وخارق
لولا القضا عرفوه مطلقاً عزمهم
لكنهم عرفوا الضبارهم خاضعاً

أمنوا الشقا فتواثبوا لقتاله
حتى إذا غيبل الهزبرُ بمسـتوى
بالأمس كان أميرهم واليوم
وهناك إد من مقالة فاجر
إن كان أسمعـه سباباً مقـذعاً
ولدين أحمد مدع لفـؤاده
ولقد بكيتُ مقطّعا منة الحشا
ومنأولاً قدحا لـيروي غلـة
طلاع كل ثنية طاحت ثنا
وأشد ما عاناه من أرزائه
لم يصعدوه له وإن يك قد
قوس الصعود له وإن يك قد
يا هل درى القصر المشيد بان
هو للإمارة وهو مفخر دسـته
ألقوه من صعد فكان محطماً
ويجـر في الأسواق منه أخو هدى
فكأنه وسريّ مذحج خدنه

لفضيلة العلامة السيد محمد نجل حجة الإسلام آية الله السيد جمال الهاشمي أدام الله

ظله:

سار يطوي القفار سهلاً ونجدا
بعثته رسالة الحق وحيأ
يتحدى التاريخ فردا بعزم
أيزيد يقود قافلة الـدين
أترى يترك الحميا، وقد شب
عاشر القرد في صباه إلى أن
وأراد « ابن هند » أن يحق الـدين

ويحـث الركاب رمالا ووحدا
فيه ركب الحياة يحدى ويهدى
فار غيظا على الزمان وحقدا
إلى أين أيها الركب تُحدى؟!
عليها وشباب حبا ووحدا؟
عاد في الطبع والشمائـل قردا
ويعلى به يعوقا وودا

فارتضاه للمسلمين إماماً
وهنا ثارت العقيدة بركاناً
صهرتها روح الحسين نشيداً
وتحلى بلحنه « ابن عقيل »
وسرى في القفار يهتف:
نثر ألح في الرمال ففاضت
كوفية الجنيد قابلته بروح
وهي مهد الهوى لآل علي
أرسول الحبيب يأتي بشيرا
ولتباع يد الحسين وتعلي
ولتتش جمره العقيدة والروح
ومشتت في القلوب موجة إيمان
رفعت للجهاد ألوية الموت
قررت أن تلقها الحرب أو تنشر
واغتدى « مسلم » يعبئ جيشاً
وأثارت « يزيد » أحداث « كوفان »
وأشار الخنا إلى « ابن زياد »
فسعى مفردا لكوفان لكن
أنكرته العيون لما تراه
وكمما رامه « يزيد » أدار
وتلاشى التيار، فـ « لمسجد الأعظم »
خاناه الدهر، فالجماهير راحت
ومشى يقطع الشوارع حتى
وتسامت أجماد « طوعة » لما
وأنته أنصاره وهي أعداء
تبتغي منه أن يبايع نغلاً
فظوى جيشها الكثيف بسيف

مستجاراً وحاكماً مستتبدا
وفارت حقدا يصلصل وقدا
رددتسه القبورن فخرا ومجدا
وتحدى النظام هدماً ونقدا
عاش الدين في موكب الحسين لنفدى
ريوات الصخرأ وردا ورندا
تتحدى لــــه ولاء وودا
فجدير بأن تجدد عهدا
باللقا فلتذب هناء وسعدا
ذكره في الجموع مدحا ومجدا
لتصفو لها المسوارد وردا
غدت تغمر الجماهير بمدا
وسارت بها المواكب حشدا
من حكمها على الدهر بندا
علويتا يفيض بأسا ونجدا
وماجت « دمشق » برقا ورعدا
أن يدير الأمور حلا وعقدا
كان من خبثه يساير جندا
سيدا، وهي فيه تبصر عبدا
الوضع في حزمه وعيدا ووعدا
قد بات فيه « مسلم » فردا
تتنائي عنه شيوخا ومُردا
كل من سيره مراحا ومغدى
ضافها « مسلم » عيأ وجهدا
تردّت من الخزاية بردا
أنكرته الأصلاب رسما وحدا
يتلقى الالوف نثرا وحصدا

ذَكَرْت فِيهِ « عَمَّه » وَرَأَتْ فِي
غَدْرَتْ فِيهِ « بِالْأَمَانِ » وَلَوْلَا
أَدْخَلْتُهُ « قِصْرَ الْإِمَارَةِ » ظَمَانًا
حَاوَلَ النُّغْلُ عَجْمُهُ فَرَأَهُ
قَطَعَ الْبَغْيَ رَأْسَهُ وَرَمَى الطُّغْيَانَ
رَامَ إِطْفَاءَ نَوْرِهِ، وَهُوَ نَوْرُ اللَّهِ
هِيَ الذِّكْرِيَّاتُ تَطْفِئُ مِنْهَا

الخطيب الفاضل السيد صالح الحلبي رحمته الله:

لَوْ كَانَ يَنْقَعُ لِلْعَيْلِ غَيْلٌ
كَيْفَ السَّلْوِ وَلَيْسَ بَعْدَ مَصِيْبَةٍ
خَطَبَ أَصَابَ مُحَمَّدًا وَوَصِيَّهِ
أَفْدِيَهُ مِنْ قَادِ شَرِيْعَةِ أَحْمَدِ
حَكَمَ الْإِلَهَ بِمَا جَرَى فِي مَسَلِمٍ
خَذَلُوهُ وَانْقَلَبُوا إِلَى ابْنِ سَمِيْعَةٍ
أَوْتَتْهُ طَوْعَةً مَذَاتَاهُ وَالْعَدَى
فَأَحْسَ مِنْهَا إِبْنَهَا بِدُخُولِهَا
فَمَضَى إِلَى ابْنِ زِيَادٍ يَسْرِعُ قَائِلًا
فَدَعَا الدَّعِيَّ جِيوشَهُ فَتَحَرَّزَتْ
وَأَتَتْ إِلَيْهِ فِغَاصٌ فِي أَوْسَاطِهَا
فَكَأَنَّهَا أَسَدٌ لَجُوعٍ شَبَّوْلَهُ
يَسْطُو بِصَارِمِهِ الصَّقِيْلَ كَأَنَّهَا
حَتَّى هَوَى بِحَفِيْرَةٍ صَنَعَتْ لَهُ
فَاسْتَخْرَجُوهُ مِثْنًا بِجِرَاحِهِ
سَلُّ مَا جَرَى جَمَلًا مِنْ أَعْلَى الْبِنَا
قَتَلُوهُ ثُمَّ رَمَوْهُ مِنْ أَعْلَى الْبِنَا
رَبَطُوا بِرِجْلَيْهِ الْحَبَالَ وَمَثَلُوا

يَوْمَهُ حَلَمَ أَمْسَهَا قَدْ تَبَدَّى
لَمَّا أَطْفَأَتْ لَهُ الْحَرْبَ زَنْدًا
وَلَمَّا يَسْذِقُ مِنَ الْمَاءِ بِرِدَا
خَشِنَا فِي فَمِ الْحَوَادِثِ صِلْدَا
جِثْمَانَهُ انْتِقَامًا وَحَقًّا
هِيَهَاتَ خَابَ فَاَلَا وَقَصْدَا
ظَلَمَاتِ الْقُرُونِ نَوْرًا وَرَشْدَا

فَاضَ الْفَرَاتُ بِمَدْمَعِي وَالنَّيْلُ
ابْنُ عَقِيْلٍ لِي جَلْدٌ وَلَا مَعْقُولُ
لِلَّهِ خَطَبٌ قَدْ أَطْلَلَ جَلِيْلُ
بِالنَّفْسِ حَيْثُ النَّاصِرُونَ قَلِيْلُ
وَاللَّهُ لِيَسَّسَ لِحُكْمِهِ تَبْدِيْلُ
وَعَنْ ابْنِ فَاطِمَةَ يَزِيْدُ بِدِيْلُ
مَنْ حَوْلَهُ عَدَا عَلَيْهِ تَجْمُولُ
فِي الْبَيْتِ أَنْ الْبَيْتِ فِيهِ دَخِيْلُ
بِشَرِّ الْأُمَيْرِ فَتَى نَمَاهُ عَقِيْلُ
يَقْفُو عَلَى أَثَرِ الْقَبِيْلِ قَبِيْلُ
حَتَّى تَفَلَّتْ عَرْضُهَا وَالطَّوْلُ
فِي الْغَيْلِ أَفَلَّتْ عَلَيْهِ الْغَيْلُ
بَطَلَى الْأَعْيَادِي حَادُّهُ مَصْقُولُ
أَهْوَتْ عَلَيْهِ أَسْنَةُ وَنَصْوُولُ
وَالْجَسْمُ مِنْ نَزْفِ الدَّمَاءِ نَحِيْلُ
فَقَلِيْلُهُ لَمْ يَحْصُهُ التَّنْفِصِيْلُ
وَعَلَى الشَّرِّ سَحْبُوهُ وَهُوَ قَتِيْلُ
فِيهِ فَلِيَّتْ أَصَابِي التَّمثِيْلُ

مذ فاجأ الناعي الحسين علت على
 وله ابنة مسح الحسين برأسها
 لما أحست يتمها صرخت الايا
 قال الحسين: أنا زعيم بعده
 قد مات والدها فأملت البقا
 فقدان مسلم رنة وعود
 اليتم مسح الرأس فيه دليل
 والسدي حزني عليك طويل
 لا تحزني وأب لك وكفيل
 في العم لكن فاتهما المأمول^(١٢)

للطبيب الحاذق الأديب الشيخ محمد الخليلي:

إن كنت تحزن لادكار قتيل
 واجزع لنازلة بخير مفضل
 وانذب قتيلاً ما انجلي ليل الوغي
 هو ليث غالب « مسلم » من أسلمت
 شهم تحذر من سلاله هاشم
 متفرعا عن دوحه مضرية
 فاحزن لذكرى « مسلم بن عقيل »
 أبكى عيون الفضل والتنزيل
 أبدا له عن مشبه وبديل
 مهج العدى لفرنده المصقول
 خير البيوت علا وخير قبيل
 تُسمى لأصل في الفخار أصيل

* * *

أم العرراق مبلغا برسالة
 وأتى إلى كوفان ينقذ أمة
 فاكتض مسجدها بهم وعلت به
 وتقاطروا مثل الفراش تهافتاً
 يغدونه بنفيسهم والنفوس لا
 باتوا ويات مؤملا للنصر من
 لكنهم ما أصبحوا حتى غدا
 خذلوه إذ عدلوا إلى « ابن سمية »
 وتجمعوا لقتاله من بعد ما
 وأتوه منفردا بمنزل « طوعة »
 فغدا يفرق جمعهم ويجندل
 أكرم بمرسه وبالمرسول
 طلبت اغاثتهم على تعجيل
 أصواتهم بالحمد والتهيل
 طلبا ليعتبه على التنزيل
 ييغون دون رضاه أي بيدل
 أشباحهم يا خيبة المأمول
 في مصرهم لا يهتدي لسبيل
 واسبتدلوا الإرشاد بالنضليل
 عرفوه للإرشاد خير دليل
 وقلوبهم تغلى بنجاد ذحول
 الأبطال في عزم له مسلول

(١٢) من مجموعة الخطيب الأستاذ الشيخ مسلم الشيخ محمد علي الجابري.

ورأوا به بطالا إذا نكل العدى
يلقى الكمي بعزيمة مضرة
إن صال أرجعهم على أعقابهم
فعدت فلول الهارين خوفها
عنه فرارا فهو غير نكول
إجمالها يغني عن التفصيل
في بطش ليث في الرخام صول
تطأ الشريد بأرجل وخيول

* * *

حتى إذا كضّ الظما أحشاءه
وافوه غدرا بالأمان وخذعة
لكلهم حفروا الحفيرة غيلة
وتكاثروا فيها عليه فأفقدوا
وأثروا به قصر الإمارة مثخناً
فعدا يقارعوه الزنيم عداوة
ودعا ابن حمران به ولسانه
ما بان رأسا كان يرفعه الأبا
ورماه من أعلا البناء إلى الثرى
ففضى شهيدا في مواطن غريبة
وبدد دماء تسيل أي مسيل
منهم فلم يخضع خضوع ذليل
فهوى بها كالليث جنب الغيل
يمناه خير مهتد وصقيل
بجراحه ومقيدا بكبول
ويغضبه سبّا بأقبح قيل
لهج بذكر الله والتهايل
عن جسم خير مزمل مقتول
كالطود إذ يهوى لبطن رمول
متضجاً بنجيعه المطلول

* * *

وأتى الحسين السبط مؤلم لغيه
فبكاه مفجوع الفؤاد بفقده
وغدت تزيد النوح صفوه أحمد
فدهاه في خطب هناك جليل
حزنا سليل المصطفى المرسل
لمصابه في رنة وعويل

للخطيب التقي السيد مهدي الأعرجي النجفي (١٣):

هذى مرابعهم فحي وسلم
وانشد فؤادا ضاع مني عندها
أيام كان العيش حلو طعمه
والراح يملوها الهلال كأنها
واعقل وقف فيها وقوف متيم
بين الدكاك فالربى فالعليم
والعيش في اللذات حلو المطعم
شمّل لندمان كمثل الأنجم

١٣) نقلتها من كتاب « سوانح الأفكار في منتخب الأشعار » للخطيب الأستاذ السيد محمد جواد شبر.

والشميل ملتئم بكل مهفهف
والدهر باعنا وأعطانا على
واليوم خان بنا فشئتنا كما
لم أنسه بين العدى وجينيه
أفديه من بطل مهيب إن سطا
شهم نمته إلى البسالة هاشم
ولدتاه آباء ميامين ولا
حتى إذا ما أثنوه بالضبا
جاؤا إلى ابن زياد فيه فمد رأى
قال اصعدوا للقصر وارموا جسمه
صعدوا به للقصر وهو مكبل
قتلوه ظمام لم ييل فؤاده
دفعوه من أعلا الطمار إلى الثرى

غنج غريز الطرف حلو المسم
أن لا يخون بنا يد المستسلم
خاننت بنو صخر بيعة « مسلم »
كالبدر في ليل العجاج المظلم
لف الجموع مؤخرًا بمقدم
والشبل للأسد المحرب ينتمي
تلد الأراقم قط غير الأرقم
ضربا وفي وسط الحفيرة قد زمي
للقصر قد وافه غير مسلم
ومن الوريدين اخضبه بالدم
تجري دماه من الجوارح والقم
أفديه من ظمام الحشا متضرم
فتكسرت منه حنايا الأعظم

الفهرس

١	مقدمة الناشر
٨	المقدمة
٨	بيت أبي طالب:
٢٤	عقيل
٢٥	إلى الشام:
٢٨	كتاب عقيل
٢٨	كتاب أمير المؤمنين:
٣٠	حديث الحديد:
٣٠	افتراء على عقيل:
٣٢	الخلف عن عقيل:
٣٤	حياة مسلم بن عقيل ؑ
٣٥	أمه ؑ:
٤٤	نشأته ؑ:
٤٨	المؤامرات في الكوفة
٥٤	كتبهم للحسين ؑ:
٥٨	ولاية مسلم ؑ
٦٤	سفر مسلم إلى العراق
٦٦	مسلم لا يتطير
٧٨	مسلم يتفأل
٨٠	افتراء على الحسين ؑ
٨٢	في بيت المختار الثقفي
٨٦	البيعة
٨٨	كتاب مسلم إلى الحسين ؑ
٩٠	خطبة النعمان

٩٤	ولاية ابن زياد
٩٥	خطبة ابن زياد:
٩٨	موقف الكوفيين
١٠٢	ابن سعد مع يزيد
١٠٩	لفت نظر:
١١١	في بيت هاني
١١٤	مسلم لا يغدر:
١٢٢	حفظ الجوار:
١٢٧	هاني مع ابن زياد
١٣٠	راية الأمان:
١٣١	نهضة مسلم
١٣٣	خطبة ابن زياد:
١٣٣	الى السجن:
١٣٧	في بيت طوعة
١٣٨	مسلم في اليوم الثاني:
١٤٥	في قصر الإمارة
١٤٧	كتم السر:
١٤٩	الشهادة:
١٥١	بعد الشهادة
١٥٣	تاريخ الشهادة
١٥٥	المرقد الأخير
١٥٩	زوجاته وأولاده
١٦٣	الاحتفال بأمر مسلم
١٦٤	المأتم:
١٦٥	الزيارة:
١٦٨	الشعر: